"أعظم رواية كتبت باللغة الأيرلندية"

كولم توبين

مارتين أوكاين

رواية

طين المقابر

ترجمة: عبد الرحيم يوسف

طين المقـــابر

رواية

مارتين أوكاين

ترجمة : عبد الرحيم يوسف

عبد الرحيم يوسف/ من مواليد الإسكندرية في ١٩٧٥. تخرج من قسم اللغة الإنجليزية بكلية التربية جامعة الإسكندرية عام ١٩٩٧. شارك كمحرر مساعد للترجمة في مجلة مينا من عام ٢٠٠٥ إلى ٢٠٠٩. نشر ترجمات في جريدة أخبار الأدب المصرية وموقع مدى مصر ويرأس تحرير موقع *ترى البحر *. ترجم عددا من التقارير كمترجم حر لمنظمة هيومن رايتس ووتش واليونسكو ومنظمة الأمم المتحدة للسكان. نشر سبعة دواوين بالعامية المصرية وخمسة عشر كتابا مترجما في دور نشر مختلفة، وفاز عن ترجمته لكتاب *ثلاث دراسات حول الأخلاق والفضيلة * لبرنارد ماندفيل والصادر عن دار صفصافة بجائزة الدولة التشجيعية للآداب فرع ترجمة الأعمال الفكرية لعام ٢٠١٦.

مقدمة المترجمين!

نعم، هذا ليس خطأ مطبعيا ولا سهوا من كاتب هذه السطور. فقد قمت بترجمة هذه الرواية التي تحمل في الآيرلندية عنوان *Cré na Cille* والذي يعني حرفيا: *أرض الكنيسة * عن ترجمتين إلى الإنجليزية. حملت الأولى عنوان *Graveyard Clay* أو طين المقبرة وقام بترجمتها الكاتبان الراحلان *1937-2019 * *1935-2020 * وصدرت عام 2016 عن مطبوعات جامعة ييل بالتعاون مع دار نشر كلو يار كوناخت الآيرلندية، والترجمة الثانية حملت عنوان *The Dirty Dust* أو التراب الدنس وقام بترجمتها إلى الإنجليزية الكاتب *1947 * الذي كنت قد سعدت بترجمة بعض قصصه في كتاب *حقائق ملتوية.. أنطولوجيا القصة الآيرلندية الحديثة * الصادر عن دار صفصافة عام 2014. وقد صدرت ترجمة لروايتنا هذه عام 2015 عن مطبوعات جامعة ييل بالتعاون مع دار نشر كلو يار كوناخت أيضا. وبالتالي فهذه الترجمة مدينة لعمل ثلاثة مترجمين كبار بذلوا جهدا كبيرا في نقل هذا العمل الضخم والاستثنائي إلى الإنجليزية بعد ما يقرب من خمسة وستين عاما على نشره لأول مرة بالآيرلندية ليمثل علامة هامة في حياة كاتبه وفي تاريخ الأدب الحديث المكتوب بالآيرلندية.

إذًا فقد اعتمدت في ترجمتي هذه على الترجمتين السابق ذكرهما، حيث كانت المقارنة بين ترجمة كل جملة تساعدني كثيرا في الوصول إلى معنى أوضح وربما إلى صياغة أقرب. رغم أن الترجمتين كانتا أحيانا تختلفان في مواضع -قليلة- إلى حد التناقض؛ لكني في ذلك كنت أميل إلى الأكثر منطقية منهما في سياق الموضع نفسه. وإن كنت بشكل عام ملت للترجمة الأولى؛ ترجمة لوضوحها وبساطتها، حتى أني ملت لترجمة عنوان الرواية الذي اختاراه، برغم إعجابي كالعادة ببراعة الصياغة لدى ، الذي حاول في ترجمته الاقتراب من عامية الحديث أغلب الوقت. كما اعتمدت في الهوامش المرفقة كثيرا على هوامش التي زودا بها العمل، وأشرت إليها في حينها بعبارة *من هوامش الترجمة إلى الإنجليزية *، بينما لم يقم بوضع هوامش كثيرة في ترجمته، وإن استفدت منها أيضا. بالإضافة إلى الهوامش التي رأيت ضرورة إضافتها لمزيد من التوضيح.

وقد قام المترجمون الثلاثة بوضع مقدمات خاصة بهم في بداية الترجمة، حيث كتب ما أسماه *ملاحظة تقديمية * وكتب ما أسماه *حول ترجمة *Cré na Cille* * كما كتب *مقدمة المترجم *. وسأقوم هنا بترجمة مقاطع مطولة لما رأيته ضروريا وكاشفا في مقدمتيّ .

في مقدمة المترجم كتب يقول: *في رواية التراب الدنس الكل أموات. قد تبدو هذه طريقة غريبة لكتابة رواية، لكن لم يكن كاتبكم المعتاد. كان تقليديا وتجريبيا في الوقت نفسه وكما أراد، والوسيلة التي اختارها كأسلوب من أجل هذه الرواية ناسبت عبقريته من ناحية والمجتمع الذي كان يصوره من ناحية أخرى.

قد تكون شخصيات هذه الرواية من الأموات، شخصيات ترقد في قبورها، لكنها لا تغلق أفواهها. فكرة أن الأموات لا يصمتون هي ما تمنح الحياة للرواية. تتألف الرواية بأكملها من حوار مسموع وغير مسموع، باستثناء المقدمات لبعض الفصول *التي أسماها الكاتب هنا بالفواصل * التي ينطق بها *نفير المقبرة * والتي تعمل كنوع من التضاد اللغوي والفلسفي لما يجري في الأسفل. وما يجري في الأسفل هو استمرار لما كان يجري بالأعلى قبل أن يموت سكان المقبرة. هذه الرواية عبارة عن تصنت لثرثرة واغتياب وشائعات وتذمر ومعايرة وشكوى ووسوسة حول أهم أمور الحياة، لكن في الأغلب حول أتفهها أيضا، وهما كثيرا ما يكونان نفس الشيء. يبدو الأمر وكأنه في الحياة الأخرى تحت التراب، تستمر نفس الحياة القديمة، غير أنه لا شيء يمكن فعله حيالها غير الكلام.

الكلام هو الشخصية الرئيسية في هذه الرواية. ورغم أن الصفحات التقديمية للرواية تقول إن الزمان هو الأبدية، وهو أمر مفهوم في الحقيقة، لكن مكان الرواية هو مقبرة في مكان ما في كونيمارا غرب آيرلندا في بداية الأربعينيات من القرن العشرين. في كونيمارا تلك -كونيمارا الثلاثينيات والأربعينيات من القرن العشرين- لم يكن هناك راديو؛ إلا في بيت القس وبيت المعلم، ولم تكن هناك دار سينما، وهناك القليل من المحلات، كما لم يكن أحد قد سمع بالتليفزيون بعد.

كانت الثقافة الوحيدة هي الكلام.

كانت هناك أغنيات وموسيقى وبعض الرقص، لكن الكلام كان هو محور الإبداع. تحاول هذه الرواية اقتناص الكلام والنميمة والثرثرة اللانهائية التي كان المجتمع يتألف منها. قد يقال إن كل المجتمعات الإنسانية قبل بدء شيوع المعرفة بالقراءة والكتابة كانت ببساطة متألفة من الكلام. وبينما يخبرنا الأنثروبولوجيون أنه توجد مجتمعات *ثرثارة* ومجتمعات *كتومة*، فليس هناك شك بالنسبة لأي هاتين الخانتين تقع آيرلندا. بهذا المعنى الخاص بالثرثرة اللانهائية تكون هذه الرواية انعكاسا أفضل لمشاغل البشر العاديين طوال آلاف السنين من تلك الروايات التي تتعامل مع الأمور العظيمة والخيرة. هذه المشاغل ليست دائما سارة، بالطبع، ليس أكثر من تلك الأمور العظيمة والخيرة؛ لكنها على الأقل لا تسبب نفس المقدار من الأذى.

كل هذه الأصوات الميتة في المقبرة الصاخبة مشغولة فقط باليومي المباشر: الطحالب المسروقة، من تزوج بمن، حمار تعدى على أرض، ما تحتويه وصية إحداهن، كيف سرقهم صاحب الحانة - رغم وجود أصداء بعيدة للسياسة القومية وحتى للحرب العالمية الثانية. لكن الحياة البشرية كلها هنا؛ وإذا كان لك أن تنتقل إلى أي جزء من العالم حتى اليوم وتنصت إلى ثرثرة الأصوات المحلية، فلن يختلف الأمر كثيرا عما ستقابله في رواية التراب الدنس.

يُنظر إلى هذا الكِتاب بشكل عام كواحد مِن أعظم مِنجزاتِ الرواية باللغة

الآيرلندية. ورغم أن اللغة الآيرلندية يمكنها أن تزهو بأطول أدب عامي دون انقطاع في أوروبا كلها باستثناء اليونان، وبالفعل، بواحد من أعظم الآداب الأوروبية جميعا حتى العصر الحديث، إلا أن تطوره انقطع خلال الغزو الإنجليزي. هكذا جاءت الرواية متأخرة إلى اللغة الآيرلندية، كما حدث في أغلب المجتمعات ما قبل الحضرية وغير الكوزموبوليتانية. ورغم أن اللغة الآيرلندية كان لديها تقليد نثري حي حتى منتصف القرن السابع عشر، إلا أنه ولأسباب سياسية واجتماعية انحدر هذا التقليد انحدارا سريعا خلال القرنين التاليين. وبما أن معرفة القراءة والكتابة باللغة كانت في حدها الأدنى، كانت فرصة تطور الرواية قليلة أيضا. تغير هذا مع تجدد الاهتمام باللغة في آخر القرن التاسع عشر وخاصةً بعد استقلال *الدولة الآيرلندية الحرة * الجديدة، عندما ظهر جيل جديد من القراء باللغة الآيرلندية.

أحد الموضوعات الشائعة في الروايات الآيرلندية المبكرة هو تصوير حياة المجتمعات المتحدثة بالآيرلندية، التي يشار إليها كثيرا بالجايلتاخت. في الأصل كانت كلمة جايلتاخت تعني المتحدثين بالآيرلندية، لكنها أصبحت تعني تلك المناطق التي تكون فيها الآيرلندية هي اللغة السائدة. وكانت أغلب هذه المناطق في غرب آيرلندا، وواحدة من أكبرها توجد في كونيمارا، حيث ولد . وكانت تلك الروايات غالبا ما تصور مناطق الجايلتاخت وناسها في ضوء شاعري وهاج، أو إذا لم تفعل، كان يتم تصورها هكذا. أحد كُتاب هذه الروايات، وهو شيموس أوجاريانا Séamus Ó Grianna ، أشار إلى أنه لم يكن ليكتب قط عن قصد كلمة يمكن أن تخجل منها أمه. لذا فقد انفجرت رواية التراب الدنس في وجه هذا العالم بكلامها الغليظ وشخصياتها ذات الأرواح الوضيعة وملاحقاتها التافهة ومرحها العظيم.

قوبل نشرها بترحيب فوري، ولكن ليس بشكل عام. وصمها أحد النقاد بأنها *كتاب قذر*، عندما كانت الكتب القذرة تُمنع بالمئات. وزعم آخر أنه لم يكن قط ليشجع اللغة الآيرلندية لو خطر بباله أنها قد تقود إلى إساءات مثل هذه. بل وقال آخر إن مثل هذا الحوار لا ينبغي أن يوضع على فم كلب. من ناحية أخرى، قرئت الرواية على نطاق واسع وبصوت عال في منطقة جايلتاخت نفسها، وأصبحت سريعا من أكثر الكتب مبيعا، ونالت مكانة كلاسيكية وسط المتحدثين بالآيرلندية. يتذكر أحد الكُتَّاب أن زملاءه في المدرسة الثانوية كانوا ينتظرون بلهفة الحلقة التالية من الرواية عندما كانت تُنشر مسلسلة لأول مرة في إحدى الجرائد. ويتذكر المؤلف سيره خلال حشد في إحدى مباريات كرة القدم وسماعه متفرجا يتمتم: *ها هو التراب الدنس يمضي.* وقد أشير إلى الرواية في الدويل؛ البرلمان الآيرلندي. ثمة أدبيات نقدية حولها أكبر من أي رواية آيرلندية أخرى، ومثل كل الأعمال الكبرى في الفن، ليس هناك إجماع واحد حول ما *تعنيه*.

آمن بأن الكلام هو أفضل طريقة لتصوير ما كان يدور في أذهان الناس، وهو ما

يفسر الكثير فيما يتعلق بالبنية السردية للرواية. قيل إنها اعتمدت على قصة قصيرة من ناحية، وعلى مجموعة قصائد *أنثولوجيا سبوون ريفر * من ناحية أخرى. وردا على هذا الجدل الواسع حول أصولها، حكى حادثة جرت في منطقته قبل سنوات من كتابته للرواية. ذات يوم مطير بائس كانت امرأة تُدفن في كونيمارا وقام اللحادون عن غير قصد بفتح القبر الخطأ. كان اليوم سيئا جدا حتى أنهم لم يستطيعوا حفر واحد آخر، لذا ألقوا بها داخل القبر الذي فتحوه بالفعل. عندئذ أدرك أحدهم أنهم يضعون تابوتها فوق تابوت غريمة قديمة لها. فتمتم أحد المراقبين: *باللبقرة المقدسة، سيحدث شجار ولغط شديدان!*

وُلد عام 1906 في منطقة تتحدث كلها بالآيرلندية. وقد قال إنه لم يسمع قط حديثا بالإنجليزية حتى بلغ السادسة من عمره. تلقى تعليمه ليعمل كمدرس ابتدائي في دبلن وقام بالتدريس في مدارس عديدة في أنحاء كونيمارا وشرق جالواي. وقد انخرط في أعمال سياسية جمهورية غير قانونية وفي أنشطة المجتمع وجرى فصله من وظيفته كمعلم بعد شجار مع قس الأبرشية عام 1936. وكان قد بدأ بالفعل في كتابة القصص وترجم رواية سيئة فعلا لتشارلز كيكهام Charles Kickham كي تُنشر في آن جوم، التي يجدر وصفها بأنها كانت دار نشر حكومية. انتقل إلى دبلن بحثا عن وظيفة لكنه استمر في أنشطته الجمهورية.

بعد اندلاع الحرب العالمية الثانية بقليل، جرى حبسه دون محاكمة في معسكر اعتقال كانت الحكومة وقتها قد أقامته خصيصا للمنشقين. ورغم أنه كان قد نشر مجموعة قصصية واحدة عام 1939، إلا أنه يقال إن سنوات اعتقاله كانت سنوات تكوينه الحقيقي ككاتب. تُظهر خطاباته أنه كان يقرأ بنهم ويكتب بغزارة. لا عجب إذًا أن انفجاره العظيم الأول من الإبداع حدث على الفور بعد الحرب، وهي الفترة التي كُتبت فيها هذه الرواية.

كان كاتبا استثنائيا، نشر خمس مجموعات من القصص القصيرة خلال حياته وواحدة بعد موته. وتضم أعماله المجموعة روايات وقصصا ومحاضرات وخطابات ومجادلات وأوراقا سياسية وأعمالا تاريخية وترجمات ومقطوعات هجائية وكتابات أخرى غير مصنفة تماما. بعد عمله في وظائف شاقة عديدة، عُين كمحاضر للغة الآيرلندية في كلية ترينيتي دبلن بسبب معرفته العميقة والوطيدة بالأدب والتي حصَّلها نتيجة القراءة الدؤوب ومعرفته التي لا نظير لها تقريبا بالكلام الآيرلندي المعاصر. وفي النهاية عُين كأستاذ كرسي اللغة الآيرلندية في نفس الجامعة قبل عام من وفاته.
من الأفضل قراءة رواية التراب الدنس باعتبارها سيمفونية من الأصوات، رغم أن الأصوب وصفها بنشاز من الأصوات. أحيانا تنقلب إلى سلسلة من المونولوجات، التي يمكن أن تصبح حوارات ثنائية، ترتفع إلى تهكمات انتقامية وتخفت في لحظات حكيمة ولحظات طائشة. ثمة سرد ما، لكن عليك أن تنصت إلى خيوطه. هناك أكثر من قصة، لكنها جميعا مترابطة. علينا أن نتفحص ما يقوله كل شخص وفقا لهاجس كل واحد -حيث يمكن لعبارة صغيرة أن تنبئنا بمن المتحدث- أو شكوى كل واحد، أو مصدر قلق كل واحد الأشبه بلحن يحمل توقيع الشخص. الأمر أقرب إلى تحويل محطات راديو قديم، تسمع الآن هذه، وبعد ذلك تسمع تلك الأخرى. وبمجرد أن تألف الأمر، تنساب القصة بإيقاع مضبوط. لذا كان من الطبيعي أن تتحول الرواية إلى مسرحية إذاعية حققت نجاحا هائلا، كما جرى تقديمها على خشبة المسرح عدة مرات، والأكثر إدهاشا من ذلك أنها تحولت إلى فيلم سينمائي من نوعية الكوميديا السوداء.
تزخر الرواية كذلك بالإشارات إلى تقاليد حكي القصص الآيرلندية والميثولوجيا والملاحم والأغاني، التي كانت جميعها جزءا من الخطاب الشائع. وبالفعل هناك مقاطع من أغان منثورة في الرواية كان مقصودا بها غالبا أن تأتي هكذا بشكل عفوي. قد يلقي أحدهم ببعض السطور كتحدٍ، ويكون لزاما على الآخر أن يرد عليها. كان هذا كله طبيعيا في المجتمع، بينما في أيامنا هذه قد تكون نقاط الإشارات المرجعية للناس هي عروض التليفزيون أو أفعال شخصية ما شهيرة لامعة. إن *الأثاث العقلي * لزمن آخر ومكان مختلف لا يمكن نقله بسهولة أبدا، لكن يجب علينا على الأقل تمييزه والاعتراف به كما كان.
الشخصية الرئيسية في هذه الرواية، لو أمكن القول بوجود شخصية رئيسية بها، هي . إنها ليست بالمرأة التي تود مقابلتها في الحياة الحقيقية، رغم أن مقابلتها في الحياة الأخرى قد تكون مخيفة كذلك. إذا كان هناك ما يُسمى بحب حياتها فهو مخفي بشكل جيد، لكن محط كراهية عمرها هي أختها: . إن المرارة التي بينهما تُحلّي القصة بأكملها. كل من في المجتمع المحيط يُجذبون إلى داخل دوامة هذه الكراهية، تنفتح القروح القديمة، وتتجدد الخدوش القديمة، وتُمنح الضغائن الدائمة حياة جديدة. نحن أمام صورة كاملة لمجتمع مغلق غير مبال إلى حد كبير بالعالم الخارجي، صورة بها بثور ومزيد من البثور، لكننا ننتعش أيضا

بإنسانيتها الرائعة والجميلة والفظيعة والمريعة والسحرية.
ولا ينبغي الاعتقاد أن تلك كانت وجهة نظر الوحيدة للحياة في مجتمعه. فاختياره للكتابة بهذا الأسلوب هو اختيار فني، بينما كثير من قصصه الأخرى المتعاملة مع الحياة التقليدية التي جاء منها يمكن أن تكون حانية وتراجيدية وحساسة. ورغم أن كثيرا من النساء في روايتنا هذه يبدو أنهن أشبه بمحاربات الأمازون المتوحشات، إلا أن كثيرا من كتاباته تهتم بالمأزق الشخصي والاجتماعي للنساء، سواء في العبودية الاقتصادية أو في العقم أو نتيجة فقد الأطفال. كان يعرف جيدا ثمن الفقر وسحق الروح الإنسانية الذي كان ينتج عنه غالبا. [.....]
كانت موهبته العظمى هي في سيل كلماته التي كانت تنبثق وتضحك وتتدفق في فورة من الإفراط. لم تكن تلك هي طريقته في الكتابة فقط، بل كانت طريقته في الكلام. لكن الموهبة العظمى لكل كاتب هي أيضا مكمن ضعفه؛ لأنه لا يمكن أن يكون كل شيء. ذات مرة نصحه الكاتب Liam O’Flaherty أن يُعمل المقص في نثره، رغم أنه ربما كان يقصد المنجل بدلا من المقص. لو كان فعل ذلك، لم يكن ليغدو ، بل مجرد نسخة منه مصابة بفقر الدم.
إن عدم قدرته على كبح نفسه كان يعني أنه رغم محاولته تقديم الدراما، إلا أنه كان فاشلا فيها على نحو استثنائي. فالدراما تتطلب حسا ما بالبنية وتحكما في الزمن، وهما سمتان كان يفتقر إليهما. ورغم أن رواية التراب الدنس تتمتع ببنية محددة، إلا أنها كبيرة وفضفاضة بما يكفي له كي يلقي فيها بكل شيء. لذلك قد يجد القراء من الغريب أن تكون في هذه المقبرة انتخابات ونوادي روتاري وكُتَّاب، بل وطيار فرنسي ألقت به الأمواج على الشاطئ ودُفن مع الآخرين. إذا كنت تتساءل ماذا يفعلون هناك، فالإجابة ببساطة أن كمجادل جماهيري لم يستطع مقاومة الإغراء المتمثل في توجيه ضربات ماكرة وغير ماكرة لزملائه ولقضايا كانت تفتنه أو تزعجه. جزء كبير من هذه الرواية ينحو نحو الهجاء، ليس فقط هجاء التفاهات البسيطة للحياة الريفية بل أيضا هجاء للخيلاء والادعاء والدجل الذين كانوا إلى حد كبير جزءا من بلده وقتها كما هم الآن.*
أما في مقدمته فيتحدث عن قائلا: *في عام 1939 نشر كتابه الأول: *Idir Shúgradh agus Dáiríre* *بين الهزل والجد * وهو مجموعة قصصية، نشرتها دار آن جوم *منشورات حكومية *. في هذه المجموعة يقوم بتصوير قومه في كونيمارا ببصيرة وتعاطف، وبأمانة لا تبذل أي محاولة لإخفاء حقائق الحياة القاسية في مجتمع ريفي كئيب. ورغم أن الكتاب استُقبل بحفاوة، إلا أن نفسه كان يعرف أنه لم يعثر بعد على الأسلوب أو شكل الكتابة الأمثل بالنسبة له. ومع ذلك فهو في تلك القصص يبدأ في استكشاف أشكال سردية مختلفة الأطوال، وفي نفس الوقت يقوم بالتجريب في التقاليد الأدبية الراسخة. قرب هذا الوقت، في النصف الأخير من عام 1939، مر بخبرة بالغة الأهمية زادت من قوة عزمه على أن يكون كاتبا: ذات يوم وجدت نسخة قديمة من مجلة فرنسية، مقابل بنس على ما أذكر، في متجر كتب بشارع أونجيير في دبلن، شيء فتح

عيني وكان كاشفا لي بنفس القدر الذي حدث للقديس بولس في الطريق إلى دمشق! في تلك المجلة وقعت على ترجمة فرنسية لقصة لمكسيم جوركي بعنوان *يوم الحصاد وسط قوزاق نهر الدونّ *. قفزت ناهضا من السرير الذي كنت راقدا عليه أقرأ. لم أكن قد قرأت شيئا شبيها من قبل. لماذا لم يخبرني أحد بوجود مثل هذه القصص؟ قلت لنفسي: *كان بمقدوري أن أكتب هذا. هذا عمل يقوم به قومي، غير أن لهم أسماء مختلفة.* وانتابني نوع من الجوع، جوع كان غير محتمل بشكل أكبر من الجوع الذي كانت تشعر به معدتي أحيانا. بدأت منطقة كوش فاريجيه بأرضها الحجرية وصخورها العارية وخلجانها وجداولها وبركها وبحيراتها وجبالها، بوجوه رجالها ونسائها وأطفالها، تتجسد خلف جفوني المغلقة. كانت تلك المجلة في جيبي، مع أقل القليل غيرها، في اليوم الذي قُبض عليّ فيه.

قُبض على في سبتمبر 1939 بتهمة الخروج على قانون الدولة وقضى حوالي خمس سنوات بين ثلاثة أو أربعة سجون؛ وأغلب هذا الوقت قضاه في معسكر اعتقال في كوراخ بمقاطعة كيلدير. أثناء فترة سجنه قرأ على نطاق واسع بلغات كثيرة وعلّم نفسه أسلوب الحوار الذي استخدمه بعد ذلك في روايتيه. [....] قال: *تلك هي الأيام التي بدأت فيها الكتابة بجدية.* كان يحرر أيضا جريدة المساجين *السلك الشائك * في المعسكر لفترة وكتب لها بالآيرلندية والإنجليزية. كما ترجم الكثير من الأغاني إلى الآيرلندية منها *العلم الأحمر* ونشيد الأممية وغيرهما من الأغاني التي كانت شائعة وسط المساجين.[....]

عند إطلاق سراحه عام 1944 طلب منه رئيس الحكومة وقتها أن يستمر في عمله على القاموس الإنجليزي-الآيرلندي. وفي عام 1945 تزوج من وهي معلمة وطنية ومتحدثة جيدة بالآيرلندية من كافان، ومدرسة لغة آيرلندية موهوبة لفصول الأطفال في جنوب دبلن لسنوات عديدة. استقرا بشكل دائم في دبلن ولم ينجبا أي أطفال.[....]

كُتبت رواية طين المقابر خلال الفترة 1945-1947 وجرى تقديمها بعد ذلك إلى مسابقة البرلمان الآيرلندي السنوية الأدبية عام 1947. وقد استلزم هذا إنتاج نسخ عديدة بخط اليد. بعد ذلك نُشرت الرواية مسلسلة ما بين فبراير وسبتمبر 1949 في جريدة آيريش بريس، التي كانت تحظى بانتشار واسع في الريف والحضر. كانت هذه الجريدة على صلة وثيقة وحزب فيانا فايل كما كانت منصة أدبية لها أهميتها في فترة ما بعد الحرب.

بعد نشرها مسلسلة وما حظيت به من ترحيب كبير، قُدم مخطوط الرواية لوكالة النشر التابعة للدولة: آن جوم. وفي مواجهة تلك المفارقة الراديكالية للتقليد الأدبي الراسخ بوجود جثث تتشاجر في قبورها، استقبلت آن جوم الرواية استقبالا فاترا. وأخيرا عثر النص وكاتبه على بطل في هيئة سارشيل آجوس ديل، وهي دار نشر صغيرة في دبلن تأسست عام 1947 واكتسبت سمعة طيبة بالفعل لنشرها أدب معاصر من نوعية أدبية عالية.[....] ورغم أن الطبعة الأولى

تحمل تاريخ النشر في عام 1949، إلا أن الكتاب لم يظهر بالفعل إلا يوم 10 مارس 1950. [....]
مازال إغواء قراءة هذه الرواية كسجل أمين وتمثيل صادق للحياة المعاصرة في المناطق المتحدثة بالآيرلندية يظهر في النقد الآن كما فعل وقت صدور الرواية.*
في النهاية هذه في ظني المرة الأولى التي يُترجم فيها عمل لهذا الكاتب الكبير Máirtín Ó Cadhain *والذي يُنطق اسمه الأول بمد الياء * إلى العربية، حتى وإن جاءت عبر لغة وسيطة، لكني آمل أن تكون فرصة لقراءة عمل رئيسي في الرواية المكتوبة بالآيرلندية خلال القرن العشرين، قراءة بغرض التعرف على تراث إنساني هام، وثقافة إنسانية عميقة لها تاريخها ونقاط تشابهها واختلافها الكبيرة مع ثقافتنا، وكذلك الاستمتاع بتجربة أدبية مختلفة، وتلك فيما أعتقد من غايات الترجمة القصوى.

الإسكندرية أكتوبر ٢٠٢٠

الفاصلة الأولى
الطين الأسود
١
لا أعرف إن كنت مدفونة في مقبرة *الجنيه * أم في مقبرة *الخمسة عشر شلنا *! اللعنة عليهم على أي حال إن كانوا قد رموا بي في أرض *العشر شلنات * بعد كل التحذيرات التي وجهتها لهم. في صبيحة اليوم الذي مت فيه ناديت من المطبخ: *أتوسل إليك يا ، أتوسل إليك، ضعني في مقبرة *الجنيه *، مقبرة الجنيه! أعلم أن بعضنا مدفون في مقبرة العشر شلنات، لكن رغم ذلك...*
أخبرتهم أن يأتوا لي بأفضل تابوت في محل . وهو تابوت جيد من خشب البلوط على أي حال. أرتدي وشاح الكتف. والكفن... جهزتهما بنفسي. وثمة بقعة على هذا الكفن! مثل لطخة سخام. لا، ليست هذه. إنه أثر إصبع. من تكون غير زوجة ابني! وهذه البقعة كأنها من لعابها السائل. آه يا ربي! هل رأتها ؟ أظنها كانت هناك. فقط لو كنت أملك أن أفعل شيئا حيال هذا...
انظروا إلى العبث الذي فعلته بكفني. قلت دومًا إن هذه المرأة والمرأة الأخرى، ، لا ينبغي لهما قط أن تُمنحا قطرة شراب حتى يتحرك الجثمان من الطريق الواقع خارج البيت. حذرت ألا يدعهما تقتربان من كفني إذا شربتا ولو قطرة واحدة. كل ما كانتا تريدانه في حياتهما أن تجدا جثة هنا أو هناك أو حول المكان. من الممكن أن تكون الحقول متفجرة بالمحاصيل، وستظل كلتاهما هناك، إذا استطاعتا تسول بضعة بنسات في كل جنازة...
على أي حال لديّ الصليب على صدري، الصليب الذي اشتريته بنفسي في الإرسالية... لكن أين الصليب الأسود الذي جلبته لي زوجة ، المتفاخر بورعه، من نوك[1] في تلك المرة الأخيرة التي كان عليهم فيها أن يقيدوه؟ طلبت منهم أن يضعوا ذلك الصليب على صدري أيضا. فهو ألطف بكثير من هذا الصليب. منذ أن أوقعه أطفال يبدو المُخلّص معوجا بعض الشيء. لكنه جميل في هذا الصليب الأسود. ما هذا؟ لا بد أن رأسي كالغربال. ها هو ذا، تحت عنقي بالضبط. شيء مؤسف أنهم لم يضعوه على صدري.
كان يمكنهم أن يلفوا حبات المسبحة بطريقة أفضل حول أصابعي. من الواضح أن هي من قامت بهذا. كانت لتوَدّ أن تسقط على الأرض وهم يضعونني في النعش. آه يا إلهي، من الأفضل لو تبقى بعيدة عني بأميال...
أبتهل إلى الله أن يكونوا قد أشعلوا الشموع الثماني على نعشي في الكنيسة. أعددتها وتركتها لهم، في ركن الخزانة تحت أوراق الإيجار. ذلك شيء لم يحظ به أي جثمان قط في الكنيسة: ثماني شمعات. حظي بأربع فقط. ، ابن الخياط، حظي بست شمعات فقط، ولديه ابنة راهبة في أمريكا.
أخبرتهم أن يأتوا بثلاثة أنصاف براميل من الجعة السوداء، وقال ابن قرية نوبير

إنه لو كانت هناك أي قطرة شراب في أي مكان، سيأتي بها دون سؤال. كان لا بد من كل هذا، بالنظر لكل هذه النقود التي تُدفع عند المذبح[2]. أربعة عشر أو خمسة عشر جنيها على الأقل. أقول لكم إني أنفقت شلنا أو اثنين، أو أرسلت شخصا ما إلى كل أنواع الأماكن التي كانت ستشهد جنازة، خاصة خلال الخمس أو الست السنوات الأخيرة عندما شعرت بجسدي يخذلني. أظن أن كل أهل الجبل قد أتوا. سيكون من المؤسف ألا يأتوا. لقد ذهبنا إلى جنازاتهم. هكذا يُنفَق جنيه أولا. وسيتبع أهل *بحيرة ديري * أصهارهم. جنيه آخر أنفق جيدا. وجميع أهل يدينون لي بجنازة أيضا. لن أندهش إذا لم يأت ذو الكلام المعسول. لقد ذهبنا إلى كل جنازة تخصه. لكنه سيقول إنه لم يسمع بالخبر إلا بعد أن دُفنت. وبعد ذلك سيدخل في وصلة الغناء الرديئة إياها! *أؤكد لك يا ، كنت لأحضر الجنازة ولو كان ثمن ذلك حياتي. كنت مدينا بالقدوم إلى جنازتها حتى لو زاحفا على ركبتيّ. لكني لم أسمع شيئا، ولا كلمة، حتى ليلة دفنها. صبي صغير...* فشَّار حقيقي، ذو الكلام المعسول!...
ترى هل ناحوا عليّ جيدا؟ أعلم تماما أن لديها صوت مولول قوي باكٍ، إذا لم تكن ثملة أكثر من اللازم. وأنا واثقة أن كانت تدور متطفلة في المكان أيضا. تتظاهر بالبكاء وليس هناك من دمعة على خدها، تلك العاهرة! لم تكن لتجرؤ على الاقتراب من البيت وأنا حية...
آه! هي سعيدة الآن. ظننت أني سأعيش بضع سنوات أخرى وسأدفنها قبلي، العاهرة. لقد تداعت كثيرا منذ إصابة ابنها. وبالطبع كانت تذهب إلى الطبيب كثيرا قبل ذلك. لكن لا شيء خطير لديها. روماتيزم. طبعا لن يقتلها هذا في المدى القريب. وهي تعتني بنفسها كثيرا. لم أكن قط هكذا. والآن أعرف هذا. قتلت نفسي بالعمل والكدح... كان ينبغي أن أنتبه لهذا الألم قبل أن يصبح مزمنا. لكنه إذا أصاب كليتيك مرة، فقد انتهى أمرك.
على أي حال كنت أكبر بعامين من ... ، ثم أنا، ثم . في يوم عيد الملاك ميخائيل العام الماضي، حصلت على المعاش. لكني حصلت عليه قبل موعده المستحق. في الثالثة والسبعين تقريبا. ستموت قريبا، رغم كل جهودها. لا أحد من أسرتنا يعيش طويلا هكذا. وعندما تسمع خبر موتي، ستعلم أن أجلها اقترب أيضا، وعندئذ ربما ستكتب وصيتها... ستترك كل شيء . ستتغلب عليّ العاهرة في النهاية. لقد حلبت جيدا. لكن لو عشت قليلا حتى تقوم بكتابة وصيتها، لمنحتني نصف المال رغم أنف . متقلبة التفكير. كنت أكثر شخص تكتب إليه، خلال تلك الأعوام الثلاثة منذ انتقلت من بيت أهل في نوروود إلى بوسطن. إنها لراحة كبرى أن تترك بيت مصاصي الدماء ذاك على أي حال.
لكنها لم تسامح قط على زواجه من تلك البقرة من جورت ريبوك، وتركه ابنة في وضع محرج. لم تكن لتمر إلى جوار بيت أو قربه في تلك المرة التي عادت فيها إلى الوطن من أمريكا لولا أن ابن تزوج من ابنة . ولم كانت ستذهب؟... إنه أقرب لزريبة منِه لبيت. وزريبة صغيرة قذرة أيضا. بالطبع بيت لا يناسب أحدا من

الأمريكان. لا أعرف كيف تحملت كل هذا، بعد بيتنا وتلك البيوت الأمريكية الهائلة. لكنها لم تمكث هناك طويلا قبل أن ترحل من جديد...
لن تعود إلى آيرلندا مرة أخرى في عمرها. لقد اكتفت من هذا الآن. لكن من يعلم، قد تنتابها الرغبة في السفر مرة أخرى عندما تنتهي هذه الحرب، لو كانت مازالت بين الأحياء. أما بالنسبة ، فيمكنها أن تسرق العسل من خلية النحل، فهي خبيثة جدا وماكرة. فلتهب ريح عاصفة تطيح تلك العجوز الشمطاء! رغم أنها فارقت أسرة في نوروود، إلا أنها مازالت تحمل اهتماما كبيرا بابنته ... ألم يكن ابني أحمق صغيرا بعدم استماعه لنصيحتها والزواج من ابنة الصعلوك القبيح؟ *لا فائدة من الاستمرار في المحاولة معي..* هكذا قال الأحمق الصغير. *لن أتزوج ابنة ولو كانت آخر امرأة في آيرلندا.* انصرفت إلى لا تلوي على شيء وكأنها تلقت صفعة على وجهها، ولم تقترب قط من بيتنا مرة أخرى، إلا عندما دخلت للحظة يوم عودتها إلى أمريكا.
... حبيبي. هو الرجل المناسب لهم.
لو هُزمت إنجلترا سيكون هذا البلد في حال سيء. لقد خسرنا السوق بالفعل...
... أنتم يا نسل ذي الأذن الواحدة، أنتم من تركتموني هنا قبل أواني بخمسين عاما. كان نسل الأذن الواحدة مستعدين دوما بالضرب تحت الحزام. سكاكين، حجارة، زجاجات. لم تكونوا لتقاتلوا كالرجال، بدلا من طعني...
دعوني أتكلم! دعوني أتكلم...
يا يسوع ومريم ويوسف! – هل أنا حية أم ميتة؟ هل هؤلاء الموجودون هنا أحياء أم أموات؟ إنهم يتصايحون كالديكة بالضبط مثلما كانوا يفعلون فوق الأرض! ظننت أنني عندما أموت سيمكنني أن أستريح في سلام، أنه لن يكون عليّ أن أعمل، أو أقلق حول البيت أو الطقس، أني سأتمكن من الاسترخاء... لكن لماذا كل هذا الضجيج والشجار في طين المقابر؟...

٢

... من تكونين؟ هل أنت هنا منذ مدة طويلة؟ هل تسمعينني؟ لا تكوني خجولة. كوني على راحتك كما لو أنك في البيت. أنا .
يا الله! التي كانت تعيش في البيت المجاور طيلة حياتي؟ أنا . . هل تذكريني يا ؟ أم أن المرء ينسى كل شيء هنا؟ أنا لم أنس أي شيء بعد على أي حال.
ولن تنسي. الحياة هنا تشبه كثيرا ما كانت عليه في *الريف القديم* باستثناء أننا لا نرى إلا القبر الذي نحن فيه، ولا يمكننا مغادرة توابيتنا. لن تسمعي الأحياء أيضا، أو تعرفي ما يحدث لهم؛ إلا مما سيخبرك به الموتي المدفونون حديثا. لكننا جيران مرة أخرى يا . هل أنت هنا منذ مدة طويلة؟ لم أسمع بك وأنت قادمة.
لا أعرف إن كنت قد مت يوم عيد القديس باتريك أم اليوم الذي بعده يا . كنت مرهقة تماما. ولا أعرف كم المدة التي لبثتها هنا أيضا. ليست فترة طويلة جدا على أي حال... أما أنت فمدفونة منذ زمن طويل الآن يا ... صحيح جدا. تكملين أربع سنوات في عيد الفصح القادم. كنت أفرد قطعة من السماد في الحقل الغائر عندما جاءت فتاة صغيرة من بنات إليّ وقالت * تعاني من سكرات الموت..*. وبعد ذلك، صدقي ذلك أو لا تصدقي، كانت الصغيرة تدخل للتو من الباب عندما وصلتُ إلى آخر السياج. كنتِ قد فارقتِ الحياة. أغلقتُ عينيكِ. وقمت أنا بتكفينك. وبفضلنا، حسنا، قال الجميع إنك بدوت رائعة الجمال على الفراش. لم يكن هناك ما يدعو أحدا للتذمر. كل من رآك يا ، كلهم قالوا إنك كنت جثمانا جميلا. لم يكن هناك جزء منك.. ولا شعرة خارج مكانها. كنت نظيفة وناعمة كما لو أنهم قاموا بكيِّك على الفراش...
... لم أمكث وقتا طويلا يا . كانت كليتاي تعانيان من الفشل منذ وقت طويل. حالة انسداد. شعرت بألم فظيع فيهما منذ خمسة أو ستة أسابيع، وأصابني برد علاوة على ذلك. انتقل الألم إلى بطني ومنها صعد إلى صدري. لم أبقَ إلا حوالي أسبوع... لم أكن عجوزا إلى هذا الحد إطلاقا يا . كنت في الواحدة والسبعين فقط. لكني عشت حياة صعبة. عشت حياة صعبة بالفعل، يعلم الله كم كانت صعبة وكيف بدت عليّ علاماتها. وعندما ضربتني، ضربتني بقوة. ولم تكن لديّ قدرة باقية على المجاهدة...
قد تقولين هذا يا بالفعل. تلك العاهرة من *جورت ريبوك * لم تساعدني ولو قليلا. ترى أي شيطان دفع ابني ليتزوج امرأة على شاكلتها أصلا؟... بارك الله فيك يا ، لديك قلب من ذهب، لكنك لا تعرفين نصف ما عانيت، ولم تخرج من شفتيّ كلمة عن الأمر. مرت ثلاثة شهور الآن وهي لم ترفع إصبعا... طفل آخر. لقد نجت بالكاد. وأقول إنها لن تنجو قط في المرة القادمة... لقد أنجبت حزمة من الأطفال ليس فيهم مقدار أوقية من عقل باستثناء ، الفتاة الكبرى، والتي تذهب إلى المدرسة كل يوم. وكنت أنا من أكدح قدر ما أستطيع كالثور المربوط

في الطاحونة، أنظفهم وأبعدهم عن النار وأقدم لهم لقمة يأكلونها... أنت على حق يا . لن يبقى بيت الآن بعد أن رحلت. بالتأكيد هذه العاهرة ليست مهيأة لإدارة بيت، امرأة تقضي كل يوم وآخر في الفراش... والآن ها أنت قلتيها يا صديقتي! يستحق والأطفال الشفقة...
كان الأمر كذلك بالفعل. أعددت كل شيء يا ، الكفن والوشاح وكل شيء... بأمانة يا ، كانت هناك ثماني شمعات فوقي في الكنيسة، حقا وصدقا... ووُضعت في أفضل تابوت لدى محل . أقول لك إنه كلف خمسة عشر جنيها بالتمام والكمال... واسمعي هذه: لم تكن عليه صفيحتان فقط، بل ثلاث، صدقيني... وكل واحدة منها صورة طبق الأصل من المرآة الفخمة في بيت القس...
وعد أن يضع صليبا من رخام كونيمارا على قبري: بالضبط مثل الصليب الموجود على قبر ، ويكتب عليه باللغة الآيرلندية: *، زوجة ...* قال هذا بنفسه، لا كذب. لا تظني أني طلبت منه أن يفعل هذا يا ، فأنا لم أكن لأحلم به... وقال إنه سيضع سياجا حوله بالضبط مثل السياج المحيط بقبر ، وأنه سيزينه بزهور –لتحل عليّ اللعنة إن كنت أستطيع تذكر ماذا كان اسمها– من النوع الذي كانت تضعه على ثوبها الأسود بعد موت . *هذا أقل ما يمكننا فعله من أجلك..* هكذا قال . *بعد كل المشاق التي تحملتيها من أجلنا...*
لكن قولي لي يا ، أي جزء من المقبرة هذا؟... صحيح تماما، إنها أرض الخمسة عشر شلنا... والآن يا ، أنت تعلمين في قرارة نفسك أني لم أكن لأتوقع أن أدفن في أرض الجنيه. طبعا لو كانوا وضعوني فيها لم أكن لأستطيع أن أفعل شيئا حيال ذلك، لكن التفكير في أني قد كنت أريد أن...
، أهكذا؟... لقد دفنتها تقريبا. لو كنت عشت فترة أطول قليلا... تلك الحادثة التي جرت لابنها، التي هزتها فعلا... ضربته شاحنة قرب الساحل منذ عام أو عام ونصف، وهشمت وركه. لم يعرفوا في المستشفى إن كان سيعيش أم سيموت طوال ما يقرب من أسبوع...
أوه، سمعتِ بالأمر بالفعل، أليس كذلك؟... قضى ستة شهور أخرى ممددا على ظهره... ولم يفعل شيئا منذ عودته إلى البيت، فقط يعرج في أنحاء المكان على عكازين. ظن الجميع أنه هالك لا محالة...
الأطفال ليسوا بعون له يا ، ما عدا الوغد الأكبر، وهو فتى حقير... ولمَ لا يكون! مثله مثل جده الذي يحمل اسمه، ، سلالة قبيحة من البؤس. ناهيك عن جدته الضئيلة . ونسلها لم يلقوا بذرا في الربيع يستحق الذكر طوال العامين الماضيين... الإصابة ضربة قاسية ابنة . لقد نلت تماما من هذه العاهرة. حصدنا محصولا من البطاطس يزيد عن محصولها ثلاث مرات هذا العام.
آه! فليبارك الرب براءتك يا ! ألم يكن الطريق طويلا وعريضا بالنسبة له كما هو بالنسبة لأي شخص آخر كي يبتعد عن طريق الشاحنة؟... خسر ابن القضية يا . قال له القاضي: *لن أمنحك سنتا أحمر*... استدعى سائق الشاحنة إلى جلسات المحكمة منذ ذلك الوقت، لكن القاضي لم يسمح لابن أن يفتح فمه. وسيرفع

القضية إلى المحكمة العليا في دبلن قريبا، لكن هذا لن يفيده شيئا أيضا. أخبرني المحامي شخصيا أن أسرة لن تحصل على مليم نحاسي. وقال: *علامَ؟ على الجانب الخطأ من الطريق!* أصدقك القول يا . لن تحصل على سنت يتيم من القانون. وهذا ما تستحقه. أقول لك، لن تمر إلى جوار بيتنا كثيرا من الآن فصاعدا وهي تغني *إليانور ذات الأسرار*[3] ...
آه، المسكين ليس بخير أيضا يا ماجي. طبعا لم تهتم به قيد أنملة قط، ولا ابنة منذ أن دخلت بيتهم... أليست أختي يا ؟ وكيف لي ألا أعرف؟ هي لم تعط أقل لمحة من الاهتمام، ولا القليل منه. كانت دائما مهتمة بنفسها. لم تهتم أدنى اهتمام بكائن من كان في هذا العالم العريض غير نفسها... أقول لك يا ، وأنا أخبرك بحق الله، عاش حياة قاسية بسببها، تلك العاهرة... يا ؟ كما كان دائما... في جُحر كوخه طوال الوقت. لكنه سيقع فوقه يوما ما قريبا... آه، ألم يأت ابني ويعرض أن يضع سقيفة من القش عليه؟ لكني قلت له: *اسمع يا ، لا شأن لك إطلاقا بوضع سقيفة قش على حطام بيت . يمكن أن تفعل هذا إن أرادت. وإذا فعلت هذا، فلنفعل مثلها نحن أيضا*...
فقال : *لكن لا تملك أحدا يساعدها منذ تحطمت ساق ..*
فقلت: *لدى كل شخص ما يكفيه كي يفعله لنفسه، على كل شخص أن يسقف مكانه، حتى لو كان شخصا عديم النفع مثل .*
يقول: *لكن البيت سيسقط عليه..*
فأقول: *يمكنه أن يسقط عليه لو أراد، لدى ما يكفي في طبقها دون ملء فم بالخراء. هذا هو الأمر يا يا صغيري، اصبر الآن يا رجلي الطيب. مثل فأر في سفينة غارقة. سيأتي زاحفا إلينا كي يبتعد عن المطر*...
هل قلتِ ؟... من الغريب أن نكتشف المزيد عنها هنا... أعرف أكثر من اللازم عنها وعن كل واحد من نسلها وبذرتها يا ... تنصت إلى كل يوم؟ إلى ، الرجل المسكين... يقرأ !... ... آه يا إلهي... هذا الرجل لا يحمل احتراما كبيرا لنفسه... يقرأ أشياء ... طبعا هذه المرأة لا يوجد شيء بين أذنيها غير الخواء. ومن أين كانت لتعرف شيئا؟ امرأة لم تضع قدما في مدرسة إلا إذا كان هناك يوم للتصويت في اقتراع... لعمري إنه لعالم غريب لو أن يجري حوارا مع . ماذا تقولين يا ؟... أنه مغرم بها جدا أيضا؟ إنه لا يعرف أي نوع من النساء هي يا ... لو عاشت ابنتها في نفس البيت معه لمدة ستة عشر عاما كما حدث معي، لعرف أي نوع من النساء هي. لكني سأخبره... عن البحَّار وكل شيء...
...* كانت لديه ابنة
عريضة كأي رجل...*
خمسة في ثمانية تساوي أربعين، خمسة في تسعة تساوي خمسة وأربعين، خمسة في عشرة... آسفة يا سيدي، لا أذكر...
بينما كنت منطلقا إلى السوق، أبحث عن امرأة أجدها
كان معي عشرون، ولعبت آس القلوب الحمراء. أخذت الملك من شريكك.

تفوق عليّ بالولد. لكن كان معي تسعة، وشريكي للحظ...
لكن كانت معي الملكة، وكنت أدافع...
كان سيلعب خمسة من اللون الرابح، وكان سيهزم بها تسعتك. ألم يكن هذا ما ستفعله يا ؟
لكن عندئذ أطاح اللغم بمنزلنا في الهواء...
لكننا كنا سنفوز بالدور على أي حال...
مستحيل. لولا اللغم...
... ساعدنا يا رب، الآن وإلى الأبد...
... مهرة جميلة بغرة بيضاء. كانت فاتنة...
لا أستطيع سماع شيء يا . آه يا إلهي القدير وأمه الغالية... مهرة بغرة بيضاء... خمسة من اللون الرابح... لا أستطيع سماع هذا...
كنت أقاتل من أجل الجمهورية...
لم يطلب منك أحد أن تفعل هذا...
طعنني...
لكنه لم يطعنك في لسانك على أي حال. فليحل عليكما وباء الصلع أنتما الاثنان! لقد تلف عقلي منذ جئت إلى هنا. آه يا ، فقط لو أمكن لنا أن نجد خلوة هادئة لنا! فوق الأرض، إذا لم تعجبك الصحبة كان بمقدورك مغادرتها والذهاب إلى مكان آخر. لكن للأسف والأسى، لا يمكن للموتى أن يتزحزحوا شبرا في طين المقابر...

٣

... وبعد كل هذا دُفنت في مقبرة الخمسة عشر شلنا! رغم كل تحذيراتي... لا بد أن بسمة عريضة كباب حظيرة ملأت وجه ! والآن ستُدفن هي بالتأكيد في مقبرة الجنيه. ولن أندهش قيد أنملة لو كانت هي من جعلت يدفنني في مقبرة الخمسة عشر شلنا بدلا من مقبرة الجنيه. لم تكن لتجرؤ على الاقتراب من البيت أو المرور إلى جواره إلى أن عرفت بموتي. لم تضع قط قدما على عتبة بيتي منذ يوم زواجي... هذا إن لم تكن قد تسللت داخلة إليّ بينما كنت أحتضر.
لكن مغفل قليلا. لقد استسلم لكلامها المعسول. وستوافقها زوجته: *بحق الله، أنت على حق يا العزيزة. مقبرة الخمسة عشر شلنا مكان جيد بما يكفي لأي أحد. نحن لسنا مليونيرات...*
مقبرة الخمسة عشر شلنا مكان جيد بما يكفي لأي أحد. كانت لتقول هذا.. وماذا كانت لتقول غير هذا؟ ابنة . لكني سأنال منها! ستحل هنا في ولادتها القادمة بالتأكيد. والله سأنال منها! لكن في هذه الأثناء سأنال من أمها – سأنال من نفسها.
. من هناك في جورت ريبوك. جورت ريبوك ذات البرك والمستنقعات. كنا نسمع دائما أنهم يحلبون البط هناك. محدثة النعمة! والآن هي تتعلم من ! على أي حال

حان الوقت لها كي تبدأ. لم يكن ممكنا لأي معلم أن يتحدث إليها في أي مكان في العالم إلا هنا في المقابر، ولم يكن حتى ليفعل هذا لو أنه عرف من كانت...
إنه خطأ ابنتها الذي أدى بي إلى هنا قبل عشرين عاما من أواني. لقد هلكت طوال الشهور الستة الأخيرة في العناية بأطفالها الجربانين. وهي مريضة سواء كانت حبلى أو لا. والطفل القادم سيودي بها، لا محالة... سيكون المسكين أفضل حالا لو نجا منها، أيا كان الطريق الذي سيسلكه بدونها. لكن كان الابن الحرون. *لن أتزوج غيرها قط يا أمي..* هكذا قال. *سأرحل إلى أمريكا وأترك المكان خرابا وحطاما، بما أنك لا تحبينها...*
كان هذا عندما عادت إلى الوطن من أمريكا. توسلتْ إليه واستعطفته كي يتزوج من ابنة . كانت بالفعل مهتمة جدا بتلك العاهرة القبيحة الضئيلة ابنة لسبب ما. *اعتنت بأمري جيدا عندما كنت في الولايات المتحدة..* هكذا قالت. *خاصةً عندما كنت مريضة للغاية، وكل أهلي بعيدون عني بأميال. ابنة شابة صغيرة واسعة الحيلة، ولديها مدخرات جيدة خاصة بها بالإضافة إلى ما سأعطيه لها. كنت مغرمة بك يا ..* هكذا تقول. *أكثر من أي واحدة أخرى من أخواتي. وأفضل أن أترك مالي في بيتك بدلا من أي شخص آخر يمت إليّ بصلة. وأحب أن أرى ابنك بحال أفضل في هذا العالم. لديك اختياران الآن..* هكذا قالت له. *أنا سأعود سريعا إلى أمريكا، لكني لن أرحل قبل أن أرى ابنة مستقرة هنا، لأنها بلا حظ إطلاقا هناك. تزوجها يا . تزوج ابنة ، ولن أترككما في عوز. لديّ أكثر مما أحتاجه في رحلة العودة. لقد طلبها بالفعل ابن . نفسها حدثتني في الأمر منذ بضعة أيام. ستتزوج من ابن إذا لم تتزوج منها يا . إما هذا أو فلتذهب وتتزوج من تريد، لكن لو فعلت...*
سأمضي في هذا الأمر قريبا.. قال . *لن أتزوج أي امرأة أخرى على وجه الأرض غير ابنة من جورت ريبوك...*
وتزوجها.
وكان عليّ أن أكسوها. لم تكن لديها حتى رسوم الزواج، ناهيك عن المَهر. مَهر من نسل ذوي الأقدام المتسخة! مَهر في جورت ريبوك ذات البرك والمستنقعات حيث يحلبون البط!... تزوجها، ومن ساعتها وهي معه كأنها ظل الموت. لا تستطيع أن تربي خنزيرا ولا عِجلا، ولا دجاجة ولا أوزة، ولا حتى البط الذي كانت معتادة عليه في جورت ريبوك. بيتها قذر. أطفالها قذرون. ولا يمكنها أن تفلح الأرض أو تجمع شيئا من الشاطئ...
كان الخير وفيرا في ذلك البيت حتى دخلته. كنت أبقيه نظيفا ومجلوا. لم تمر ليلة سبت في السنة دون أن أخرج كل مقعد ومنضدة قرب الجدول لأغسلهم. كنت أغزل وأمشط. وكانت لديّ أكياس بها كل شيء. ربيت الخنازير والعجول والدواجن... طالما كان لديّ الحول والقوة لفعل هذا. وعندما لم يعد لديّ منهما شيء كنت أخزي ابنة بما يكفي حتى أنها لم تستطع أن تجلس مستقرة على مؤخرتها...

لكن ماذا سيحدث للبيت الآن من دوني؟... ستشعر الوقحة برضا عظيم على أي حال... سيمكنها هذا تماما. فلديها في بيتها امرأة تجيد الخبيز والغزل: ابنة . من اليسير عليها أن تضحك ملء فيها على ابني المغفل الذي ليس لديه إلا تلك العاهرة الشعثاء. ستمر ببيتنا كل يوم وآخر قائلة: *لقد حصلنا بالفعل على ثلاثين جنيها مقابل الخنازير... كانت صفقة جيدة لو كان لديك بعض الماشية. حصلنا على ستة عشر جنيها مقابل العجلين... ورغم أنه ليس موسم وضع البيض، إلا أن ابنتنا مازال في جعبتها بعض الحيل. لقد جلبت ثمانين بيضة إلى جالواي يوم السبت... فقست دجاجاتنا أربع مرات هذا العام. تبيض الدجاجات كلها مرة ثانية. وكانت لديّ فقسة أخرى بالأمس. *الفقسة الصغيرة للشوفان الناضج * هكذا أسماها عندما رآني أضعها تحت الدجاج...* ستمشي مختالة تتمخطر وكأن النمل يقرص مؤخرتها عندما تمر ببيتنا. ستعرف أني لست هناك. ! المومس! قد تكون أختى، لا بأس، لكني أتمنى وأصلي ألا تأتي جثة أخرى إلى المقابر قبلها...!

٤

... كنت أحارب من أجل جمهورية آيرلندا، وأنت قتلتني أيها الخائن! كنت تحارب من أجل إنجلترا في نفس الوقت الذي كنت تحارب فيه من أجل الجمهورية الحرة... بندقية إنجليزية في يدك، ومال إنجليزي في جيبك، وحب إنجلترا في قلبك. بعت روحك وتراث أسلافك مقابل طبق من العصيدة، مقابل *صفقة متبادلة*، مقابل وظيفة...

هذا كذب! كنتَ مجرما، تحارب ضد الحكومة الشرعية...

... أقسم بخشب بلوط هذا التابوت يا ، أقسم أني أعطيتها، أعطيت الجنيه...

... شربتُ اثنين وأربعين قدحا...

أذكر هذا جيدا أيها الحثالة. فقد التوى كاحلي يومها...

... غرستَ السكين داخلي ما بين أحشائي وأعلى ضلوعي. مرت عبر حافة كبدي. ثم لويتها. تلك الضربة القذرة كانت دائما سمة لنسل الكلاب ذوي الأذن الواحدة...

... أطلب الإذن بالحديث! دعني أتكلم...

هل أنت مستعدة لساعة القراءة الآن يا ؟ سنبدأ اليوم رواية قصيرة جديدة. انتهينا من *رجلان وزمرة نساء * منذ يوم أو اثنين، أليس كذلك؟ عنوان هذه الرواية القصيرة هو *القبلة الحمراء الساخنة *. أنصتي الآن يا : *كانت نوالا فتاة بريئة حتى التقت تشارلي برايس في الملهى الليلي...* أعرف. ليس هناك سلام ولا خلوة ولا فرصة للثقافة هنا... وبالضبط كما تقولين يا ؛ كل ما يتحدثون عنه دوما هو تفاهات بائسة... أوراق اللعب، الخيول، الخمر، العنف... لقد أزعجنا تماما بحديثه كل يوم عن فرس سباقه... أنت على حق تماما يا العزيزة... لا توجد أي فرصة هنا لشخص يريد أن يثقف عقله. تلك هي الحقيقة المطلقة يا . هذا المكان في سوء أخلاقه وغباوته وهمجيته أشبه بما يحدث هناك وسط حثالة مقبرة النصف جنيه... لقد عدنا بالفعل إلى عصور الظلام منذ أن بدأ دفن عديمي السراويل[4] في مقبرة الخمسة عشر شلنا، هؤلاء الذين راكموا أكواما من المال جنوها من الصدقات... سأخبرك كيف كنت لأقسِّم هذا المكان، لو كان ذلك بإمكاني: هؤلاء الذين ارتادوا الجامعة يكونون في مقبرة الجنيه، وهؤلاء الذين... أليس هكذا يا ؟ إنه لَخزي يبعث على البكاء بالفعل أن يكون بعض من تلامذتي ممددين هنا بجواري... يحبطني بالفعل أن أعلم مقدار الجهل الذي مازالوا عليه بعد كل الجهد الذي صرفته عليهم... وبمقدورهم أحيانا أن يكونوا وقحين إلى حد كبير ولا يبدون ما يجب من احترام... لا أعرف ما الذي يحدث للأجيال الجديدة... أنت على حق يا ... أظن أنه نقص في الثقافة...

كانت نوالا فتاة بريئة حتى التقت تشارلي برايس في الملهى الليلي... ملهى ليلي يا ؟... ألم تذهبي قط إلى ملهى ليلي؟ طيب، الملهى الليلي لا يختلف كثيرا عن هذا المكان... آه، لا يا . الملاهي الليلية ليست هي نفس الأماكن التي يتردد

عليها البحارة. تلك الأماكن تُسمى بالمواخير يا . أما الأشخاص المتعلمون المثقفون فيذهبون إلى الملاهي الليلية... كنت لتودين الذهاب إلى إحداها... لم تكن فكرة سيئة حقا مسألة وضع اللمسة الأخيرة على تعليمك، القليل من الصقل، ختمه بطريقة لائقة... ذهبت إلى ملهى ليلي ذات مرة، عندما رفعوا مرتبات المعلمين، قبل أن يخفضوها من جديد مرتين. ورأيت أميرا أفريقيًا هناك... كان أسود مثل حبة توت، ويشرب الشامبانيا... تودين الذهاب إلى ملهى ليلي يا ! ألست فتاة قليلة الحياء؟... أنت فتاة شقية يا ... شقية جدا...
أنت أيتها العاهرة الوقحة! يا ابنة من جورت ريبوك! أين قالت إنها تريد الذهاب يا أستاذ...؟ لعلها لا تحيا حتى تستمتع بهذا! احرص على ألا توليها انتباها يا أستاذي العزيز. لو عرفتها جيدا مثلما أعرفها لصممت أذنيك عنها. لقد قضيت الستة عشر عاما الأخيرة في شجار معها ومع ابنتها. لا ينبغي أن تزعج بالك وتضيع وقتك مع ذات القدمين المتسختين. لم تقض أكثر من يوم واحد تقريبا في المدرسة، ولا تعرف الفرق بين حروف الأبجدية وطاعون البراغيث في إبطها...
من هذه؟ من أنت...؟ . لا أصدق أنك هنا أخيرا... حسنٌ، مهما استغرق الأمر، ينتهي بك الأمر هنا... مرحبا على أي حال يا ، مرحبا بك... أخشى أنك يا ... ماذا أقول؟... قاسية أكثر قليلا من اللازم على ... أقصد على . لقد تحسن عقلها كثيرا منذ الوقت الذي كنتِ فيه معتادة على... ما التعبير الذي استخدمتيه يا ؟... نعم... في شجار معها... من الصعب علينا هنا أن نظل متتبعين لسير الوقت، لكن لو أني فهمتك على نحو صحيح، فقد أمضت هنا الآن ثلاث سنوات، تحت التأثير النافع للثقافة... لكن قولي لي يا ... هل تتذكرين الخطاب الذي كتبته من أجلك لأختك في أمريكا؟... كان هذا آخر خطاب كتبته على الإطلاق... في اليوم التالي أصابني مرضي الأخير... أمازال هناك جدل حول تلك الوصية...؟
أتتني خطابات كثيرة من منذ كنت تكتب لي يا أستاذ. لكنها لم تؤكد أو تنكر شيئا قط عن المال. جاءنا ردها على ذلك الخطاب الذي تكلمت عنه يا أستاذ. كانت تلك هي المرة الأخيرة التي ذكرت فيها شيئا عن وصية: *لم أكتب وصيتي بعد..* هكذا قالت. *أتمنى ألا أصاب بمرض مفاجئ أو عرضي كما كنت تتخيلين في خطابك. لا تقلقي. سأكتب وصيتي في الوقت المناسب، عندما أرى ذلك ضروريا.* عندما جاء هذا الخطاب قلت لنفسي: *لا بد أن من كتب لها هذا معلم. لم يكن لدى أهلنا قط ذلك النوع من الحديث.*
إنه -خليفتك- من يكتب لنا الآن يا أستاذ، لكني أخشى أن يكون القس هو من يكتب . بمقدور هذه الشمطاء أن تدور حوله بدجاجاتها وجواربها المخيطة بالتريكو وحيلها الملتوية. هي ماهرة في هذا يا أستاذ. كنت أعتقد أني سأبقى بضع سنين أخرى وأدفن تلك العاهرة قبلي!...
على أي حال، لقد بذلتَ أقصى جهدك من أجلي بشأن الوصية يا أستاذ. كانت لك يد متمكنة من القلم يا أستاذ. كثيرا ما رأيتك تكتب خطابا، واعتدت أن أفكر أن قلمك كان قادرا على تسويد الورق بالكلمات بنفس السرعة التي كان يمكنني

بها حبك الغرز في جورب... واعتدت أن أقول: *فليرحم الرب المسكين! كان خدوما جدا. لو جاد عليه الرب بمزيد من الوقت لأتى لي بالمال...*
أعتقد أن الأستاذة -أقصد زوجتك يا أستاذ- ستقيم قريبا بيتا جديدا. ولم لا؟ هي مازالت شابة نشيطة، بارك الله فيها... أستميحك عذرا يا أستاذ! لا تبالِ بأي شيء أقوله. أنا دائما أثرثر هكذا، لكن بالطبع لا يمكن للمرء أن يتجنب هذا... أيها الأستاذ العزيز، لم يكن ينبغي أن أخبرك على الإطلاق. ستشعر بالقلق عليها. ظننت أنه سيثلج صدرك سماع أن الأستاذة ستتزوج مرة أخرى...
آهٍ، بربك، لا تلمني يا أستاذ... أنا لست ثرثارة... لا يمكنني أن أخبرك من يكون الرجل... آه، من فضلك يا أستاذ، لا تلح عليّ... لو تصورت أن هذا سيجعلك قلقا هكذا لما نطقت بكلمة...
كانت قد أقسمت قسما مغلظا أنها لن تتزوج من رجل آخر، أليس كذلك يا أستاذ؟ آه، بربك!... ألم تسمع قط بالقول السائر أن النساء المتزوجات هن الأفضل... لم تكن قد بردت بعد في قبرك عندما وضعت عينها على رجل آخر. أعتقد، بأمانة، أنها كانت دائما طائشة قليلا...
... آه، لا، ليس هو، أبدا يا أستاذ... المعلم في بحيرة ديري؟ إنه رجل صالح. لا يلمس قطرة من شراب. هو وأخت القس -تلك الفسلة البائسة الضئيلة التي ترتدي البنطلونات- سيتزوجان قريبا. يقولون إنه سيدير المدرسة الجديدة هناك...
آه، لا، ليس بالتأكيد أيضا. يقولون إنه على علاقة بممرضة قصيرة بدينة في برايت سيتي... وهو ليس رجل بذور البطاطس[5] أيضا... هيا، قم بتخمين آخر يا أستاذ. سأعطيك فرصا كثيرة قدر ما تريد... لقد ذهب إلى إنجلترا يا أستاذ. لقد أخذوا منه الشاحنة وباعوها. لم يكن هناك طريق قطعه لشراء النجيل لم يترك فيه خيطا من ديون وراءه. خمن مرة أخرى يا أستاذ... هذا هو، تمام يا أستاذ، بالضبط، . أحسنت التصويب هكذا، بالضبط تخمين صائب. لديك رأس عظيم فوق كتفيك يا أستاذ، مهما يقل أي شخص آخر...
احترس الآن من . يمكنني أن أخبرك بأشياء يا أستاذ...
آه، انس أمر هذا الخبر الآن يا أستاذ، ولا تدعه يضايقك... ربما أنت على حق تماما... لم تكن مجرد الخطابات ما كانت تأتي به إلى المنزل... آه، كف عن هذا يا أستاذ... لقد كانت دائما طائشة قليلا، زوجتك...

٥

... أُرسلوا كمندوبين مفوضين لعقد اتفاقية سلام بين آيرلندا وإنجلترا...
وأنا أقول لك إنك كاذب حقير. لقد أرسلوا فقط كمبعوثين، وقد تجاوزوا سلطاتهم. لقد ارتكبوا خيانة تحمل البلد وسمها وآثارها...
مهرة بيضاء. كانت الأفضل. ولم يكن يزعجها أن تجر طنا ونصف...
... قسما بخشب بلوط هذا التابوت، يا ، لقد أعطيت الجنيه...

...*وابنة تلك
كانت طويلة كأي رجل
عندما كانت تقف على التل...*
... أوف! فلتذهب إنجلترا خاصتك وأسواقها إلى الجحيم. أنت قلق فقط على القروش القليلة التي لديك في البنك. حبيبي!...
... والآن يا ، أنا كاتب. قرأت خمسين كتابا مقابل كل كتاب قرأته أنت. سأقاضيك إن اعتقدتَ أني لست كاتبا. هل قرأت كتابي الأخير: *حلم قنديل البحر*؟ ... لم تفعل يا ؟ ... أستميحك عذرا يا . أنا آسف جدا. نسيت أنك لا تستطيع القراءة... إنها قصة قوية جبارة يا ... ولديّ ثلاث روايات ونصف، ومسرحيتان ونصف، وتسع ترجمات ونصف أرسلتها جميعا إلى *آن جوم *[6]، وقصة قصيرة ونصف، *الشمس الغاربة *. ندمي الأكبر هو أن *الشمس الغاربة * لم تُطبع قبل موتي...
إذا كنت تنوي القيام بالكتابة يا ، تذكر أن من التابوهات بالنسبة لدار آن جوم أن تنشر أي شيء قد تخفيه ابنة عن والدها... أستميحك عذرا يا . أنا آسف. اعتقدت أنك كنت تنوي أن تصبح كاتبا. لكن تحسبا لأن تنتابك هذه الحكة المباركة... فلا يوجد متحدث بالآيرلندية لا تنتابه تلك الحكة في وقت ما من حياته... يقولون إن العناصر الموجودة في الساحل المحيط بنا هي ما تسببها... والآن يا ، لا تكن وقحا... من واجب كل متحدث بالآيرلندية أن يكتشف إن كانت لديه موهبة الكتابة، خاصةً موهبة كتابة القصة القصيرة، والمسرح، والشعر... والموهبتان الأخيرتان أكثر شيوعا بكثير حتى من موهبة كتابة القصة القصيرة يا . خذ الشعر على سبيل المثال. كل ما عليك أن تفعله هو أن تبدأ من أسفل الصفحة وتشق طريقك صاعدا إلى أعلاها... إما هذا، أو تشخبط من اليمين إلى اليسار، وتترك هامشا كبيرا، لكن هذه الطريقة ليست شعرية تقريبا مثل الطريقة الأخرى...
أستميحك عذرا يا . أنا آسف للغاية. نسيت أنك لا تستطيع القراءة أو الكتابة... لكن القصة القصيرة يا ... سأشرحها لك هكذا. لقد شربت قدحا بنصف لتر من الجعة، أليس كذلك؟... نعم، أفهم... لقد شربتَ الكثير من أقداح الجعة القوية وفي العادة... لا يهمك كم شربت يا ...
شربتُ أربعة وأربعين قدحا واحدا بعد الآخر...
أعرف هذا... فقط انتظر دقيقة... أيها الرجل الطيب. دعني أتحدث... فلتتحل بقليل من الذوق ودعني أتحدث... لقد رأيتَ ما يكون أعلى قدح الجعة. الرغوة، أليس كذلك؟ رغوة من زَبَد قذر لا نفع منه. ومع ذلك، كلما زادت هذه الرغوة أعلى القدح، كلما تدلى لسانك أكثر من أجل القدح نفسه. وإذا تدلى لسانك من أجله ستشربه كله حتى الثمالة، حتى لو كان طعمه ماسخا. هل تفهم الآن يا ، البداية والوسط والنهاية في القصة القصيرة؟... احرص ألا تنسى يا ، أن النهاية لا بد أن تترك طعما حادا في فمك، طعم الشراب المقدس، الحلم بسرقة النار مِن الآلهة، بأخذ قطمة أخرى من تفاحة المعرفة... انظر إلى الطريقة التي

أنهيتُ بها تلك القصة القصيرة الأخرى: *شمس أخرى غاربة*؛ القصة التي كنت أعمل عليها لو لم أمت فجأة من تشنج شد عضلي خاص بالكُتَّاب: *بعد أن نطقت الفتاة بتلك الكلمة القاتلة، استدار على عقيبه، وغادر جو الغرفة الخانق، وخرج إلى الهواء العليل. كانت السماء مظلمة بسحب منذرة قادمة من البحر. ثمة شمس ضعيفة مطموسة الوجه كانت تغوص في الأرض خلف جبال البلدة القديمة...* هذا استعراض للعضلات يا : * ثمة شمس ضعيفة مطموسة الوجه كانت تغوص في الأرض*.. ولا حاجة لي كي أذكرك أن السطر الأخير بعد الكلمة الأخيرة يجب أن يكون مرشوشا بالنقط في سخاء، نقط الكاتب كما أدعوها... لكن ربما سيكون لديك الصبر كي تسمعني وأنا أقرأها لك كلها من البداية إلى النهاية...
انتظر الآن، يا صاحبي الطيب. سأحكي لك قصة: *كان يا ما كان ثلاثة رجال...*
! يا ! ليس هناك فن في هذه القصة: *كان يا ما كان ثلاثة رجال...* هذه بداية مبتذلة... انتظر الآن يا ، الصبر دقيقة واحدة. دعني أتحدث. أعتقد أني كاتب...
اغلقفمك أيها القربة القديمة المثقوبة. أكمل يا ...
كان يا ما كان ثلاثة رجال، وكان هذا في سالف الزمان. كان يا ما كان ثلاثة رجال...
نعم، أكمل يا ، أكمل...
كان يا ما كان ثلاثة رجال... آه، نعم، كان هناك ثلاثة رجال في سالف الزمان. ولا أعرف ما حدث لهم بعد ذلك...
... أقسم بالكتاب المقدس، الولد جاك...
... خمسة في أحد عشر تساوي خمسة وخمسين، خمسة في ثلاثة عشر... خمسة في ثلاثة عشر... لم نتعلم هذه إطلاقا... والآن إذًا يا أستاذ، لا أعرفها! ... خمسة في سبعة، هل هذا سؤالك يا أستاذ؟ هل هو خمسة في سبعة؟... خمسة في سبعة... سبعة... انتظر لحظة الآن... خمسة في واحد بخمسة...

٦

لكني لا أفهم هذا يا . بأمانة لا أفهم هذا. لقد كانت تتحدث عني بالسوء مع الأستاذ – أقصد تلك. لا غضاضة لديّ، لكني لم أفعل أي شيء قط لأستحق هذا. أنت تعرفين جيدا يا أني لا أتدخل قط في شأن أي شخص، لكوني مشغولة دائما بالثقافة. وهناك صليب كبير زاهٍ فوق قبري أيضا. باهر كما يقول الأستاذ الكبير. لقد أهانتني يا ...

أعتقد أنه كان يجدر بك البدء في التعود على لسان يا ...

لكن بالرغم من ذلك يا ...

... *مثل ثعبان بحر عالق في شص، بالحيلة أو بالحظ
ستوقع في الفخ.*

لكنها تحمل عليّ دوما، ولا تتوقف قط، أنا فقط لا أفهم هذا، بأمانة...

...*في كل صباح بزغ كانت تجيء
لتُفتفت كما تفعل بسمكة...*

... *ابنتي الجميلة، تزوجت ابنك ،
فجلب مهرها لكوخك الحقير قيمة وشكلا...*

*، أنت عديمة الحياء، أنت حقيرة وحقودة،
حاولتِ أن تشوهي سمعتي وتدمري اسمي...*

... أكاذيبها يا ! بأمانة الله! أتساءل ماذا تقول ... يا ... ... ماذا تقول عني؟...

فليرحمنا الله وينجينا دائما أبدا. أنا لا أعرف من تكونون على الإطلاق. أتمنى لو أنهم أعادوا بقاياي شرق برايت سيتي وأرقدوني مع أسلافي في تمبل براندون في السهول الجميلة لشرق جالواي...

! قلت لك من قبل، هذا النوع من الحديث *هراء مفرط العاطفية*. ماذا قالت ؟ سمعت أقذر حديث يمكنك تخيله منها عن أختها . قالت: *عسى ألا تأتي جثة أخرى إلى المقبرة قبلها..*. لن تسمعي حديثا كهذا في السهول الجميلة شرق جالواي...

! لكن ماذا قالت عني؟...

عن ابنتك...

... *لم يكن لديها قميص ولا ثوب زفاف
غير ما اشتريته لها من جيبي الخاص...*

قالت إنك من نسل ذوي الأقدام المتسخة وإنك مليئة بالبراغيث...

! [7] *De grâce*...

أنه كان هناك بحارة...

!Parlez-vous français, Madame, Mademoiselle Au revoir! Au revoir

...Mais c’est splendide. Je ne savais pas qu’il y avait une

[8] *Au revoir*. بأمانة يا ، لولا أن تعرفني جيدا لصدقت هذه الأكاذيب... !

العاطفية المفرطة مرة أخرى. أنت زميلتي الملاّحة في بحر الثقافة الذي لا حدود له يا . ينبغي أن تتمكني من فلترة كل حكم مجحف وكل تحامل قبل أن يدخل عقلك، كما قال في رواية *رجلان وزمرة نساء *...
... كان هو من ألفها، كما أقول...
ياه! هل كان هذا الانتهازي الصفيق؟...
في الحقيقة إذًا، لم يكن هو. لم يكن ليقدر على ذلك. بل كان هو من ألفها: *كانت تعتني بأمريكي عجوز
ولم تكن هناك فتاة أفضل منها يمكن العثور عليها في ولاية مين...*
بأمانة يا ، لقد نسيت كل ما يتعلق بأمور على وجه الأرض. إنها الثقافة يا . الثقافة ترفع العقل إلى ذرى شامخة وتفتح قصور الجنيات السحرية التي تسكن فيها العناصر الخفية للصوت والرؤية، بالضبط كما قال في *ضفائر الغروب*. يفقد المرء كل اهتمامه بالتفاهات البائسة للحياة الكئيبة. ثمة اضطراب جليل قد تملك عقلي لبعض الوقت الآن، جاء نتيجة لانهمار ثقافي ثقيل...
... *ولم تكن هناك فتاة مثلها في ولاية مين كلها
جاءت للبيت مرتدية ثيابا باذخة
بالمال الذي تركته العجوز الشمطاء على اسمها...*
لم تتزوج قط، لكنها كانت تعتني بحيزبون عجوز منذ ذهبت إلى أمريكا. ولعلمك، تركت العجوز لها مالها كله –حسنا، كله تقريبا– قبل أن تموت. كان يمكن أن تملأ كل قبور هذه الجبانة بالجنيهات الذهبية، على الأقل هذا ما يقولونه عنها يا ...
... كان هو من اختلق كل هذا الهراء. من غيره؟
*’آهٍ، يا عزيزتي..‘ قالت قطة ،
’لا تبالي بها يا عزيزتي..‘ قالت قطة ’لو حصلت على الذهب..‘ قالت قطة ،
’إنه في حوزتي الآن يا عزيزتي..‘ قالت قطة .*
كانت لتفضل أن تمحو اسم من وصية أكثر من أن تعيش لألف سنة أخرى...
*’لديّ جيب عميق لطيف..‘ قالت قطة .
’ولديّ جيب عميق لطيف..‘ ردت قطة .
’يتسع لمال عجوز شمطاء..‘ قالت قطة
’لم تعدك ..‘ قالت قطة .*
لقد جعلت كل معلم موجود في المنطقة بأسرها يفقد عقله تماما بإلحاحها على جعلهم يكتبون إلى أمريكا من أجلها...
المحامي...
أخبرني أنه كتب خطابات بليغة جدا من أجلها. لقد التقط الكثير من اللهجة الأمريكية من الأفلام...
ذلك عندما كان يُحضر الأستاذة إلى برايت سيتي في سيارته....
الشيء الذي يضايق حقا هو أنها ماتت قبل . كثيرا ما سمعتها وهي تصعد الزقاق وتتمتم لنفسها: *سأدفنها قبلي في طين المقابر.*

... قل لي الحقيقة يا . هل كتبت هذا الهراء؟
بل كتبه الكبير. وكتب *موَّال * أيضا و*موَّال...*
... لكن مازالت حية. وستحصل على ما في وصية الآن. فلا يوجد أخ أو أخت أخرى، هي فقط...
لست واثقة من هذا يا . كانت مغرمة جدا .
هل تعرفين ما اعتاد رئيسي أن يقوله عنهم، آل ؟ كان يقول: *متقلبون كديكة الرياح. لو ذهب أحدهم إلى السوق ليشتري بقرة سيعود بعد نصف ساعة بحمار. وسيقول لأول شخص يلقي بملاحظة حول الحمار: *أتمنى لو اشتريت بقرة بدلا من هذا الحمار الكسول العجوز! كانت لتغدو أكثر نفعا...*
...*ألن تأتي معي إلى البيت
هناك مكان لك أسفل شالي؛
وأقسم بكتاب الله، يا ،
سنغني للأبد...*
... إنه لقب غريب بالنسبة لرجل فعلا يا ... نعم، . يعيش هناك في أعلى أرض البلدة حيث كنت أعيش أنا . وكنت أعرف الأصلي، والد جاك.... . كان واحدا من آل فيني بالفعل... لا داعي للضحك يا ... ! *الفتى* لقب مقبول مثله مثل *دوتي* في أي وقت. حتى لو أنك قادمة في الأصل من سهول شرق جالواي؛ أقول لك إننا لم نفقس من بيض ولم تربنا دجاجات مثلنا مثلك...
De grâce يا ...
... *’سأتزوج ..‘ قالت كلبة ،
’سأتزوج ..‘ قالت كلبة ...*
رفضت رجالا كثيرين. كان أحدهم . كانت لديه قطعة أرض، وقدور من المال. نصحها أبوها أن ترتبط به. لكنها اعتبرته شخصا لا يستحق منها أن تمنحه قوتها...
... ابدأ تلك الأغنية من جديد، وغنِّها بشكل صحيح هذه المرة...
نهض ابن ومضى...*
... كان المرء ليعتقد أن الله وهب روحا حتى يتمكن من السير في الحياة مغنيا. لو سمعتِ صوته لمرة واحدة فقط لسكنك بقية حياتك. لا أعرف كيف أصيغها الآن...
حلم موسيقي.
تلك هي العبارة الصحيحة يا . مثل حلم غريب، بالضبط. تكونين في كرب فوق حافة جرف عال. والهوة تفغر فاها تحتك. ترتعشين من الخوف... ثم تسمعين صوت صاعدا إليك من الأعماق. يتغلب الغناء على خوفك. تتركين نفسك لتنساب منطلقة... تشعرين بنفسك تنزلق إلى أسفل... إلى أسفل... لتقترب أكثر من ذلك الصوت...
أواه يا ! ياله من شيء ساحر! بأمانة...
لم ألتق قط أحدا يمكنه تذكر أي أغنية بالضبط كان يغنيها. كنا ننسى كل شيء إلا

الروح التي كان يضعها في صوته. كل فتاة في الحي كانت تلعق الدرب الملتوي الذي كان يطأه إلى باب بيته. كثيرا ما رأيت فتيات عند المستنقع بمجرد أن يلمحن وحده فوق النجيل كن يزحفن عبر الطين والوحل فقط ليسمعنه يغني. رأيت تفعل هذا. ورأيت أختها نيل تفعل هذا...
شيء باهر تماما يا . يسمي المثقفون هذا بالمثلث الأبدي...
... *نهض وتنسم هواء الصباح الباكر
وانطلق يطارد النساء بألاعيبه في السوق...*
... حدث بالفعل يوم سوق الخنازير الكبير أن فرت مع . استشاط أهلها غضبا، قدر ما كان يمكنهم الغضب. لا أعرف إن كانت لديكم تلك العادة في شرق جالواي يا ، أن الابنة الكبرى لا بد أن تتزوج أولاً...
... *حملته عبر مسالك المستنقع
ومن خلال السبخات والطين
ولم يبال أحد بطيور الكروان
التي انزعجت وفرت مبتعدة عن أفراخها...*
عاش هناك في المستنقعات وكان كل ما لديه الأرض المقفرة والسبخة...
آه يا ، لم أر قط دربا وعرا مثل الدرب المؤدي إلى بيت . ألم يلتوِ كاحلي تلك الليلة وأنا عائد إلى البيت من حفل الزفاف في...
... نعم حدث ذلك، لأنك كنت شرهًا مثل خنزير، كالعادة...
... ليلة الزفاف في بيت آل انحشرت في ركن الحجرة الخلفية بوجه بائس كأسبوع مطير. كانت هناك عصبة صغيرة منا هناك. وكانت هناك. وبدأت تغيظ : *أعتقد حقا أنك ينبغي أن تتزوجي من ..* هكذا قالت. وكانت تعرف جيدا أن قد رفضته بالفعل...
كنت هناك يا . قالت : *لديّ الآن، وسنترك من أجلك يا .*
جن جنون . خرجت كعاصفة، ولم تقترب من الحجرة مرة أخرى حتى الصباح التالي. ولا ذهبت إلى الكنيسة في اليوم التالي...
كنت أقطف باقة من زهور الخلنج ذاك اليوم يا ، ورأيتها تتمشى في طريقها عبر المستنقع صاعدة التل الأصفر، رغم أن حفل الزفاف كان مستمرا في بيت ...
لم تخطُ بقدمها فوق عتبة ذلك اليوم ولا أي يوم بعده. كنت لتحسبين أن مصابة بداء الجدري من الطريقة التي كانت تعاملها بها. لم تسامحها قط على موضوع ...
... * عزيز بأرضه والأبقار
لكنه لن يكون في صحة قط من غير امرأة ودار...*
... رغم كل ثروته، فشل تماما في الحصول على امرأة. إنها لمعجزة صغيرة أنه لم يأت إليها زاحفا مرة أخرى...
... *بحق إبليس..* تقول ، *هاهو خنزير سمين صالح للتسخين،
ضعي الغلاية على النار: لعله يفهم الإنذار.*

كانوا يستخدمون مقبض القدر في حالات كتلك شرقي برايت سيتي. في الوقت الذي جاء فيه يدق الباب...
نرفضهم بهذه الطريقة أيضا في هذا الجانب من المدينة يا . بأمانة. في حالتي على سبيل المثال...
أسمعتِ بما فعلته أخت عندما جاء عاطل عجوز من بحيرة ديري طالبا يدها؟ أخرجت سكينا طويلا من الخزانة، وبدأت في شحذه في منتصف أرضية الحجرة. وقالت: *أمسك به من أجلي..*
أوه، كانت لتفعل ذلك بالتأكيد. نسل الكلاب ذوي الأذن الواحدة...
بعد كل هذا، لعلمك، تزوجت من من حينا، دون أن تقول نعم أو لا عندما جاء يطلب يدها...
بالله يا ، كان جيدا أكثر مما يجب بالنسبة لها...
كانت لديه قطعة أرض طيبة بها أفضل تربة خصبة...
والرغبة في فلاحتها...
وبيت فسيح جميل...
سال لعابها على البيت بالطبع. أن تكون أفضل حالا وأكثر مالا من . وأن تكون قريبة بما يكفي كي تتمكن كل يوم من رؤية أنها أفضل حالا وأكثر مالا منها إلى نهاية أيامها...
’لديّ صقر ضخم..‘ قالت قطة ’لديّ أفضل بقرات سمينات، وزبد وسمن كذلك...‘
*’أنا رقيقة ونافعة، محبة ومحتشمة،
وهو ما لا يمكن أن يقال عن قطة الصغيرة...‘*
أن تُري أنها، ، لم تكن في الجانب الخاسر من الصفقة، وأن بمقدور أن تتمتع بخيباتها وخساراتها. سمعت هذا وأكثر من فم نفسها. كان هذا انتقامها...
يا إلهي! لكن هذه قصة شيقة. أعتقد أني لن أتضايق من جلسة القراءة اليوم مع ... يا أستاذ... دعنا نفوّت الرواية القصيرة اليوم... لديّ عمل فكري آخر أقوم به. *Au revoir*...
كانت تعمل بجد ومهارة ونظافة في بيت . أعرف هذا جيدا؛ حيث كنت أسكن البيت المجاور لها. لم تطلع الشمس عليها قط وهي في الفراش. وكان مشط صوفها وعجلة غزلها يدوران مثرثرين ومهتزين في جلبة حتى وقت لا بأس به من الليل...
وكان بيتها مهيأ لهذا يا . كانت لديها الثروة والأسباب...
... دخلت متبخترا محل باري للمراهنات في برايت سيتي. كنت أضع يدي في جيبي وكأن به كومة من المال. وكل ما كان في حوزتي شلن. ألقيت به على المنضدة فجلجل وصلصل. قلت: *التفاحة الذهبية، سباق الساعة الثالثة. مائة إلى واحد... قد تفوز..* قلت وأنا أضع يدي في جيبي وأخرج مختالا...
... من المِحزن أني لم أكن هناك يا ، لم أكن لأدعه يفلت بها. لا ينبغي أن تترك

مهرطقا أسود كهذا يهين دينك.
*دين آبائنا، الإيمان المقدس
سنكون مخلصين لك حتى الموت
سنكون مخلصين لك حتى الموت...*
أنت واهن عديم الدم يا ، بتركك له يتحدث هكذا. لم أكن هناك كي ...
ضعا سدادة تغلق هذا الحديث! لم يكف كلاكما عن الجدال حول الدين طوال الأعوام الخمسة الماضية...
... ومع ذلك يا يقولون إنه بعد كل التنمر الذي أبدته تجاه فقد سعدت بها عندما مات زوجها. كانت في حالة سيئة ذلك الوقت، حيث كان باتريك مازال صغيرا بعض الشيء...
أنا سعدت ! أنا سعدت ! أنا كنت لآخذ شيئا من ؟ يا ربنا وأبانا القدير بملائكته المباركين، هل كنت لآخذ شيئا من وجه الخنزيرة تلك! سأنفجر! سأنفجر!...

٧

... *بساتين القراص في قرية دوناه* أنت قلت.
حتى القراص لم يكن لينمو على تلال قريتكم، فيها براغيث أكثر من اللازم...
... سقطتُ من فوق كومة من الشعير...
صدِّق إذًا، كما تقول، كنا أنا وذلك الرجل من قرية مِنلو نكتب لبعضنا البعض...
... *أتساءل هل هذه هي حرب الأجنبيِيْن[9]؟* قلت هذا ...
استيقظ يا رجل! انتهت هذه الحرب منذ عام 1918...
كانت مازالت دائرة عندما كنت أحتضر...
أقول لك استيقظ. ألم تمت منذ حوالي ثلاثين عاما؟ الحرب الثانية دائرة الآن...
أنا هنا منذ واحد وثلاثين عاما. يمكنني الزهو بشيء لا يمكن لأي واحد منكم أن يزهو به: كنت أول جثة في المقبرة. ألا تعتقدون أن أقدم ساكن في المقبرة ينبغي أن يكون لديه شيء يقوله؟ أطلب الإذن بالحديث. الإذن بالحديث...
... فعلا وقتها كانت لدى الثروة والأسباب يا ...
كان لديها بالفعل. لكن رغم أن بيتها كان أفضل من بيت ، إلا أن لم تترك الأمور تنفلت منها كذلك...
بارك الله في برائتك يا ! لم تبالي هي ولا بشيء غير التحديق ببلاهة في عينيّ أحدهما الآخر والغناء، حتى كبر ابنهما وأصبح قادرا على القيام ببعض العمل في تلك الأرض السبخة وتنظيف بعض هذه القفار البرية.
لم يكن لدى قرش باسمها حتى أتت ابنة بمهرها.
رغم كل انتقاداتك لبيتها، إلا أن ما أنقذها حتى النهاية هو قربه من النهر والبحيرة حيث كانت بعض الدجاجات البرية في الجوار. بالطبع لا أحد يعرف عن الأموال التي كان يعطيها صيادو الدواجن والسمك لها. أنا شخصيا رأيت الإيرل يضغط جنيها ورقيا في راحة يدها: جنيه ورقي جديد ناضر...
تسمون المستنقعات *fens* عندكم في سهول شرق جالواي الجميلة يا .
سمعت أيضا أنكم تسمون القط *صائد الفئران* والملقط *صديق النار*... في الحقيقة يا ، هذه ليست اللغة الآيرلندية القديمة الحقيقية...
فليكن الرب في عوننا دائما أبدا...
... *’سنرسل الخنازير إلى السوق‘ قالت قطة ،
’ستكسبون أكثر مع العجول..‘ ردت قطة .*
... ليست هناك أدنى مبالغة عندما أقول إن كانت تضيف أجزاء لصلواتها تدعو فيها أن يحل العوز والخراب على . وكانت تبتهج عندما يموت أحد عجولها أو يتعفن محصولها من البطاطس...
وأنا لن أنطق بكذبة عن أحد يا . ليسامحني الرب إن فعلت هذا! تلك المرة عندما هشمت الشاحنة ساق ابن ، قالت في وجهي مباشرة: *أنا سعيدة لأنها صدمته. الطريق واسع بما فيه الكفاية. هذا ما تستحقه العاهرة!...*

لقد فازت بهذه الجولة على أي حال هذا ما قالته يوم دفن زوجها ...
دُفن في المقبرة الشرقية. أتذكر هذا جيدا، ولديّ سبب وجيه لذلك. فقد التوى كاحلي، بالضبط حيث انزلقت على الحجر...
حيث أكلت بشراهة كالخنزير، كما كنت تفعل عادةً...
... أن يكون لديها محصول من البطاطس أكبر مما لدى ، ويكون لديها خنازير ودجاج وشعير أكثر، وبيت أنظف وأكثر أناقة، أن يكون لدى أطفالها ملابس أفضل: كان كل هذا جزءا من انتقامها. كان انتقامها...
... *جاءت للبيت مرتدية ثيابا باذخة
بالمال الذي تركته العجوز الشمطاء على اسمها.*
أصيبت بنوبة مرض في أمريكا اقترب بها من الموت. وكانت ابنة هي من اعتنت بها. وأحضرت معها إلى الوطن...
... *واتخذت من بيت مأوى...*
نادرا ما كانت تقترب من بيت . كانت تسكن بعيدا عن الطريق أكثر من اللازم وكان الدرب المؤدي إليها وعرا للغاية على بعد مرضها. كانت تشعر براحة أكبر في بيت على نحو ما...
... *بيت الصغير ليس إلا كوخا حقيرا
ولا ضمير يمنعها من إطلاق الأكاذيب
كانت الحمى موجودة هناك، ولا فائدة من إنكار هذا
وإذا أصابك هذا الوباء، ستموت لا محالة...*
... لم يكن لدى غير ابن واحد في البيت، ...
ماتت ابنتان لها...
لا، بل ثلاث. ثمة ابنة أخرى في أمريكا. .
أتذكرها جيدا يا . التوى كاحلي في اليوم الذي رحلت فيه.
وعدت ابن أنها لن تراه معوزا لبقية أيامه إن تزوج ابنة . كانت تكن كراهية لا تموت تجاه ، وكذلك تجاه كلبه وابنته. لكن كانت لتأتي بمهر كبير، واعتقدت أن ستكون أكثر ميلا لترك كل مالها في بيت باسم . وهكذا تتفوق على ...
... *اتخذت بابة من بيت مأوى
حتى رفض الزواج من ابنة .
ابنة جميلة شقراء
أحببتها دوما دون ذهب أو أرض...*
مستواها أعلى من جورت ريبوك!...
كانت ابنة امرأة جميلة الطلعة، أقسم بالله...
... هذا ما أوغر صدر ضد ابنتك منذ البداية يا . هذا الكلام عن المهر ليس إلا ذريعة. منذ اليوم الذي خطت فيه ابنتك داخل بيتها زوجة لابنها، وهي تتنمر عليها ككلب وضع مخلبه على عظمة وجاء كلب آخر يحاول خطفها منه. كم مرة كان عليك أن تأتي لابنتك من جورت ريبوك يا ؟...

... *في كل صباح بزغ كانت تجيء...*
يا إلهي! نحن نقترب من الجزء المثير في القصة الآن يا ، أليس كذلك؟ يتزوج البطل من حبيبته. لكن هناك امرأة أخرى تكمن بعيدا في الخلفية. هي مهزومة في المعركة الآن، لكن هناك المزيد من الاضطرابات قادمة... خطابات مجهولة الراسل، تلميحات عن علاقات البطل النسائية، قتل ربما، طلاق بالتأكيد... يا إلهي!...
... *لم أكن لأتزوج ..* قالت قطة ...*
ضع بضع سطور أخرى من عندك الآن...
'لكنك حاولتِ إيذاءه..' ردت قطة ...
'لكني كنت لأتزوج ابنته..' قالت قطة ردا على هذا.
عندئذ قالت قطة : 'تلك فرصة لن تناليها.'
ما ضايق كاترينا هو أن رحلت وأقامت في بيت ربما أكثر من حصول ابن على المهر والمال الذي كانت قد وعدت به ابنها ...
أتذكر هذا جيدا يا ، اليوم الذي عادت فيه إلى أمريكا. كنت أقطع القش في المرج الأحمر عندما رأيتهم يهبطون نحوي من بيت . عدوت لأقول لها وداعا. ويشهد الله أني بينما كنت أقفز فوق المصرف المزدوج التوى...
ألا تعتقدين يا أنه قد مرت عشرون سنة منذ عادت إلى أمريكا؟...
لقد رحلت منذ ستة عشر عاما. لكن لم ترفع بؤبؤي عينيها عن الوصية. لولا هذا لماتت منذ زمن بعيد. أضاف حديثها بالسوء عن زوجة ابنها أعواما إلى حياتها...
نعم يا ، والسعادة التي كانت تنتابها بالذهاب إلى الجنازات طوال الوقت.
وأرض ...
اسمع الآن يا : *كانت أموال المذبح الكثيرة عزاء صغيرا...*
لا تعر انتباها لهذا الوغد يا . فهو لا يستطيع نظم سطر واحد من الشعر...
القصة مملة إلى حد كبير الآن يا . بأمانة. ظننت أنه ستكون بها إثارة أكبر...
... اسمع يا . اسمع السطر الثاني: *ومما يزيد من فخري أن أكون في مقبرة الجنيه...*
بأمانة يا . ظننت أنه سيكون هناك على الأقل جريمة قتل وطلاق. لكن يمكن أن تحلل كل أحكامي الخاطئة...
وجدتها وحق السماء يا ! اسمع الآن: *صليبٌ على قبري سيجعل قلب يشتاق
وفي طين المقابر سأكون قد فزت بالسباق...*

٨

أهلا !... هل يمكنك سماعي يا ؟... لا تخجل من الحديث إلى أستاذ المدرسة... بالطبع هذا صحيح يا . طبعا يعرف الجميع أنها نسيبتي. لا أبالي بهذا، لكن في مكان كهذا حيث لا توجد أي خصوصية وليس لأحد حرية التصرف. تعالى الرب القدير! مومس! هي مومس! وكانت مومس دومًا. عندما كانت تعمل خادمة في

برايت سيتي قبل أن تتزوج، يقولون -ونحن لا نريد حتى أن نتذكر هذا!- إنها كانت ترافق بحَّارا...
بالطبع فعلت يا ... أخبرته. قلت له: *يا يا حبيبي، تلك المرأة من جورت ريبوك التي أنت عازم على الزواج منها، هل سمعتَ أن أمها كانت ترافق بحَّارا في برايت سيتي؟*
فقال: *وماذا في ذلك؟*
فقلت: *آه! يا ، البحارة كما تعرف...*
فقال: *هه! البحارة.. ألا يمكن لبحَّار أن يكون محتشما كأي رجل؟ أعرف من كانت أم هذه الفتاة مرتبطة به في برايت سيتي، لكن أمريكا أبعد منها كثيرا، وليس لديّ أي معرفة بمن كانت ابنة تخرج معه هناك. ربما مع رجل أسود...*
بالطبع يا ، السبب الوحيد وراء طلبي من ابني أن يأتي بابنة إلى بيتي هو أني لم أرد أن أمنح الرضا بالحصول على المال. أقسم بالله يا أن لديّ سببا جيدا لعدم حبي لابنة . في الليلة التي تزوجت فيها ، هذا ما قالته العاهرة في وجهي: *بما أن لديّ ، سنترك من أجلك يا .*
صدقيني يا ، تلك الكلمات القليلة جرحتني أكثر من كل الخطايا الأخرى التي فعلتها بي مجتمعة. تلك العبارة كانت أشبه بسرب من أبناء عرس يزمجرون رائحين غادين في عقلي ويبخون سما. لم أطردها من رأسي حتى يوم مماتي. لم أفعل يا . في كل مرة أرى كنت أتذكر تلك الليلة، بتلك الحجرة من البيت، بتلك الابتسامة الساخرة العريضة على وجه بين ذراعيّ . كل مرة أرى ابنا أو ابنة كنت أتذكر تلك الليلة. كل مرة يذكر فيها أحد كنت أتذكرها... الحجرة... الابتسامة العريضة... بين ذراعيّ ... بين ذراعي ...
طلبني مرتين يا . لم أخبرك بهذا قط... ما هذا الذي قلتِ إن تدعوه به؟ المثلث الأبدي... المثلث الأبدي... كان هذا هراؤها السخيف حقا... لكن يا أنا لم أخبرك، أليس كذلك؟... أنت مخطئة. لست ذلك النوع من الأشخاص يا . أنا لست ثرثارة. أي شيء خاص بي، أي شيء رأيته أو سمعته، حملته إلى طين المقابر معي. لكن لا ضرر من الحديث الآن بما أننا في طريق الحقيقة الأبدية... طلبني مرتين بالفعل. جاء في المرة الأولى ولم أكن قد تجاوزت العشرين بكثير. أراد أبي أن أوافق على الزواج منه. وقال: * رجل صالح مُجدٌّ في عمله لديه بيت دافئ ومحفظة نقود سمينة.*
قلت: *لن أتزوجه حتى لو اضطررت لاستعارة الشال من والوقوف أمام الجميع في منتصف السوق.*
فقال أبي: *لمَ هذا؟*
فقلت: *لأنه رجل بائس قبيح. انظر إلى لحيته المضحكة كلحية الماعز. انظر إلى أسنانه العلوية البارزة. انظر إلى أنفه الطويلة. إلى ساقه المقوسة. انظر إلى كوخه الصغير القذر الذي تسميه بيتا. انظر إلى طبقات القذارة على جسده. إنه أكبر مني ثلاث مرات. كان من الممكن أن يكون جدي.*

وكنت على حق. كان في حوالي الخمسين من عمره وقتها. وقد بلغ المائة تقريبا الآن، وهو مازال حيا ولا يشكو من مرض باستثناء وخزات الروماتيزم العرضية. كان يذهب ليقبض المعاش في نفس الوقت الذي كنت أذهب فيه عندما كنت مازلت فوق الأرض. ذلك الرجل السخيف القبيح!...
قال أبي: *الطفل العنيد لا يتبع سوى رأيه!* وكان هذا كل ما قاله بشأن هذا.
لم يكن قد مر وقت طويل على زواج عندما جاء مرة أخرى يطلبني. كنت أعد لتوي كوبا من الشاي في المساء وظلال الليل تخيم. أتذكر ذلك جيدا. كنت قد وضعت إبريق الشاي على الموقد بينما أحاول أن أنفخ بعض الحياة في الجمرات. ودخل هذا الرجل على غير توقع تماما حتى قبل أن أتمكن من تمييزه. *هل تتزوجيني يا ؟* قالها هكذا دون حياء. *أعتقد أني أستحقك؛ بما أني جئت هكذا مرة ثانية. وبما أنه ليس من المناسب لي أن أستمر في العيش هكذا دون امرأة قوية لطيفة...*
أقسم بروحي أن هذا ما قاله بالضبط.
قلت له: *لن أتزوج منك أيها المعتوه القبيح، حتى لو نمت عليّ بيوت العناكب في انتظار أن يأتي إليّ رجل.*
كنت قد وضعت ملقاط النار جانبا وأمسكت بالغلاية في يدي. ودون لحظة تردد يا جريت نحوه في منتصف الحجرة. لكنه كان قد شق طريقه خارجا من الباب.
أعرف أنه من الصعب إرضائي فيما يتعلق بالرجال. كنت جميلة بما يكفي وكان لديّ مهر محترم... لكن الزواج من يا بعد ما قالته ...
... *يمكن أن تفوز..* قلت وأنا أضع يدي في جيبي وأخرج مختالا. *والآن كل شيء أو لا شيء!* قلت وأنا أتناول التذكرة من الفتاة. ابتسمت لي: ابتسامة بريئة من قلب شاب ليس به مكر. قلت: *لو فازت التفاحة الذهبية، سأشتري لك حلويات وأصحبك إلى السينما... أم تفضلين القليل من الرقص؟... أم مشروبين في خصوصية استراحة البار في فندق ويسترن هوتيل؟...*
Qu’est-ce que vous dites? Quelle drôle de langue! N’y a-t-il pas là ...
?quelque professeur ou étudiant *qui parle français*
.Au revoir. Au revoir
Pardon! Pardon![10]
اخرس يا مغفل!*
لو بإمكاني بلوغ هذا المغفل لأخرسته! إما هذا أو أجعله يتكلم بما يليق كمسيحي. كلما جاء ذكر يبدأ في الغمغمة بسيل من الكلام يخرج منه. لو فهم أحد حديثه ذاك، أعتقد أنه لا يعترف بجميل .
ألم تسمعه في كل مرة يرد فيها اسم هتلر يقول *meirdreach*[11] على الفور.
لقد التقط هذا الحد من اللغة الآيرلندية على أي حال...
آه فقط لو أستطيع الوصول إليه! يحيا ! يحيا ! يحيا ! يحيا !...
Je ne vous comprends pas, monsieur . . .[12]

من هذا يا ؟
هذا هو الشاب الذي قُتل في حادث تحطم الطائرة. ألا تذكرين؟ سقط في منتصف الخليج. كنتِ حية آنذاك.
بالطبع، ألم أره ممددا يا ؟... حظي بجنازة رائعة. قالوا إنه كان بطلا نوعا ما...
دائما ما يثرثر هكذا. يقول الأستاذ إنه رجل فرنسي وأنه كان من الممكن أن يفهمه لو لم يكن لسانه بطيئا بسبب بقائه طويلا جدا في الماء المالح...
إذًا الأستاذ لا يفهمه يا ؟
ولا حتى كلمة يا .
كنت أعرف دائما يا أن الأستاذ الكبير ليس متعلما جدا. لا يهم إن كان لا يفهم رجلا فرنسيا! كان ينبغي أن أعرف هذا منذ زمن بعيد...
تفهمه أكثر من أي شخص آخر في المقبرة. ألم تسمعيها وهي ترد عليه منذ قليل؟...
آه، فليكن لديك قليل من العقل يا . أتقصدين ذات القدمين المتسختين برائحتهما الكريهة؟
Ils m'ennuient. On espère toujours trouver la paix dans la mort, mais la tombe ne semble pas encore être *la mort. On ne trouve ici en tout cas, que de l'ennui. . .*
Au revoir. Au revoir. De grâce. De grâce.[13]
... ستة في ستة بستة وأربعين، ستة في سبعة باثنين وخمسين، ستة في ثمانية بثمانية وخمسين... والآن ألست جيدة يا أستاذ! أعرف جدول الضرب حتى الستة. لو ذهبت إلى المدرسة طفلة لم يكن ليوقفني شيء. سأقول جدول الضرب لك من البداية الآن يا أستاذ. اثنان في واحد... لماذا لا تريد أن تسمعها يا أستاذ؟ أنت تهملني في الآونة الأخيرة، منذ أخبرتك بأمر زوجتك...
... أقسم بخشب بلوط هذا التابوت، يا ، لقد أعطيتها الجنيه، أعطيت الجنيه . ولم أره بعدها مرة أخرى...
ياللسماء! هذا كذب، أيتها الشمطاء العجوز...
بأمانة يا . لن تفهمي: غريبة من سهول شرقي جالواي. تلك هي الحقيقة، الحقيقة الصادقة يا . كنت سأقول: *قسما بالإصبع الصغير المبارك..* لكن هذا كلام المتشردين. وبدلا من هذا يا سأقول: *سأضع الصليب المبارك على قلبي.* حكت لك عن نفسها وعن ، لكنها لم تحكِ لك قط عن المهر الذي أعطيته لابنتي عندما تزوجت في بيت . ينبغي أن تعرفي هذا الآن يا . بقيتهم هنا يعرفون بالفعل. مائة وعشرون جنيها يا . بأمانة! مائة وعشرون من الجنيهات الذهبية...
ياللسماء! ! ! أتسمعين؟ سأنفجر! سأنفجر يا ! سأنفجر يا ! ابنة ... مائة وعشرون... مهرها... لتدخل بيتي... سأنفجر! سأنفجر! آه، سأنفجر! سأنفـ! سأنفـ! سأنـ سأنـ...

1 قرية في مقاطعة مايو حيث بقال إن مريم العذراء وشخصيات أخرى مقدسة ظهرت عام ١٨٧٩. وقد كانت لوقت طويل مكان حج كاثوليكي هام. *من هوامش الترجمة إلى الإنجليزية *

2 تبرع كنسي من أجل القس بعد قداس الجنازة. كانت عملة الشلن هي المساهمة الأكثر شيوعا وسط الفقراء. وقد هُجرت هذه العادة إلى حد كبير. *من هوامش الترجمة إلى الإنجليزية *

3 أغنية *Eleanor of the Secrets* أغنية عاطفية آيرلندية شهيرة. *من هوامش الترجمة إلى الإنجليزية *

4 بالفرنسية في الأصل sansculottes وتشير إلى متمردي الطبقة الوسطى والحرفيين في أثناء الثورة الفرنسية الذين رفضوا ارتداء السراويل القصيرة التي كان يرتديها أبناء الطبقات الراقية وفضلوا الخروج بسراويل العمل الطويلة.

5 المسؤول الذي كان يوزع بذور البطاطس التي توفرها وزارة الزراعة. *من هوامش الترجمة إلى الإنجليزية *

6 كانت آن جوم An Gúm دار نشر حكومية تأسست عام ١٩٢٧ لنشر الكتب باللغة الآيرلندية للجمهور العام ولطلبة المدارس. نشرت هذه الدار القصص الأولى لمارتين أوكاين، لكنه كان دائما على علاقة متوترة بالقائمين عليها. وهذا واحد من حوارات كثيرة في الرواية يسخر فيها من خصومه الأدبيين. *من هوامش الترجمة إلى الإنجليزية *

7 بالفرنسية في الأصل De grâce وتعني من فضلك، رجاء..

8 السطور الثلاثة في الحوار بالفرنسية في الأصل وتعني: *أتتحدثون الفرنسية يا سيدتي، يا آنستي...*، *إلى اللقاء! إلى اللقاء!* *لكن هذا رائع. لم أكن أعلم أنه كان هناك..* *وداعا..*

9 الإشارة هنا إلى الحرب العالمية الأولى. *من هوامش الترجمة إلى الإنجليزية *

10 بالفرنسية في الأصل: *ماذا تقول؟ يالها من لغة مضحكة! ألا يوجد أستاذ أو طالب يتحدث الفرنسية؟* *وداعا. وداعا.* *معذرة! معذرة!*

11 ربما يقول الرجل الفرنسي *merde* التي تعني: الأحمق والتي تُسمع خطأ meirdreach، والتي تعني يالآيرلندية: العاهرة. *من هوامش الترجمة إلى الإنجليزية *

12 بالفرنسية في الأصل: *أنا لا أفهمك يا سيدي...*

13 بالفرنسية في الأصل: *إنهم يزعجونني. نظل نأمل في أن نجد الراحة في الموت، لكن لا يبدو أن هناك موتا في المقبرة. على أي حال لا يوجد هنا غير الملل...* - *وداعا. وداعا. من فضلك. من فضلك.*

الفاصلة الثانية
الطين المنثور
١
كنت تطلبها. إذا لم أقم بطعنك، كان شخص آخر سيطعنك، ثم أليس الأحمق وخادمه سواء؟ وبما أنك كنت ستُطعن على أي حال، أليس من الأفضل أن يطعنك واحد من جيرانك بدلا من أن يطعنك غريب؟ كان الغريب ليُدفن على بعد أميال، ربما، هناك في وديان شرق جالواي المنبسطة، أو هناك في دبلن، أو حتى في بقعة نائية في مكان ما من الريف، وماذا كنت لتفعل عندئذ؟ انظر إلى الرضا الذي تناله وأنت تسلقني بألسنة حداد هنا. لو كان الغريب راقدا إلى جوارك، ستفشل في معرفة ما تلقي به في وجهه، لأنك لن تعرف شيئا عن أصله وفصله ونسله. اعقل حالك يا صاحبي! لن يفرق الأمر معك، لكني طعنتك طعنة نظيفة...
اشتهر نسل الكلاب ذوي الأذن الواحدة بطعن الناس بنظافة!...
... مهرة بيضاء الوجه... كانت الأفضل...
... بحق بلوط هذا التابوت، يا ، أعطيت الجنيه...
... هكذا سار الأمر. ذهبت إلى مكتب وكيل المراهنات حوالي الساعة الثالثة. قلت: *التفاحة الذهبية، لعلها تفوز..* قلت وأنا واضع يدي في جيوبي واستدرت على عقبيّ خارجا من الباب. لم يكن معي مليم أحمر...
دقت الساعة الثالثة. انتهى السباق. فازت *التفاحة الذهبية*: مائة إلى واحد. ذهبت لآخذ ورقة الخمسة جنيهات الخاصة بي. منحتني الفتاة تلك الابتسامة مرة أخرى: ابتسامة مشرقة من قلب شاب لا يحمل ضغينة. كان هذا يعني لي أكثر من الخمسة جنيهات. قلت: *سأشتري لك الحلويات، أو سأصطحبك إلى السينما أو الرقص... أم تفضلين...* شعرت بالحرج ولم أكمل الجملة. قلت: *سأقابلك خارج الساحة في السابعة والربع.*
ذهبت إلى البيت. حلقت ونظفت وغسلت وهيأت نفسي. لم أشرب حتى قطرة من أجل الحظ الجيد. كان لديّ احترام بالغ لتلك الابتسامة الحلوة من قلب شاب لا يحمل ضغينة...
ذهبت إلى الساحة في السابعة. فككت ورقة الخمسة جنيهات بشرائي علبة شيكولاتة لها. ستجلب الشيكولاتة مزيدا من البهجة لذلك القلب الشاب الذي لا يحمل ضغينة، وستكون ابتسامتها أشبه بوردة في أشعة الشمس الأولى للصباح البازغ. ياللعار من كوني فظا غليظ القلب أنا نفسي!...
انتظر الآن حتى أقرأ لك الإعلان الذي أصدره لشعب آيرلندا: *يا شعب آيرلندا...*
انتظر أنت حتى أقرأ لك الإعلان الذي أصدره لشعب آيرلندا: *يا شعب آيرلندا...*
... شربت اثنين وأربعين قدحا تلك الليلة واحدا في أثر الآخر. ومشيت عائدا إلى

البيت بعد ذلك مستقيما كعود الغاب... أقول لك مستقيما كعود الغاب. سحبت عجلا من البقرة الرقطاء، التي كانت تعاني آلام المخاض منذ ساعتين بالفعل. قدت الحمار العجوز خارج حقل الشعير الخاص ... وقيدت . كنت قد خلعت حذائي للتو وعلى وشك الركوع لتلاوة بعض الصلاة، عندما دخلت الفتاة الصغيرة. كانت أنفاسها مقطوعة تماما. قالت: *ماما تقول إنك يجب أن تأتي حالا، لقد أصاب الجنون بابا مرة أخرى.*
أقول: *فليذهب بجنونه إلى الجحيم، ألا يختار الوقت المناسب؟ كنت على وشك تلاوة صلاتي. ما خطبه اللعين هذه المرة؟*
تقول: *يجرع ويسكي بوتين كما لو كان ماء..*
انطلقت إلى هناك. كان قد جن جنونه ولا أحد في البيت بمقدوره أن يسيطر عليه. لا يمكنك أن تقول إلا أنهم كانوا حفنة من الجبناء...
قلت: *هيا، ائتوا لي بالحبل سريعا قبل أن يمسك بالبلطة. ألا يمكنكم أن تروه وهو ينظر إليها...*
أتذكر الأمر جيدا. فقد التوى كاحلي...
فزنا بالمباراة.
ولا قطعة منه. لو لم يدمر اللغم البيت...
... *غسلت وجهي بندى الصباح،
ومشطت شعري بريح يدي...*
ليس صحيحا بعد يا . مازال هناك جزء ضائع هناك. انتظر دقيقة الآن: *غسلت وجهي بندى الصباح...* هذا الجزء ممتاز تماما يا . استخدمته بالفعل في *النجوم الذهبية *. انتظر دقيقة الآن... استمع إلى هذه يا : *غسلت وجهي بندى الصباح
ومشطت شعري بريح يدي...*
هذا ممتاز تماما. ، كنت أعرف أني سآتي بها في النهاية... هل تنصت الآن؟
*غسلت وجهي بندى الصباح،
ومشطت شعري بريح يدي...
وكان رباط حذائي في لمعان قوس قزح...*
انتظر الآن يا ... انتظر لحظة... وجدتها... *وكان نجم الثريا يرفع بنطالي...* كنت أعرف أني سآتي بها يا . استمع إلى المقطع كله الآن....
فليأخذك الشيطان بلا رجعة حتى لا تزعج الناس بعد ذلك! لقد أصبت عقلي بالعته طوال العامين الماضيين بأشعارك التافهة. لديّ أشياء أخرى أسوأ تشغل بالي، فليسامحني الله: ولدي الأكبر يتسكع مع ابنة ، وزوجتي في البيت تستعد لتسليم المكان له. وفوق كل هذا، لا فكرة لديّ إن كانت حمير العجوز أم ماشية هي ما ترعى في حقل الذرة الخاص بي الآن...
أنت على حق تماما بشأن هذا يا . كان ينبغي أن يدفنوا قطعة الخراء تلك في المقبرة الشرقية. هناك، الرجل الذي كتب *أغنية اللفت.* و*حرب الدجاجة مع حبة القمح*.

الكبير الذي ألّف *أغنية كاترينا* و*أغنية توم بجوار المدفأة.*...
و*مزمور القطة*. إنها عمل مدهش، *مزمور القطة*. لم أتمكن قط من عمل شيء كهذا، قط...
... ثمانية في ستة بثمانية وأربعين، ثمانية في سبعة بأربعة وخمسين... أنت لا تنصت على الإطلاق يا أستاذ. عقلك مشغول هذه الأيام... وأنا لا أحقق أي تقدم!... هل هذا ما قلته يا أستاذ؟ لا عجب يا أستاذ، مع الطريقة التي تهملني بها... أجب لي على هذا... كم جدولا هناك على أي حال يا أستاذ؟... هل هذا كل شيء؟ أوه، إذا كان هذا كل شيء، إذًا... ياللعجب! ظننت أن هناك ما لا يقل عن المائة... أو ما يصل إلى الألف... حتى المليون... حتى الكوادريليون... لدينا الكثير من الوقت لنمضيه راقدين في القبر، هذا ما يقولون. هذا الذي خلق الوقت صنع الكثير منه...
... ساعدنا يا الله! أليست تلك مأساة لأنهم لم ينقلوا عظامي الفانية شرق برايت سيتي ويدفنوني مع عشيرتي في معبد بريتان في سهول شرق جالواي الجميلة! الطين هناك رقيق[14] ومضياف، الطين هناك ناعم ومتفتت، الطين هناك ودود وحنون، الطين هناك واقٍ ومريح. تحلل القبر لن يكون تحللا هناك، وفساد اللحم لن يكون هناك فسادا هناك. لكن الطين سيتلقى الطين، الطين سيُقبّل ويعانق الطين، الطين سيندمج مع الطين...
إنها تعاني من نوبة أخرى من *العاطفية المفرطة*...
لا يمكنك أن تري أحدا بكل هذا الجنون إلا عندما تنتابها هذه الحماقة...
طبيعتها، ساعدنا يا الله! أسوأ بكثير، بمجرد أن تبدأ في الحديث عن ...
لقد تجاوزت الحد تماما. كان على حق عندما أسماها البغلة...
لم يكن على حق. بأمانة، لم يكن فعلا...
ما هذا؟ هل انقلبتِ على ذلك الأحمق أيضا يا ؟...
بأمانة، لم يكن على حق. فالبغل حيوان متحضر جدا. بأمانة، هو كذلك. كان لدى في قرية دوناه بغل عندما كنت أذهب إلى المدرسة منذ زمن بعيد، وكان من عادته أن يأكل خبز الزبيب من راحة يدي...
تذهبين إلى المدرسة منذ زمن بعيد! تذهب إلى المدرسة! خبز زبيب في جورت ريبوك! أيتها البقرة المقدسة ويا أم يسوع! ... يا ، هل سمعت ما قالته ذات القدمين المتسختين ابنة ؟ آه، سأنفجر...

٢

... ... ذات القدمين المتسختين!... لم تقنعي بترك عادتك الوسخة في حكي الأكاذيب فوق الأرض فجلبيتها معك إلى تحت الأرض أيضا. فعلا، المقبرة بأكملها تعلم أن الشيطان نفسه -والعياذ بالله!- قد أعارك لسانه عندما كنت مازلت على ثدي أمك، وقد استخدمتيه ببراعة كبيرة من وقتها حتى أنه لم يطلب قط استعادته...

أما بالنسبة لتقديم مائة وعشرين جنيها مهرا للمومس الصغيرة التي هي ابنتك... عال! عال!... امرأة لم تملك خيطا من ثياب تضعه عليها يوم تزوجت، لولا أني اشتريت لها طقما... مائة وعشرون جنيها من متسخة القدمين... لم يكن هناك أصلا مائة وعشرون جنيها في جورت ريبوك بأسرها. جورت ريبوك ذات البِرَك. أظن أنك أكثر تكبرا الآن من أن تحلبي البط... مائة وعشرون جنيها... مائة وعشرون برغوثا! لا، الأرجح مائة ألف برغوث. كان هذا أكثر المخلوقات شيوعا لدى نسل ذوي الأقدام المتسخة. فعلا إذًا يا ، لو كانت البراغيث مهرا لامتلك ذلك الأحمق الغبي الصغير الذي تزوج ابنتك ما يكفي لجعله فارسا في قلعة تسع مرات. لقد جلبت قطيعا كبيرا منهم إلى بيتي معها...
كان يوم ويل لي يا ، أول يوم رأيتك فيه أو رأيت ابنتك تحت سقف بيتي... ذلك الشيء الصغير الأعجف، وهذا بالضبط ما هي عليه. فعلا يا ، هي ليست مفخرة لك: امرأة لا تستطيع أن تضع دثارا حول طفلها أو تعد فراش زوجها، أو تنظف رماد الأسبوع أو تمشط شعرها الملبد... كانت هي من دفنتني قبل أواني بعشرين عاما. وستدفن ابني أيضا في القريب العاجل، إذا لم تأت إلى هنا هي نفسها في ولادتها التالية لتثرثر وتؤنسك.
الله! إن فمك الصغير المهذار في أفضل حال اليوم يا ... *سنكون..* كيف قلتيها؟... *سنكون بخير عندئذ.*... بخير! هذا شبيه بردفك الغليظ يا ... *سنكون بخير عندئذ. سيكون لديك ابنك وستكون لديّ ابنتي، وسنكون معا جميعا مرة أخرى تحت الأرض كما كنا فوقها.*... لعبة الشيطان تلك التي في فمك مليئة بالهذر اليوم يا ...
عندما كنتِ في برايت سيتي... تقولين إني كاذبة. إنها أنت الكاذبة القذرة يا المتسخة القدمين...
عجوز قبيحة!
عجوز شكسة!
شمطاء!
نسل متسخي الأقدام... حالبو البط...
هل تذكرين الليلة التي كانت جالسة فيها في حجر ؟ *سنترك لك يا ...*
أنا لم أجلس قط في حِجر بحَّار على أي حال، والحمد لله العليّ القدير...
لم تأتك الفرصة قط يا ... لست خائفة منك قيد أنملة. خستك وأكاذيبك لن يحرقا ثقبا في معطفي. أنا أشهر وأكثر احتراما في هذه المقبرة منك. لديّ صليب جميل لطيف فوقي، أفضل مما لديك يا . رائع! بأمانة!...
أوه فعلا، إذا كان لديك واحد، فليس ما دُفع فيه من مالك. يمكنك شكر أخيك الأحمق الذي أقامه عندما عاد للوطن من أمريكا. كان الأمر ليستغرق زمنا طويلا لجمع ثمن صليب من حليب بط جورت ريبوك... ماذا تقولين يا ؟ بوحي به... ليس لديك الشجاعة لتقوليه لي... ليس لدي ثقافة؟... ليس لدي ثقافة يا ؟... ليس لديّ ثقافة، تخيلي هذا!... هذا صحيح بالنسبة لك يا . لقد رأيت دائما في

نسل متسخي الأقدام ثقافة القمل والصئبان...
ما هذا الذي تقولين يا ؟... ليس لديك وقت لتبادل الشتائم معي... أنك كنتِ تضيعين وقتك في تبادل الشتائم معي. وحق الله! ليس لديك وقت لتبادل الشتائم معي يا ... إذًا لديك أشياء أخرى تفعلينها! والآن ماذا تعرفين؟ عليك أن تستمعي إلى قطعة أخرى من... ماذا أسميتيه، يا أستاذ... يا أستاذ... لا يسمعني. رأسه في دوامة منذ سمع بأمر زوجته... نعم، تلك هي، وجدتها... رواية قصيرة... هذا هو الوقت الذي يقرأ فيه الأستاذ قطعة من... الرواية القصيرة لك كل يوم... لو أولاني الأستاذ أي انتباه... أوه، يا مريم يا أم الرب!... رواية قصيرة في جورت ريبوك... رواية قصيرة بين نسل متسخي الأقدام... ! يا ! هل تسمعين؟ رواية قصيرة بين نسل متسخي الأقدام... سأنفجر... سأفعلها!...

٣

... أقسم ببلوط هذا التابوت يا ، لقد أعطيت الجنيه...
... ساعدنا يا الله دائما وأبدا! لم يكن موتي ليغدو موتا هناك: لأني كنت سأرقد في طين السهول الدافئ، الطين العفيّ الذي بمقدوره أن يكون عطوفا بقدر قوته الجبارة، الطين الأبيّ الذي لا تتحلل كنوزه ولا تتعفن ولا تذبل في رحمه الخصب، الطين الثري الذي من السهل عليه أن يوزع عطاياه بكرم، الطين المتجدد الذي يستطيع تغيير وإعادة تشكيل كل ما يتغذى عليه من طعام وشراب ليجعله مثمرا مرة أخرى دون إهدار أو تشويه أو مسخ... حتى أنه سيتعرف على نفسه...
كانت لتنمو على قبري هناك زهور الحوذان الرقيقة، والعشب المطحلب النديّ، وزهر الربيع البهيج والكلأ الزاحف...
كان شدو الطيور العذب سيصدح فوقي بدلا من ثرثرة الأمواج أو قعقعة الشلالات أو تنهدات البردي أو صرخات طيور الغاق وهي تغطس بلهفة فوق أسماك الرنجة الصغيرة في البحر. آه يا طين السهول، ألن يكون من الجميل أن يكون مستقري تحت عبائتك؟!...
لقد انتابتها *العاطفية المفرطة* من جديد...
...قال [15] عن عن أنه قال إن كان على حق...
قال عن عن عن عن عن ولورد أنهم قالوا إن كان على حق...
قال إن كان على حق...
قال أن كان على حق...
قال أن كان على حق...
، ، ، ، ، ، وكل القديسين الآيرلنديين أينما كانوا – على البر أو في البحر أو في السماء، وكل الشهداء الآيرلنديين من إلى ، ، ، ، ، ، ، ، قالوا جميعا أن كان على حق...
أنت كاذب لعين، لم يقولوا هذا...
أقول إنك الكاذب، وأنهم قالوا. الحقيقة مُرَّة...
لقد قتلتني بخسة، وأنا أحارب من أجل الجمهورية...
لقد خدمك ذلك خدمة جليلة. لا قانون الرب ولا قانون الكنيسة يسمح بمحاولة إسقاط حكومة شرعية بالقوة...
عن نفسي لا علاقة لي بالسياسة، لكن لديّ غرام بالـ IRA القديم[16]...
أنت أيها الجبان، كنت مختبأ تحت السرير عندما كان يقاتل من أجل الجمهورية...
أنت أيها الشيء الهلامي، كنت مختبأ تحت السرير عندما كان ...
...*وانطلق يغازل النساء...*
... انتظر الآن يا صاحبي الطيب حتى أنهي قصتي: *والآن ارسلوا لي [17].*
وسأكون دونه إلى الأبد

*أسرت الجنية العاشقة في القصر المسحور ولم يكن هناك مهرب له. عندئذ، جفت كل مياه جزيرة آيرلندا الرمادية المخضرة، بما في ذلك تلك المحيطة بجزرها والحافَّة بشطآنها، كلها ماعدا زجاجتين من المياه الفوارة البرتغالية انجرفتا عند جزيرة بلاسكيت، وبرميل صغير من الماء المقدس الإسباني بادلته مركب صيد مقابل خمسين حبة بطاطس من جزيرة برانوك...
في ذلك الوقت كانت الفتاة الجميلة ذات الضفائر البنية في دبلن...
في الرواية التي سمعتها من الناس القدامى في قريتنا يا ، كانت ممرضة في برايت سيتي...
ما سمعته أنها كانت امرأة في مكتب وكيل رهانات...
آه! كيف يمكن لهذا أن يكون؟ كانت هناك في دبلن. وأين غيرها! قالت: *لديّ سهم سيحرر لو أعطى وعدا بأن يمنحني كمهر مائة وواحد من البراميل الكبيرة، ومائة وواحد من البراميل الصغيرة، ومائة وواحد من رؤوس الخنازير...*
والآن، يا ، أين أقداحك الاثنان وأربعون؟...
انتظر لحظة يا . هكذا كنت لأنهي ذلك الأمر لو لم أمت...
... لو بلغ إنجلترا، لجعلهم يقتاتون على القطط الميتة...
في الحقيقة سيكون العالم في أسوأ حالاته وقتها. لن تحصل على قرش مقابل بقرة أو عجل. فليساعد الرب الفقراء لو انخفض سعر الماشية أكثر من ذلك. لديّ قطعة أرض في أعلى القرية ولن تُعزق تربتها مرة أخرى لتسمين الماشية. أخشى أنها ستبور لو هبط سعر الماشية...
ولن تُعزق تربتها مرة أخرى لتسمين الماشية! لو تركت أرنبين يرعيان في أرض قريتكم كلها، وتركتهما لحالهما خمس سنوات، لن يكون هناك غير الأرنبين فقط، هذا إذا بقي الاثنان...
كنتَ لوطيا جبانا يا . أتمنى لو كنت مكانك. أقسم بالكتاب المقدس، كنت سأعطيه ردا جيدا. لو كانت لديّ حانة يا ودخلت مثل هذه الهرطقات القذرة من أبوابها لتهين ديني هكذا...
... نحن -جثث مقبرة النصف جنيه- نقدم مرشحا مشتركا في هذه الانتخابات أيضا. ومثلنا مثل الآخرين -جثث مقبرة الجنيه وجثث مقبرة الخمسة عشر شلنا- ليس لدينا على الإطلاق ما نقدمه لجثتنا الزميلة. ومع ذلك، نحن نشارك في هذه الانتخابات المدفونة لأن لدينا سياسة -حزب النصف الجنيه- لدينا سياسة أيضا. إذا كان هؤلاء الذين فوق الأرض يمكنهم إقامة انتخابات، فنحن الموجودون تحت الأرض يمكننا إقامة واحدة نحن أيضا. لا ديمقراطية بدون انتخابات. ونحن، هنا، في طين المقابر، ديمقراطيون.
جثث مقبرة الجنيه هم حزب الأثرياء، حزب المحافظين، حزب أصحاب النفوذ الكبار، حزب الرجعيين، حزب ما يسمونه بالاستقرار. وجثث مقبرة الخمسة عشر شلنا هم حزب التجارة والتجار، حزب الطبقة المهنية، البرجوازية، الطبقة الوسطى، الملكية ورأس المال. أما نحن، ونحن هنا، يا زملائي الجثثِ، فنحن

حزب الطبقة العاملة، حزب البروليتاريا، حزب الفلاحين، العبيد المأجورين، المعدومين النكرات، التابعين المطلقين، حزب المحرومين تماما: قاطعي الخشب وساحبي الماء. نحن ملزمون بشكل مطلق بالوقوف مطالبين بحقوقنا كما فعل الرجال القدامى *يُسمع بوضوح قرع الجماجم وصرير الأسنان من مقبرة النصف جنيه *...
...
... مرشحتنا، المتقدمة المشتركة منا -مرشحتنا الخاصة لمقبرة الخمسة عشر شلنا إذا أحببتم- هي امرأة. لا تدعوا هذا يزعجكم. زوجها لم يكن قط عضوا في البرلمان الآيرلندي. إنها امرأة ثبتت أقدامها هنا في هذه المقبرة بذكائها الخاص وحسها الطيب. منذ ثلاثة أعوام عندما جاءت إلى طين المقابر كانت قليلة المعرفة مثلها مثل أي متبجح منفوخ ممن ينفثون الهراء هناك في مقبرة النصف جنيه. لكن رغم ما يقوله حزب النصف جنيه، لدى كل من في هذه المقبرة حقوق متساوية وفرصة متكافئة *قرع جماجم *. ومرشحتنا المشتركة دليل على هذا. لديها الآن الثقافة والتعليم. زملائي من الجثث، أحب أن أقدم لكم مرشحتنا المشتركة... *قرع جماجم هائل *.
متسخة القدمين! العاهرة. حالبة البط... يا !... يا !... ... سأنفجر!... سأنفجر!...

٤

... متسخة القدمين تتقدم للانتخابات! يا ربنا القدير في الأعالي، لقد فقدوا كل احترام لأنفسهم في هذه المقبرة إذا كان أفضل من يمكنهم تقديمه هو كيس البراغيث من جورت ريبوك... لن يجري انتخابها... لكن من يعرف؟... يتحدثون إليها، ، أحيانا. أما بالنسبة للأستاذ الكبير، فهي بالطبع فضيحة عامة تلك الأشياء التي يقولها لها كل يوم... يقول إنها في الكتاب، لكن لا أحد لديه قلة احتشام لدرجة أن يضع هذه الأشياء في كتاب: *شعرك المموج المتدفق[18]
وعيناكِ اللامعتان النديتان
ونهدك الأبيض الرقيق المستدير
يجذبون رغبة العين.*
... هذا حديث جميل بالنسبة لمعلم كبير! الأستاذة يدفعانه إلى الجنون. لكن لا بد أنه مجنون أصلا ليغني تلك المدائح ، يقول: *لقد تحسن عقلها كثيرا. إنها مثقفة الآن...*
لم يكن قد مر عليها وقت طويل بعد أن ذكرَّتني بالصليب الذي فوق قبرها. تقول: * لديّ صليب جميل لطيف فوقي، أفضل مما لديك يا .* كان قبرها ليظل وقتا طويلا دون صليب لولا أخاها ذلك الأحمق الذي دفع ثمنه، وقد قلت لها هذا. كان مستقرها ليغدو هناك في مقبرة النصف جنيه وسط أوباش صخور سافي وبحيرة ديري، دون شاهد قبر أو صفيحة. وهناك ينبغي أن تكون لو كان هناك عدل. من المؤكد أنها لم تحظ بمديح قط حتى ماتت. ومتى كان لأي أحد أصلا

كلمة طيبة يقولها عن أي أحد من عشيرتها؟ أبدا. لم يحدث قط في الذاكرة الحية. لم يحدث. عصابة لا نفع منها...
لكن أن يكون لديك صليب فوق قبرك هنا أمر طيب كامتلاك بيت كبير مغطى بالقرميد فوق الأرض، بيت له اسم مكتوب على الباب: عرين الثعلب، ملاذ الفردوس، عرش الجن، طريق الأحباب، بقعة الشمس، بستان كل القديسين، أيكة العفريت – وسياج إسمنتي حوله، أشجار وزهور حتى حافة الحديقة، وبوابة حديدية لها قنطرة مقوسة معلقة فوقها، والأمان والمال في البنك... القضبان المحيطة بالقبر مثلها بالضبط مثل السياج الفاخر حول بيت الإيرل[19]. بالفعل لم أسترق النظر قط إلى داخل بيت الإيرل دون أن يخفق قلبي. كنت أعتقد دائما أني سأرى شيئا خارقا. الإيرل والسيدة زوجته يهبطان بأجنحتهما من السماء بعد وجبة عشائهما. إما هذا، أو القديس بطرس يصطحبهما إلى مائدة تحت تعريشة ظليلة، وهو يحمل شبكة بعد أن اصطاد السمك في بحيرة الإيرل، وفيها سمكة سلمون ذهبية كبيرة، ومفاتيحه الهائلة تصلصل، وعندئذ يفتح كتابه الكبير ويسأل الإيرل عن أي من أهل مقاطعته ينبغي أن يُسمح له بدخول الجنة. لطالما اعتقدت أن وجودك في منزلة جيدة في كتاب الإيرل هو بالضبط مثلما تكون في منزلة جيدة في الجنة...
هؤلاء الناس فوق الأرض سذج للغاية. يتساءلون: *ما الفائدة التي سيجنونها من وجود صليب فوق قبورهم؟ ولا شيء! هذه الصلبان ما هي إلا خيلاء كاذبة وغرور زائف ومضيعة للمال.* فقط لو يعلمون! لكنهم لا يفهمون حتى يُدفنوا في المقبرة هم أنفسهم، وعندئذ يكون قد فات الأوان. لو وعوا فوق الأرض أن صليبا فوق قبرك هنا يجعل حتى نسل ذوي الأقدام المتسخة محترمين، لما كانوا على هذا القدر من الإهمال...
أتساءل متى سيوضع الصليب فوقي؟ بالتأكيد لن يخذلني . لقد وعدني بإخلاص: *سيقام خلال عام، أو حتى قبل ذلك..* هكذا قال. *سيكون جحودا منا ألا نفعل هذا من أجلك...*
صليب من الرخام الآيرلندي، بنقش وكتابة باللغة الآيرلندية... اللغة الآيرلندية أكثر رقة وملاءمة للصلبان في زمننا هذا... وزهور لطيفة...
حذرت كثيرا. قلت له: *لقد ربيتك بحنان يا . ودائما ما حافظت على البيت جيدا من أجلك. وتعلم سيدتنا العذراء أن هذا لم يكن دائما بالأمر الهين. لم أخبرك قط بكل المشاق التي تحملتها بعد وفاة أبيك. ولم أطالب قط بأقل شيء في المقابل. كثيرا ما انتابتني الرغبة في شراء قطعة من لحم الخنزير المقدد وسلقها مع الكرنب، أو في حفنة من الزبيب لأضعها في الخبز، أو في الذهاب إلى حانة عندما كنت أشعر بحلقي جافا من التراب والتنظيف، فقط لأطلب منه واحدة من تلك الزجاجات الذهبية التي كانت تبتسم لي في كل مرة كنت أمر فيها بجوار مكانه...
لِكني لم أفعل ذلك يا يا ابني الغالي. وفرت كل مليم أحمر. ولا أود الآن أن أمنح

أو ابنة شعورا بالرضا لأني لم أدفن بشكل لائق. خذ لي قبرا في مقبرة الجنيه. وضع صليبا من رخام كونيمارا. أقمه خلال عام من دفني على أقصى تقدير. أعلم أن هذا كله سيكلف مالا، لكن الله سيعوضك...
لا تعر زوجتك سمعا إذا تذمرت بشأن التكلفة. هي زوجتك، لكني المرأة التي أتت بك إلى هذا العالم يا . وهذه هي المشكلة الوحيدة التي سببتها لك على الإطلاق. وعندئذ ستكون قد فعلت كل ما عليك تجاهي. تأكد ألا تجعل تشعر بالرضا...*
وبعد كل هذا لم يدفنني في مقبرة الجنيه. زوجته... أو زوجته وتلك المومس الضئيلة الأخرى، . لكن يمكنه أن يكون عنيدا أيضا، عندما يريد. لقد وعدني بذلك الصليب...
أتساءل أي نوع من الجنازات حظيت به؟ لن أعرف حتى تصل الجثة التالية التي لي معرفة بها. إنه وقت مناسب الآن كي يأتي أحدهم. كانت الحيزبون مريضة. لكن لا يمكنني القول إنها عرضة لخطر الموت بعد. هناك أيضا ذو الوجه المجدور، ذو الساق السوداء، ، وبالطبع خط البؤس القبيح ذاك المسمى نفسه، فليبعد الله عنا كومة عظامه... ينبغي أن يكون ميتا بالفعل مع كل هذا المطر الساقط عبر سقفه... لو فعل ما طلبته منه، لسقط كوخه قبل هذا الوقت...
ستكون زوجة ابني هنا، لا بد أن تكون، في ولادتها التالية. متصدعة جدا منذ إصابة ، ولديها روماتيزم تلك العاهرة العجوز. ورغم هذا، ليس من المرجح أن يقتلها. لقد ماتت بضع مرات، كما تقول، لكن طامات مصر السبع لن يقتلوا بعض الناس. اللهم لا تجعل أحدا آخر ينزل إلى المقبرة قبلها!...
لست أعرف إن كان هناك أي خطاب قد ورد من أمريكا منذ وقتها. أخشى أن تحظى بكل شيء في وصية الآن بطريقتها. لو عشت فقط بضع سنوات أخرى...
كانت مغرمة جدا بي أكثر من أي شخص آخر. عندما كنا نلهو كفتاتين ونرعى البقر في حقل هيدج... ألا يخطر ببالها أن تضع صليبا فوقي كما فعل أخو لها...؟
... أيعرف أحد إن كانت هذه الحرب هي *حرب الاثنين الأجنبيين*؟...
ما إن تتوقع بعض السلام والهدوء الحقيقيين حتى تنطلق بالفعل هذه الثرثرات المزعجة. أليس ما يقولونه هناك في الأعلى نكتة حقيقية؟: *هي في دارها الآن. يمكنها الآن أن تقر في سلام، ويمكنها أن تنسى كل مشاكل الحياة في طين المقابر*... السلام! يا سلام! يا سلام!...
... إذا انتخبتموني أعدكم أني سأبذل كل ما يمكن لرجل أن يفعله -أقصد كل ما يمكن لامرأة أن تفعله- من أجل الثقافة ولغرس رأي عام مستنير هنا...
! ! يا ... أسمعتِ ما قالته ؟... *إذا انتخبتموني*... سأنفجر! سأنفجر!...

٥

... * كان يتحرق على الز-زواج
كما كان د-دائما عندما يشرب حتى الثـ - ثمالة...*
إنه لشيء مضحك يا ... الجميع يدعونه ... فهو يعيش وحيدا في كوخ صغير على قمة قريتنا. ولم يتزوج قط. هو الآن رجل عجوز. وليس هناك من أحد حي على صلة به -في آيرلندا على أي حال- باستثناء ... لا يمكنني بالفعل أن أخبرك، إلا إذا كان عليّ أن أقدم إجابة قصيرة، بما هي العلاقة التي تربطه بالضبط ، رغم أني سمعتها كثيرا بما يكفي...
أولاد عم بفارق جيل يا . الصغير-والد - كانا ابنيّ عم...
... *لديّ قطعة أر-رض صغيرة وكوخ صغير مر-ريح...*
قطعة الأرض التابعة تحف بأرض ، وهذا يعني لها أكثر مما يعني . فأرض بعيدة إلى حد كبير عنه، ولديها بالفعل أرض كبيرة على أي حال...
... *وأعر-رف اثنين سيد-دفعان إيجاري...*
كانت دائما تصعد إلى كوخ لتدعوه بدلال إلى بيتها، ليس فقط لأنها كانت ترغب في أرضه، لكن لتمنع من الحصول عليها...
آه، بالفعل يا ، ألم تكن تثير جنون تماما؟...
حتى لو كانت محاصيله تتعفن على التلال، كانت تظل تحثه على الذهاب ومساعدة ...
ابن رجل شريف....
ومن أفضل الجيران، كي نعطيه حقه...
لم تكن لديه قط تطلعات لأرض ...
وأحيانا كان يصعد ضد رغبته، فقط لخاطر راحة البال...
... * ر-رائعة في حفر الخناد-دق...*
... لا أعتقد أني رأيت أي شيء مضحكا هكذا في حياتي كلها...
كنت سأقول إنك لم تري قط متعة كبيرة في أي شيء، صحيح...
لكنك لم ترَي نصف الحكاية...
رأيت ما يكفي...
لو كنت في نفس البلدة...
كنت قريبة ما يكفي لهم. وما لم أره، سمعته. ألم يكن الريف بأكمله يتحدث عنهم؟
لم يكن هناك شخص واحد في البلدة بأكملها لا يسقط على روحه من الضحك من الصباح إلى المساء. لن تصدقي نصف الحكاية إن حكيت لك...
سأصدقه بالفعل. تقريبا كل يوم جمعة بعد قبض المعاش كنا أنا نذهب إلى حانة لشرب بعض الكؤوس وكان يخبرني بكل تفصيلة حدثت...
اخفضي صوتك. أنت تعرفين أن مدفونة حديثا – في مقبرة الخمسة عشر شلنا.

قد تسمعك...
دعها تسمع. دعهم جميعا في مقبرة الخمسة عشر شلنا يسمعونني إذا أرادوا. ما الذي يهمني من أمرهم! هم ومظاهرهم الفارغة! يجعلونك تحسبين وكأنك كنت حثالة قذرة...
لا يهم، أنا لا أريد أن تسمعني . لقد عشت في نفس القرية التي عاشت فيها طوال حياتي، وبالفعل كانت جارة طيبة، باستثناء أنها كانت تنظر بكراهية لأختها، وكان هو من جنى فوائد ضغينتهما... .
كثيرا ما أخبرني بذلك ونحن نتناول بعض الأقداح...
كنت لترين وهي منطلقة في الصباح تقود الأبقار إلى أعلى الحقول. وكانت تسلك متعمدة الطريق الطويل المحيط بالبيت كي تمر بكوخ : *كيف حالك اليوم يا ؟... أرى أن سلتيّ عشبك في حالة سيئة. أتعرف؟ أظن أن لديّ سلتان موجودتان في مكان ما من البيت، ولسنا بحاجة إليهما على الإطلاق حيث كان ينسج سلالا منذ بضعة أيام فقط، وصنع بنفسه سلتين جديدتين...*
وهكذا كان يحصل على السلال.
وما تكاد تهبط مرج التل حتى تأتي : *كيف حالك اليوم يا ؟... أرى أن البنطال الذي ترتديه في حالة سيئة. يحتاج بشدة إلى بضع رقع... لكني أظن أنه بلي منذ زمن. إنه متهرئ تماما. أتعرف؟ هناك بنطال في البيت في حالة جيدة كأنه جديد لأنه لم يُلبس كثيرا. صُنع من أجل لكن ساقيه ضيقتان أكثر من اللازم ولم يرتدهما مرة أخرى قط...*
وهكذا كان يحصل على البنطال...
ألم يخبرني بذلك هو نفسه؟...
وفي يوم آخر كانت تصعد مرة أخرى: *كيف حالك اليوم يا ؟... أرى أن أسوار حقلك هنا في الخلف قد تحطمت حتى تساوت بالأرض... حمير هذه القرية مصدر إزعاج فظيع. بالفعل هم كذلك، لأنهم لا يُربطون في الحظائر حيث ينبغي أن يكونوا. حمار العجوز وحمار سيئان بما فيه الكفاية، لكن أسوأهم جميعا هم حمير هذه المرأة* -تقصد - *وهي تتركهم يبرطعون كما يشاؤون... رجل عجوز مسكين مثلك يا ليس قادرا على مطاردة هذه الحمير وطردها. أتعرف؟ لديك الكثير من الأمور لتهتم بها من الآن فصاعدا. لا بد أن أخبر بسقوط الأسوار...*
وهكذا كانت تُرمم الأسوار من أجل .
حسن بالفعل، لقد أخبرني بهذا...
وتأتي له : *كيف حالك اليوم يا ؟... أنت لا تحقق تقدما كبيرا في هذا الحقل، أعانك الله. يا ربي الرحيم! أنت لم تنثر البذور إلا في ركن منه. سيتطلب الأمر منك أسبوعين آخرين لتنتهي. من الصعب بالطبع أن تحقق أي تقدم وحدك. تأخر الوقت بعض الشيء الآن على زراعة البطاطس. ألسنا بالفعل في عيد الربيع تقريبا!... من الغريب أن الجماعة الأخرى* -تقصد أسرة - *لا يقدمون لك يوما مِن العون، وقد انتهوا بالفعل منذ أسبوعين... سيكون عليّ أن أطلب من أن

يأتي إليك غدا. المكان المثالي لنا نحن الاثنين الآن يا ، ولبقية حياتنا، هو في ركن المدفأة إلى جوار النار...*
وهكذا كان الجزء الباقي من حقل البطاطس يُزرع من أجل .
أتعتقدين أنه لم يخبرني بهذا كثيرا؟...
لا يهم، لا أحد كان يمكنه أن يعرف الحكاية كلها إلا شخص عاش في نفس القرية معهم... كانت تحاول دائما أن تجعله ينتقل بحاله وماله إلى بيتها. لكن لا أمل في ذلك! أقول لك إن لم يكن عبيطا، رغم الطريقة التي كان يحاول بها الجميع ركوبه...
هل تعتقدين فعلا أني لا أعرف هذا؟...
أي شخص لم يكن يعيش في نفس القرية معهم لا يمكنه أن يعرف الموضوع على نحو صحيح... كان مرتبطا بكوخه الصغير كملك مرتبط بعرشه. ولو انتقل للعيش مع واحدة من الأختين، كانت الأخرى ستدير ظهرها له. ولا واحدة منهما كان ليصبح لديها أقل وقت من أجله لو ترك قطعة أرضه الحقيرة. لذا لم يفعل ذلك. ياله من طفيلي عجوز ماكر، ...
هل تعتقدين أني لا أعرف؟...
أنت لا تعرفين بالفعل، ولا يعرف أي شخص آخر لم يعش في نفس القرية معهم. لكن المرح العظيم كان يحدث عندما يسكر يوم سوق أو يوم جمعة، أو أي يوم آخر. عندئذ كان يغدو هائجا ومتلهفا على الزواج.
بحق الله، أتظنين أني لم أره كثيرا في حانة ، وهو نصف سكران؟...
رأيته هناك مرة، وإحقاقا للحق، كان منظرا كوميديًا. كان هذا منذ ما يزيد قليلا على خمس سنوات، قبل أن أموت بعام: قال: *سأتزوج. لديّ قطعة أرض طيبة، ومعاش نصف جنيه في الأسبوع، ومازلت في تمام صحتي. أقسم بيسوع أني سأتزوج. أقول لكم بصدق، سأتزوج رغم ذلك... اعطني زجاجة الويسكي تلك يا * -كان حيا عندئذ- *الأفضل فقط الآن. أقسم بيسوع، سأذهب للبحث عن زوجة.*
أتذكر ذلك اليوم جيدا. فقد التوى فيه كاحلي...
تدخل وتهمس في أذنه: *تعال معي إلى البيت يا ، وباتريك ابننا سيذهب ويبحث عن زوجة من أجلك، عندما تضعان أنتما الاثنان أيديكما معا...*
وتدخل وتهمس في أذنه: *تعال معي إلى البيت يا يا عزيزي. لديّ بعض اللحم وقليل من الويسكي. سيذهب ابننا ليبحث عن زوجة من أجلك بمجرد أن تأكلا أنتما الاثنان لقمة...*
هرع منطلقا إلى بيت في جورت ريبوك. وقال : *قد تكون أرملة، لكنها وحق المسيح نشطة ودؤوبة. إنها شابة الروح. وابنتها، تلك المتزوجة من ابنك يا ، بالكاد في الثانية والثلاثين أو الثالثة والثلاثين. لا شك في ذلك، الابنة امرأة عفية قوية بما يكفي لي.* هذا ما قاله، لا كذب. هل عرفت ذلك؟...
من المضحك أن تظني أني لم أعرف...

آه، وكيف لك أن تعرفي وأنت لا تعيشين في نفس القرية معهم؟... كان من حظهم أن لديه فقط كوخ صغير وإلا لأفلسوا تماما؛ فلا يوجد بيت آخر تحت سماء الله يتم تسقيفه بالقش أكثر منه. كان ابن يغطي الجانب الشمالي من أوله إلى آخره عاما. وكان مُسقِفا ممتازا. كان يضع عليه قش البردي. ولم يكن هذا أسوأ أنواع القش. ذلك الجانب من السقف لم يكن بحاجة إلى أي تسقيف آخر لمدة أربعة عشر أو خمسة عشر عاما. وفي العام التالي كان ابن يأتي بسلمه الخشبي ومطرقته. ويصعد إلى الجانب الشمالي. أتعرفين ماذا كان يفعل بالسقف الذي وضعه في العام الأسبق؟ كان ينتزعه ويلقي به على الأرض. فلأسقط ميتة هنا أمامك إذا كنت أنطق بكلمة كذب واحدة. لم تكن هناك قشة من قش بين طرفي السقف الجملون لم ينتزعها من جذورها.
وقال: *كان المطر قريبا سيقطر فوقك يا * أقسم بالكتاب المقدس أني سمعته يقول هذا! قال: *لم تكن سقيفة العام الماضي جيدة. لشد ما أنا مندهش لأنها حجزت أي قطرة مطر أصلا. كان نصفها من قش الخلنج الناعم فقط. يمكنك أن ترى هذا بنفسك. يا يسوع! إنه لم يكلف نفسه حتى عناء جمعها وضمها، فهو دائما ما يتحاشى أي شيء قد يجعله يبذل قليلا من الجهد. وإذا أردت قشا جيدا عليك أن تلج الأغوار العميقة وتبل قدميك. الق نظرة على القش الذي لديّ الآن؛ جئت به من منتصف غور البردي الأحمر...*
وقام بتسقيف جانبيّ البيت، ورغم ذلك؛ كان عملا فاشلا بعض الشيء. في الحقيقة، عمل فاشل فعلا! لم يدم حتى ثلاثة أعوام. كان إهدارا كاملا...
اللعنة، كل من يستمع إليكِ سيظن أني لم أكن أعرف هذا...
لا أحد كان يعرف بهذا، إلا من كان في نفس القرية معهم...
في مرة أخرى رأيتهما هما الاثنين على سطح البيت: ابن ابن . كان على الجانب الشمالي بسلمه الخشبي ومطرقته وكومة من القش. وكان على الجانب الجنوبي بسلمه الخشبي ومطرقته وكومة من القش. لم يكن المرء ليرى قط عملا كهذا في حياته كلها: كانا يعملان فعلا بجد. وكان قابعا فوق الصخرة الكبيرة عند الجانب الشرقي، يدخن غليونه راضي القلب ويثرثر معهما هما الاثنين في نفس الوقت. مررت وجلست على الصخرة الكبيرة بجوار . لم تكن لتسمع صوت تفكيرك مع ضجة المطرقتين.
قلت: *لمَ لا يكف أحدكما عن التسقيف لوهلة ويساعد الآخر، حيث أن لا يساعد أيا منكما. إما هذا أو قوما بالعمل بالتناوب كي تسقفا ويساعد أحدكما الآخر...*
قال : *امسكي لسانك! ألا ترين أنهما يتسابقان رأسا برأس الآن، فليباركهما الرب! إنهما مسقفان رائعان. أعتقد أن لا أحد منهما أفضل من الآخر مقدار عرض شعرة أو قلامة ظفر...*
من يسمعك تتكلمين يظن أني لا أعرف هذا...
حسنا، بالفعل أنت لا تعرفين، ولا القليل منه...
... * رائعة في بناء الأسوار الحجرية

خبيرة في ترميم السطوح...*
... *كان يضحك دائما
على التي دفعت إيجاره...*
لم يكن! لم يكن! لم يكن! يا ! ! سأنفجر! سأنفجر!...

٦

... حارس المقبرة! إنه معتوه كبير...
إنه لشيء عجيب يا ، إذا كان يملك خريطة ولا يعرف قبرا من الآخر...
بحق الله يا رجل، أي خريطة! إن خريطة هذا الشخص ليست أفضل من الطريقة التي كان الرجل القادم من الجانب الشرقي للقرية يقسم بها الأرض واضعا ملاقط في الرماد، في وقت *التخطيط*[20] منذ زمن بعيد...
لهذا يا تمسكت بقطعة الأرض التي لي في أعلى القرية برغمكم جميعا، بينما كان كل واحد منكم يريدها لنفسه. لم يكن هناك شيء أفضل من أجل تسمين الماشية...
أوه! هل تسمعون صوت صرصار الليل مرة أخرى؟...
إنه لشيء عجيب يا ، لو أن الجثث تُدفن في القبور الخطأ، ولا يتقصى أحد حول الأمر: أبلغوا الحكومة أو أخبروا القس أو ...
أوه! فليساعد الرب حكومتك! ذلك النوع من الحكومات الذي حصلنا عليه منذ سقوط حزب ...
أنت كاذب...
وأنت كاذب لعين...
ألم يقل : *إنهم يلقون بهم في أي حفرة قديمة في تلك المقبرة هناك، كما لو كانوا أمعاء سمك أو أصدافا فارغة*...
آه، ذلك اللعين القذر...
إذا لم يكن لديكِ صليب فوقك في هذه المقبرة، بحيث يغدو قبرك مميزا جيدا، لن يمر يوم دون أن يفتحه أحدهم...
سأحظى بصليب فوقي قريبا. صليب من رخام كونيمارا ، مثل ذلك الذي فوق ... صليب من رخام كونيمارا يا ...
لن يسمحوا بإقامة أي صلبان خشبية، أليس كذلك يا ؟
سيلقى بها إلى الطريق في اليوم التالي...
هل تعتقدين أن الأشخاص الذين يبيعون الصلبان الأخرى مسؤولون عن هذا؟
بالطبع! ومن غيرهم؟ كل واحد يسحب الماء إلى طاحونته. لو سُمح بالصلبان الخشبية أو الإسمنتية لن يكون هناك أي طلب على صلبانهم. عندئذ سيتمكن كل شخص من صنع صليبه الخاص...
أفضل ألا يكون لديّ أي صليب على الإطلاق بدلا من صليب مصنوع من الخشب أو الإسمنت...
أنت على حق. سأموت من الخزي...
هذه الحكومة هي سبب كل هذا. فهم يحصلون على المال في صورة ضرائب على الصلبان الأخرى...
أنت كاذب! كانت هذه اللعبة شغالة قبل هذه الحكومة...

إنه لشيء فظيع أن تلقي بواحد من أهلك إلى الأسفل بجوار غريب...
التفاحة لا تسقط أبدا بعيدا عن الشجرة...
تلك هي الحكومة بالنسبة لك الآن...
أنت كاذب...
سمعت أنهم حشروا ابن فوق في العام الماضي...
أوه، ألم أنهض وأركل القاتل من فوقي! شخص آخر من نسل ذوي الأذن الواحدة الخونة الذين طعنوني...
في العام الماضي كنت في جنازة من قريتنا. وُضعت فوق النساج من منطقة صخور سافي. لم يعرفوا قط أنهم يحفرون القبر الخطأ حتى اصطدموا بالتابوت. أقول لكم الحقيقة الصادقة، فقد كنت هناك...
أنت على حق. ألسنا مدركين أنك تقول الحق؟ لقد حفروا أربعة قبور من أجل ، وفي النهاية وضعوه فوق ...
فليوخزه الشيطان! لقد أصابتني أشعاره السخيفة بالخبل. فليُشوى في الجحيم؛ ألم يكن بمقدوره أن يبقى حيا لفترة أخرى حتى أنال صليبا فوقي؟...
آه! ياللشقي الصفيق!
لا فارق لديّ، لكني كنت قلقا من أن تعطي زوجتي الحيازة الكبيرة الجيدة للابن الأكبر...
هل سمعت بأمر زوجة من قرية دوناه، التي دُفنت تقريبا فوق ؟ لم يكن هناك صليب فوق عندئذ...
آه يا أيتها المسكينة!...
المسكينة، لا بد أنك كنت في عذاب...
صحت فيها، مباشرة، كي تبتعد عني إلى مقبرة النصف جنيه أو الخمسة عشر شلنا. آخر ما كنت بحاجة إليه أن توضع تلك الكتلة الكسولة فوقي. كانت رائحة القراص الخارجة منها ستقتلني...
ألم يحاولوا دفن أحد فوقك يا ؟
صعلوكة حقيرة من منطقة صخور سافي لم أعرفها أبدا ولا أعرف شيئا عن أهلها. أقسم ببلوط هذا التابوت، أقسم، أني جعلتها تبتعد مهرولة! قلت لها: *أنا بالفعل في حال سيء لو رقدت مع شحاذي صخور سافي في طين المقابر.*
بأمانة. كانوا قد حفروا قبري أيضا. امرأة ما من هيلسايد وود. قلت: *أف! أتوضع هذه المتوحشة الفظة من هيلسايد وود إلى جواري! فقط لو كانت شخصا لديه قليل من الثقافة!...*
أوه! هل تسمعين العاهرة الحقيرة من جورت ريبوك أرض البرك والمستنقعات وهي تقلل من شأن هيلسايد وود؟ آه! لا تكلميني! سأنفجر!...

٧

... سقطت من فوق كومة قش...

... فليساعدنا الله دائما أبدا! لو أنهم فقط أخذوا رفاتي وأعادوها إلى شرق برايت سيتي... الشمس الغاربة هناك لم تكن ستضطر إلى أن تنسل وتميل كي تصل إليّ. والشمس المشرقة لم تكن لتبدو كامرأة مسكينة متشردة في مهمتها الأولى للتسول، تستحي من المغامرة بتجاوز المسارات الغامضة للتل والجرف. دارة القمر لم تكن لتضطر إلى مراقبة خطواتها فوق المتاهة المستحيلة من التل والربوة والمرفأ عندما ترغب في أن تأتي وتُقبلني. كان ليغدو لديّ ذلك الامتداد الفسيح من السهل المنبسط كسجادة متعددة الألوان أمامها. المطر لم يكن ليأتي رشقا هابطا كطلقات مفاجئة من قناص مستتر في بقعة ملطخة، بل كانتصار جليل لملكة حضورها وسط شعبها يؤكد الرخاء وحكم القانون...
! *العاطفية المفرطة*!
الحماقة مرة أخرى...
... انظر إليّ! أعطاني القاتل زجاجة فاسدة...
... ذهبت إلى الساحة في السابعة... جاءت... تلك البسمة الحبيبة مرة أخرى. أخذت الشيكولاتة. فيلم... كان هناك فيلم في الساحة – وكانت قد رأت كل الأفلام في المدينة بالفعل. نذهب للتمشية أو إلى الرقص... كانت واقفة على قدميها في مكتب المراهنات طوال اليوم... شاي... كانت قد تناولت واحدا للتو. الفندق الغربي... بالتأكيد، استراحة قصيرة لن تؤذيها...
قلت للساقي: *نبيذ..*
قالت: *ويسكي..*
قلت: *كأسان مزدوجان آخران من الويسكي..*
قال الساقي: *لم يعد لديّ ويسكي. أتعرف كم شربتما من الويسكي بالفعل منذ السابعة؟ اثنا عشر كأسا مزدوجا لكل واحد! الويسكي نادر...*
قلت: *جعة..*
قالت: *براندي..*
قلت: *كأسان كبيران من البراندي..*
قال الساقي: *ألا تفهم أن الساعة قد تجاوزت الواحدة، وحتى إذا كان هذا هو الفندق الغربي فمازال عليك أن تحترس. ربما يهجم البوليس...*
*قلت: *سأمشي معك إلى بيتك، حتى بابك..* بينما كان الساقي يغلق باب الفندق خلفنا.
قالت: *تمشي معي إلى بيتي حتى بابي! الحال التي أنت عليها ترجح أنه يجب عليّ أن أمشي معك إلى بيتك. استقم قليلا وإلا ستسقط عبر تلك النافذة. لا يمكنك ان تمسك شرابك، أليس كذلك؟ أنا منتبهة ورأسي يقظ، رغم أني أسرفت في شرب البراندي أكثر منك! لن يخطر ببال أحد أني لمست قطرة منه، أليس كذلك؟... احترس حتى لا تصطدم بهذا العمود... هيا، امشِ. دعني أمسك بذراعكِ وسأرافقك حتى باب بيتك. ربما نحتسي قليلا من الشراب في

حانة سيمون أوهالوران على الطريق. إنها تفتح طوال الليل ولا تغلق أبوابها حتى الصباح...*
تمكنت من إلقاء نظرة عليها في الشارع نصف المضاء. كانت تلك البسمة المشرقة على وجهها. لكني كنت أضع يدي في جيبي وأفرغه. اكتشفت أني لا أملك إلا شلنا واحدا باقيا.
أيها الأحمق العبيط...
... يا ربي القدير، كما تقول أنت نفسك...
... أقول لك حق الله بصدق، يا . جاءت إليّ. أتذكر ذلك جيدا. كان هذا في آخر العام، في نوفمبر. كان ذلك العام الذي وضعنا فيه سماد الشتاء في حقل . وكان يفرد الطحالب البحرية في نفس اليوم. كنت أنتظر عودة الصغار من المدرسة في أي لحظة وكنت قد قلبت للتو البطاطس في الجمر من أجلهم. ثم جلست في الركن أرتق كعب جورب.
قالت: *ليبارك الرب كل من في الدار..* قلت: *حسنا، وأنت بالمثل. مرحبا بك يا . اجلسي.*
قالت: *لا يمكنني البقاء طويلا. أنا غارقة حتى أذنيّ في الاستعداد للقس. لم يبق إلا تسعة أو عشرة أيام قبل أن يقف فوقي. لا جدوى من الاختباء يا . لقد بعتِ الخنازير في السوق الماضي. وخنازيرنا لن تكون جاهزة قبل عيد القديس بريجيد[21]، إذا أبقاهم الرب... إنه طلب كبير يا ، لكن لو أمكنك الانتظار حتى يوم عيد القديس بريجيد، ستفعلين فيّ معروفا كبيرا لو استطعت أن تمنحيني جنيها من المال. لقد جئت بمن يصلح المدخنة وأنا أفكر في شراء مائدة مستديرة من أجل إفطار القس[22]. لديّ جنيهان عن نفسي...*
قلت: *مائدة مستديرة يا ؟ لا أحد حولنا هنا يملك مائدة مستديرة من أجل القس، إلا الأثرياء بالطبع. ولماذا لا يأكل على مائدة آيرلندية عادية مثل كل القساوسة الآخرين الذين نعرفهم؟*
قالت: *في المرة الأخيرة التي كان فيها ببيت كان لديها إناء شاي فضي جلبته ابنة من أمريكا. سأستعير إناء شاي فضيا من ، لأني أريد أن أكون مثلها رأسا برأس، بل وأسبقها بأنف! تلك المغرورة الوقحة!*
أعطيتها الجنيه. واشترت المائدة المستديرة. كانت الأشياء رخيصة في ذلك الوقت. وضعت إفطار القس عليها، وصنعت له شايا في إناء الشاي الفضي المستعار من .
أقسم ببلوط هذا التابوت يا الخمَّار، أني أعطيت الجنيه، ولم أر لمحة منه قط حتى اليوم الذي مت فيه، ولا أعرف ماذا فعلت البيَّاعة بشأن إناء شايها الفضي...
أنت كاذبة، يا شمطاء البطاطس المحروقة في الرماد. لا تصدقها يا عزيزي . لقد رددت كل قرش منه إليها، وضعته في راحة يدها، عندما بعت الخنازير في عيد القديس بريجيد التالي... لكن ماذا تفعل لها؟ وأمها كانت كاذبة مثلها، إنه

شيء في طبيعتها! لقد مت طاهرة كالبلور والحمد لله... فليُقطع لسان من يقول إن تدين بمليم أحمر لأحد عندما ماتت، وليست مثلك يا البخيلة يا طاهية البطاطس المحروقة في الرماد. عائلتك تركت كومة من الديون خلفكم أينما ذهبتم. ألديك الشجاعة للحديث! لقد قتلتِ نفسك وأسرتك بالبطاطس المخبوزة في الرماد... أوه، لا تصدقها يا ... لا تصدقها... لقد أعطيتها كل قرش أحمر من الجنيه في راحة يدها...
لم أفعل، أيتها الشمطاء العجوز؟... لم أفعل، تقولين؟
يا !... !.. هل سمعتِ ما قالته ؟... سأنفجر! سأنفجر!...

14 في شرق جالواي يخلق الحجر الجيري في التربة سهولا خصبة ومضيافة، على عكس أرض كونيمارا القاسية ذات الصخور الجرانيتية والمتحولة. *من هوامش الترجمة إلى الإنجليزية *
15 الأسماء الواردة هنا لشخصيات سياسية وتاريخية يُنظر إليها كأبطال في النضال الطويل من أجل استقلال آيرلندا *من هوامش الترجمة إلى الإنجليزية *
16 هنا IRA اختصار للجيش الجمهوري الآيرلندي لخوض حرب الاستقلال والحرب الأهلية وليس للجيش الجمهوري الآيرلندي صاحب *المشكلات* الأحدث المرتبطة بالثمانينات من القرن العشرين *من هوامش الترجمة إلى الإنجليزية *
17 نوع من الويسكي الآيرلندي. *من هوامش الترجمة إلى الإنجليزية *
18 مقطع من أغنية حب *من هوامش الترجمة إلى الإنجليزية *
19 كان بيت اللورد كيلانين الكبير وأراضيه في قرية سبيدال معالم رئيسية في المنطقة. *من هوامش الترجمة إلى الإنجليزية *
20 كان تحديد الحيازات المختلطة من الحقول الصغيرة سمة للنظام *الروندالي* القديم، بحيث تكون لكل مالك حيازته أو حيازتها في قطعة واحدة، كثيرا ما تكون في شكل شريط من الأرض يمتد داخليا من الساحل إلى بداية المستنقعات أو أرض العوام *من هوامش الترجمة إلى الإنجليزية *
21 في الأول من فبراير. ويأتي كعلامة على بداية الربيع *من هوامش الترجمة إلى الإنجليزية *
22 عندما كان يقام قداس في بيت خاص كان لا بد من استضافة القس على الإفطار بعدها *من هوامش الترجمة إلى الإنجليزية *

الفاصلة الثالثة
الطين المنفوش
١
أنا نفير المقبرة. فليُسمع صوتي! لا بد أن يُسمع...
لأني كل صوت كان ويكون وسيكون. كنت أول صوت في هيولي الكون. أنا الصوت الأخير الذي سيُسمع في غبار الدمار الأخير. كنت الصوت المكتوم للجنين الأول في أول رحم. وعندما يُجمع القمح في الجرن، سينادي صوتي الحاصد الأخير من حقل الزمن. لأني أول ابن وُلد للزمن والحياة، والقائم بأعمال بيتهما. أنا الحاصد والجامع والدارس للزمن. أنا الحارس والحافظ والحامل لمفتاح الحياة. أنصتوا لصوتي! عليكم أن تنصتوا...
لا وجود للزمن أو الحياة في المقبرة. لا نور ولا ظلام. هناك لا تغرب الشمس، ولا يهدر الفيضان، ولا تهب الرياح، ولا يتغير الطقس. لا يطول النهار، ولا يطارد أوريون الثريا، ولا يكتسي المخلوق الحي بعباءة البهجة والاحتفال. لا تعثرون هنا على عيون الأطفال اللامعة. ولا حمرة وجوه الشباب. ولا تورد خدود الفتيات. ولا الصوت اللطيف للنساء المتعلمات. ولا البسمة البريئة للعجائز. فالعيون والحمرة والخدود والبسمات كلها تنهرس في عصيدة الطين الواحدة غير المتمايزة. دفق الحياة لا صوت له هنا، ولا الصوت لديه دفق الحياة؛ لأنه لا وجود للدفق ولا الحياة ولا الصوت في كيمياء القبر الفاترة. لا يوجد غير عظام تتحلل ولحم يتعفن وأعضاء جسد كانت حية يوما ما وتتفسخ الآن. لا يوجد غير هذه الخزانة الترابية وحُلة الحياة البالية التي تقرضها العثة...
لكن فوق الأرض هناك ضباب حار ينسدل بخفة على الهواء. ومد الربيع ينبض باستمرار في قنوات الشاطئ. والمروج كأن علبة من اللبن الأخضر قد انسكبت فوق عشبها. وكل شجيرة وأجمة وحقل كوصيفات ملكيات يرتبن ثيابهن الرسمية قبل المثول في حضرة الملك. وثمة رنين حزين رخيم في غناء الشحرور في البستان. تتسع عيون الأطفال وهم يمسكون باللعب الساقطة من حديقة البراءة المليئة بالعجائب. وتتجلى شعلة انبعاث الأمل في خدود الشباب الشجاع. وتشتعل زهرات *القمعية * التي يمكن قطفها من مروج الأبدية في الخدود الحيية للفتيات. وتتفتح زهرة الشجيرة اللامعة في وجه الأم الرقيق. الصغار بضحكهم الرنان يلعبون الغميضة في الأفنية، ونبرات أصواتهم ترتفع وتنخفض كأنها تحاول أن تجذب سلم يعقوب من الفردوس. والهمهمة الخافتة للعشاق تتسرب من زوايا الطرقات الخلفية كنسيم خفيف يهب فوق أحواض زهر الربيع في أرض الشباب.
لكن ارتعاش الشيخ مزمن الآن. وعظام الشاب تتيبس. وخصلات الشيب تمتزج بالذهب في شعر المرأة. والظلمة، كوحل الثعابين، تطفئ بصر الطفل. المرح

والفرح يفسحان الطريق للتذمر والأنين. الضعف يطرد القوة. واليأس يهزم الحب. قماش الكفن يخاط إلى قماش المهد، والقبر يتعلق بالمهد. الحياة تؤدي مستحقاتها للموت...
أنا نفير المقبرة. فليُسمع صوتي! لا بد أن يُسمع!....

٢

... مرحى! ما هذا؟ من أنت؟ هل أنت زوجة ابني؟ ألم أكن على حق عندما قلت إنها ستحل هنا في ولادتها التالية...
، أنا هو – إلا إذا كان عليهم أن يعمدوني من جديد هنا. هكذا كانوا يدعونني في المكان الذي جئت منه. القلب...
كيف كانت جنازتي يا ؟
جنازة؟ القلب يا ! القلب! كنت ذاهبا للحصول على المعاش. لم أشعر بشيء. شربت رشفة من الشاي. وسرت الهوينى إلى الحقل العمومي لأحضر سلة من البطاطس. وعندما كنت أريحها عن كاهلي في البيت، تمزق الحزام وسقطت السلة مائلة. ارتطمت بجانبي بقوة. وجعلتني أفقد أنفاسي تماما...
كيف كانت جنازتي، هذا هو سؤالي؟
القلب، فليكن الله في عوننا! كان القلب عليلا يا . كان لديّ قلب عليل...
اللعنة عليك وعلى قلبك! سيكون عليك أن تكف عن هذا الهراء هنا...
العني، لكن القلب شيء مسكين يا . كنا نبني إسطبلا جديدا من أجل المهر الذي اشتريناه بعد الكريسماس. وكنا قد أنهيناه فيما عدا السطح. لم أتمكن من مد يد العون للشاب، لكنه مع ذلك سيفتقدني. لا مشكلة لديّ، لكن الجو كان رائعا منذ وقت طويل...
الجو! الوقت! هذان شيئان لن يقلقاك هنا يا . كنتَ أحمق طوال حياتك. قل لي فقط! لماذا لا تولينني انتباهك؟ هل حصلتُ على جنازة كبيرة؟
جنازة كبيرة جيدة!
تقول جنازة كبيرة يا ؟...
جنازة كبيرة جيدة. القلب...
فليأخذ إبليس وكل شياطينه ذلك القلب الذي يخصك، إن كان كنزا عزيزا عليك هكذا! هل تسمعني؟ سيكون عليك أن تكف عن هذا الهذيان. لن يستمعوا إلى ذلك النوع من الحديث هنا، ها أنا أقول لك. كم من المال تم جمعه عند المذبح في جنازتي؟
جنازة كبيرة جيدة...
أعرف، لكن كم من المال عند المذبح؟...
مبلغ كبير جيد...
كم؟ أسألك! كنتَ أحمق دائما. كم من المال عند المذبح؟
حصل على مبلغ كبير جيد، ، ، ...
ألم أعرف بهذا؟ وهذا ما أسألك عنه. ألم أكن فوق الأرض أنا نفسي في ذلك الوقت؟ لكن كم حصلت على مال عند المذبح، أنا، ؟ المذبح! سبعة عشر جنيها، أم ستة عشر جنيها، أم أربعة عشر جنيها؟...
عشرة جنيهات، واثنا عشر شلنا.

عشرة جنيهات! عشرة جنيهات! والآن يا ، هل أنت متأكد أنها كانت عشرة جنيهات، ليست أحد عشر جنيها أو اثني عشر جنيها، أو...
عشرة جنيهات يا ! عشرة جنيهات! مبلغ كبير جيد بالفعل. ليست هناك كلمة كاذبة في كلامي، كان مبلغا كبيرا جيدا عند المذبح. قال الجميع إنه كذلك. كنت أتحدث مع أختك ، وقالت: *حصلت على مبلغ كبير جيد عند المذبح، لم أظن قط أنها ستقترب من جنيهين أو ثلاثة منه، أو أربعة في الحقيقة.* القلب...
لعنة وضربة في قلبك! والآن يا ، كف عن هذا الهراء لخاطر الرب!... هل كان هناك أهل الجبل؟
قالت، بصدق: *ظننت أنها لن تقترب من جنيهين أو ثلاثة...*
أهل الجبل! هل كانوا هناك؟
أهل الجبل! لم يسمعوا شيئا عن الأمر. كان سيبلغهم. لكن قالت: *ويحك! لماذا تجرجر هؤلاء الخلق وتجعلهم يسيرون هابطين كل هذه المسافة؟* هذا ما قالته. القلب. قلب عليل...
أتمنى من الله لو كان قلبك قطعة سم محشورة في فم معدة ! وهل حضر أهل ؟...
ولا إصبع قدم منهم.
وأهل بحيرة ديري؟
جيء بابنة عم من بحيرة ديري إلى الكنيسة في اليوم التالي... لا مشكلة لديّ لكننا كنا نستمتع بطقس رائع لفترة لا بأس بها، وكنا نعمل على ذلك الإسطبل...
ولم يكن ذو الكلام المعسول هناك بالطبع؟...
مهر اشتريناه بعد الكريسماس...
فليكن الرب رحيما بك يا ، لكن لا تدع الناس المدفونة هنا تظن أنك لا تملك ذرة من عقل أكثر من هذا!... هل كان ذو الكلام المعسول هناك أم لا؟
ولا جزء منه، لكن قال إنه كان يتحدث إليه يوم السوق، وأنه قال له: * أؤكد لك يا ، كنت لأحضر الجنازة ولو كان ثمن ذلك حياتي. كنت مدينا ...
بالقدوم إلى جنازتها حتى لو زاحفا على ركبتيّ. لكني لم أسمع شيئا، ولا كلمة، حتى ليلة دفنها. صبي صغير... فشَّار حقيقي، ذو الكلام المعسول!... أي نوع من التوابيت وضعوني فيه؟
عشرة جنيهات يا . مبلغ كبير جيد.
هل تتحدث عن التابوت أم المال؟ لماذا لا تسمع؟... أي نوع من التوابيت وضعوني فيه؟ تابوت من...
أفضل تابوت من محل ، وبرميل ونصف من الجعة، وكمية طيبة من البوتشين. كان هناك شراب يكفي ضِعف الموجودين. قالت هذا له، لكن لم يكن يكفيه شيء غير الحصول على البرميل والنصف. كانت هناك وفرة من الشراب بالفعل. ورغم أني كنت رجلا عجوزا أنا نفسي فقد شربت اثني عشر قدحا تلك الليلة، ناهيك عن كل ما شربته في الليلة التي جاؤوا بك فيها إلى الكنيسة، ويوم

الجنازة. وكي أقول لك الحقيقة كاملة يا ، ورغم كل الاحترام والمودة اللذين أحملهما لك، كان من المستحيل أن أشرب هذه الكمية لو عرفت أن القلب كان عليلا...
ألم تسمع يقول أي شيء عن دفني في مكان آخر في المقبرة؟
شعرت بصدمة صغيرة في جانبي، وانقطعت أنفاسي تماما. كان القلب، ليساعدني الله...
يمكنك الاحتفاظ بهذا لنفسك يا . اسمعني. ألم تسمع يقول أي شيء عن دفني؟...
كنت ستُدفنين على أي حال يا ، لم يكن من المهم كم الكمية التي شُربت. حتى لو كنت الرجل ذا القلب العليل...
أنت أكبر أحمق ظهر على الأرض منذ قضم آدم التفاحة! هل سمعت يقول أي شيء عن دفني في مكان آخر في المقبرة؟
كان سيدفنك في مقبرة الجنيه، لكن قالت إن مقبرة الخمسة عشر شلنا جيدة بما يكفي لأي شخص، وأنه من الفظيع أن يعرض رجل فقير نفسه لهذه الكلفة.
العاهرة! هذا كلام جدير بأن تقوله! أكانت في البيت إذًا؟
مهر كبير جيد اشتريناه بعد الكريسماس. عشرة جنيهات...
هل دفعت عشرة جنيهات مقابل المهر؟ أخبرتني من قبل أنه كانت هناك عشرة جنيهات هي أموال المذبح...
كانت هناك عشرة جنيهات في مال مذبحك بالتأكيد يا . عشرة جنيهات واثنا عشر شلنا. كان هذا هو المبلغ بالضبط. جاء بينما كانت الجنازة تنعطف عند أعلى الطريق، وكان يحاول أن يدس شلنا في يد ، لكنه لم يقبله. كان المبلغ ليغدو عشرة جنيهات وثلاثة عشر شلنا. لو قبله...
كان ينبغي أن يحشره في حلقه، ! لو كان هذا الأخرق الدميم يبحث عن امرأة لما تأخر... لكن اسمعني الآن يا ، اسمعني... أيها الرجل الطيب! هل كانت في البيت؟
لم تغادره منذ متِ حتى ذهبتِ إلى الكنيسة. كانت تخدم النساء في البيت يوم الجنازة. دخلتُ الحجرة الخلفية كي أملأ بعض الغلايين[23] بالتبغ من أجل الناس القادمين من جورت ريبوك، الذين كانوا في حالة خجل شديدة تمنعهم من الدخول. وبدأنا نتحدث أنا : قلت: * جثة جيدة، فليرحمها الرب. وقد أرقدتموها بصورة جميلة...*
جذبتني إلى ركن معزول وقالت: *لم أكن أود أن أقول شيئا، كانت أختي في النهاية...* أقسم أن هذا ما قالته.
لكن ماذا قالت؟ قله...
عندما كنت أريحها عن كاهلي داخل البيت صدمت جانبي صدمة صغيرة. انقطعت أنفاسي حتى لم يبق منها نفس واحد. ولا نفس! القلب...
آه، فليرحمنا الربِ وينجينا! كنت أنت في ركن الحجرة وقالت: *لم أكن أود أن

أقول شيئا، كانت أختي في النهاية...*
أقسم أن هذا ما قالته. وعسى ألا أغادر هذا المكان قط إن لم يكن هذا ما قالته:
كانت تعمل بجد، حمارة شغل.. لكنها لم تكن على نفس القدر من النظافة، فليرحمها الرب. لو كانت نظيفة، أؤكد لك أنها كانت سترقد رقدة جميلة. انظر إلى القذارة فوق ذلك الكفن الآن يا . انظر إلى البقع. أليس هذا مخزيا! ألا تعتقد أنه كان بمقدورها أن تغسل أكفانها وتحفظها جانبا. لو أنها لبثت مريضة لوقت طويل لم أكن لأبالي. الجميع يلاحظون البقع على الكفن. النظافة شيء مهم يا ...
المجد للرب! يسوع ومريم ويوسف! تركتها نظيفة كالبلور في ركن الخزانة. لا بد أن زوجة ابني أو الأطفال قد لوثوها. أو أيا كان من أرقدني. من أرقدني يا ؟
ابنة . أرسلتا إلى ، لكنها لم تأتِ... القلب، فليساعدنا الله جميعا...
أي قلب! ألم يكن ظهرها ما تشكو منه؟ أتعتقد لأن قلبك العجوز كان فاسدا فإن قلوب الجميع فاسدة؟ ولماذا لم تأت ؟...
أرسل ابنته الكبرى لتأتي بها. لا أذكر اسمها. ينبغي أن أتذكره بالفعل. لكني مت بغتة وعلى غير توقع. القلب...
اسمها .
هذا هو. . بالتأكيد...
أرسل ابنته لتأتي ، أليس كذلك؟ وماذا قالت؟...
قالت: *لن أذهب إلى تلك القرية مرة أخرى. لقد انتهى أمرها معي. والطريق طويل للغاية عليّ الآن مع وضع حالة قلبي في الاعتبار...*
لم يكن قلبها، كان ظهرها كما أقول لك. ومن ناح عليّ؟
كان الاسطبل جاهزا ماعدا السطح. حتى لو لم أكن قادرا على تقديم عون كبير للشاب...
لن تتمكن من تقديم هذا القدر من العون على أي حال من الآن فصاعدا... لكن اسمع الآن يا . أيها الرجل الطيب! من ناح عليّ؟...
قال الجميع إنه لشيء مؤسف للغاية أن لم تأت، لأنها عندما تملأ معدتها بالجعة...
يا ربي! ولماذا لم تأت لتنوح عليّ؟
القلب.
القلب! كيف يمكن أن يكون القلب؟ كانت تشكو من الكلى، مثلي تماما. لماذا لم تأتِ؟
عندما أُرسل أحدهم إليها، كان مما قالته: *لن أحرك قدما من أجلهم. لقد بكيت ملء عيني من أجلهم، وهل حصلت على أي احترام مقابل ذلك؟ لا: ' إسفنجة. إسفنجة تمتص الشراب. أراهنك أنك لن تسمع منها نعيبا ولا نواحا إلا بعد أن تملأ بطنها حتى إبطيها. عندئذ ستندب بطريقة مروعة مثل جوقة الجحيم.' دعهم يندبونها الآن بأنفسهم، إذا كانوا يريدون. من الآن فصاعدا سأندب فقط أشخاصا معينين.* هذا ما قالته...

عاهرة بصحيح، تلك! لكنها ستنال ما تستحق مني عندما تحل هنا!... هل كانت تهمس في أذن القس أثناء الجنازة؟
لم يكن القس موجودا على الإطلاق. ذهب إلى جنازة ابنة عم ؛ لأنها كانت طيبة وقريبة منه. لكنه أشعل ثماني شمعات...
وهذا شيء لم تنله جثة من قبل يا .
غير أن واحدة منها انطفأت يا . اختنقت بدخانها...
عسى أن يختنقوا جميعا!
وتلى صلوات لا نهاية لها ورش الماء المقدس خمس مرات على التابوت، وهو شيء لم يره أحد من قبل... قالت إنه كان في الحقيقة يبارك الجثتين معا، لكني لا أصدق هذا فعلا...
آه يا ، ولماذا يفعل هذا؟ فليجازه الرب. إلى هذا الحد سيكون انتقاما عظيما من .
كيف حال ابنها ؟
فيه ما يكفيه من بؤس. فيه ما يكفيه من بؤس. القلب...
آه يا ربي! ما هذا الهراء عن القلب! ألم يكن وركه هو المصاب؟ أم أن الوجع انتقل إلى قلبه من وقتها؟ هذا أفضل مع ذلك...
الورك يا . الورك. هناك كلام عن الدعوى القضائية التي ستقام في دبلن في الخريف. الجميع يقولون إنه سيخسرها، وأنه سيترك وابنة دون مليم أحمر...
فليكن! بعون الله... ماذا قلت عن ؟
بعد أن ذهبت مباشرة للحصول على المعاش، تناولت رشفة من الشاي، وهبطت إلى الحقل العمومي...
لا تقلق! لن تضع قدما فيه مرة أخرى... اسمع، اسمع، أقول لك. ...
؟ يضج بالحياة. كان الكوخ على وشك أن ينهدم فوقه لحاجته لسقف. وجاءت إلى ابنك قريبا وقالت له: *إنه لعار فظيع عليك أن تترك ذلك الرجل العجوز المسكين والمطر يسقط على أم رأسه، فقط بسبب ما حدث لابني ...*
وأذعن الأحمق الصغير للعاهرة...
كان مشغولا، لكنه قال إنه سيضع بعض القش هنا وبعضه هناك في موضع أسوأ التسربات حتى يجد فرصة لصنع غطاء مناسب... القلب...
يحق لك. القلب. لدى قلب طيب. أطيب من اللازم... هل سمعتَ شيئا عن الصليب الذي من المفترض أن يضعوه فوقي؟
صليب جديد نظيف جيد من أفضل أحجار الجزيرة يا ...
قريبا؟
قريبا، بالتأكيد...
وزوجة ابني؟...
زوجة ابني؟... ابني ليس متزوجا على الإطلاق يا . أخبرته أنه عندما يكتمل اسطبل المهر، فإن أفضل شيء يمكن لفتى شاب مثله أن يفعله هو...
أن يذهب إلى الطبيب من أجل قلبه يا ، في حالة إن كان قد ورث العلة منك.

زوجة ابني. ابني . ابنة . هل فهمتها الآن؟...
آه، نعم. ابنة . مريضة قليلا. القلب...
أنت كاذب قذر. ليس قلبها، مريضة فقط...
مريضة قليلا فقط يا ...
شكرا على الإضافة! أعرف هذا القدر بنفسي. ظننت أنها ربما أظهرت بعض الدلائل على قرب قدومها إلى هنا. ستكون هنا عند ولادتها التالية بالتأكيد. هل سمعتَ شيئا عن ؟
أختك في أمريكا. كتبت تعزيه في موتك. وأرسلت إليه خمسة جنيهات. ولم تكتب وصيتها بعد. أخبرني أن ابنته الكبرى – ما اسمها؟ لا أتذكر. ينبغي ان أتذكر، لكني مت فجأة على غير توقع...
ابنة الكبرى اسمها ...
هذا هو، . هناك راهبات من مكان ما في الريف سيأخذنها ليجعلن منها معلمة عندما تتلقى ما يكفي من التعليم...
ستصبح معلمة! فليحرسها الله. كانت دائما مغرمة جدا بالكتب. هذا انتقام كبير من ...
... مرشحتنا المشتركة في هذه الانتخابات...
يا يسوع، فلتهبط من فوق الصليب! لا تقولي لي يا إن هناك انتخابات هنا أيضا. كانت هناك واحدة بالأعلى منذ بضعة أيام فقط.
وكيف صوَّت أهل قريتنا؟...
شعرت بألم صغير في جانبي. القلب...
ها هو يسرح مع جنياته من جديد! اسمعني! كيف صوَّت ناسنا؟
بالطريقة القديمة. وهل هناك طريقة غيرها؟ كل من في القرية صوَّت بالطريقة القديمة ماعدا أهل . كل من في بيتها غيروا اختيارهم لهذا الحزب الآخر...
فليخيب الله أملها، تلك العاهرة. بالطبع ستبدل وجهها. كانت دائما خائنة...
يقولون إن هذا الحزب الآخر وعدها بطريق جديد صاعد إلى البيت... لكن في الحقيقة لا قلق عليها حتى الآن. إنها تغدو أصغر سنا. لم أرها قط في حال أفضل مما كانت عليه يوم دفنك يا ...
فلتذهب في ستين داهية أيها القربة القديمة. لا أحد من أهلك كانت لديه قط كلمة جيدة يقولها، أبدا... فلتذهب في داهية، هذا ليس قبرك على أي حال... لا بد أن المقبرة انقلبت رأسا على عقب تماما إذا كان أمثالك سيُدفنون في نفس القبر معي. فلتذهب في ستين داهية إلى مقبرة النصف جنيه. تلك هي البقعة التي تنتمي إليها. انظر إلى كل مال المذبح الذي كان في جنازتي. انظر إلى الاحترام الذي أظهره القس لي. تابوتك لم يتكلف قرشا فوق الخمسة جنيهات. فلتذهب في داهية. أنت وقلبك العجوز. أتجرؤ؟!... لا أحد من أهلك كانت لديه قط كلمة جيدة يقولها. فلتذهب في ستين داهية بأسرع ما يمكنك!...

٣

... إذًا لم يكن هناك غير عشرة جنيهات بائسة في أموال المذبح كلها، بعد كل ما بذلته من جهد ومال على مذابح كل كسول نكرة في البلد. لا أحد -حي أو ميت- يستحق لفتة طيبة... ولم يأت أهل الجبل إلى جنازتي... أو أهل جلين بولي أو بحيرة ديري... ولم يأت ، الفشَّار. سيأتيهم الرد على هذا يوما ما. سيأتون إلى هنا...

لكن ما الفرصة التي كانت لدى أي شخص كي يأتي، بينما تلك المومس تبني عشا في أذن ، ناصحة إياه ألا يخبر أحدا بأمر موتي. وكانت هناك ترقدني وتوزع الشراب في جنازتي. كانت تعرف جيدا أني لم أعد حية، ففعلت هذا. لا يستطيع الميت أن يفعل شيئا حيال هذا...

لا يهمني أن لم تأتيا. سأرد لهما الصاع صاعين على هذا. ولن يفاجئني بأي شكل من الأشكال لو كانت قد ذهبت إليهما مقدما ووسوست لهما كي لا تجيئا بطريقة أو بأخرى. تفعلها هذه المومس! أي امرأة تقول إني لم أجهز أكفاني بشكل لائق لأدفن فيها... عسى ألا تأتي أي جثة أخرى إلى المقبرة قبلها!...

لكن أرسلت ورقة بخمسة جنيهات إلى . وهذا المبلغ عون كبير له. سيريح هذا تلك العاهرة ابنة ، والآن لن تتمكن من قول إنها ليست مسؤولة عن صليبي. لكن هذه علامة جيدة أيضا... أن تكتب لنا... فقط لو عشت بضع سنوات أخرى حتى تُدفن تلك العاهرة المتغضنة قبلي...

هذا خبر عظيم أن ستصبح معلمة. سيزعج هذا ابنة أيَّما إزعاج: سيكون لدينا معلمة في أسرتنا، وهم جميعا ليس لديهم معلم في كل عائلاتهم. أظن أن المعلمة تكسب كثيرا. سيكون عليّ أن أسأل عما كانت تكسبه زوجته. ومن يدري؟ ربما تحصل على وظيفة معلمة في مدرسة بلدتنا، خاصةً لو رحلت زوجة ، أو لو حدث لها أي شيء. ساعتها ستعرف بالأمر وتموت غيظا. أتخيل وهي تخطر عبر فناء الكنيسة كل يوم أحد مرتدية قبعتها وقفازها وممسكة بمظلتها، وكتاب صلواتها كبير كسلة حطب تحت إبطها، تسير متجهة إلى شرفة الكنيسة مع أخت القس، وتعزف على البيانو. فلتأكل ابنة قلبيهما حقدا وحسدا- إن كانتا مازالتا حيتين وقتها. لكنهم يقولون إن الأمر يرجع إلى القس في تعيين المعلمات. لو كان الأمر هكذا، لا أعرف ماذا أقول، صديقة مقربة له... لكن من يدري؟ ربما لن يمر وقت طويل قبل أن يرحل، أو قبل أن يموت...

وتلك العاهرة زوجة مازالت مريضة... إنه لمما يدعو للدهشة الشديدة أنها لم تمت. لكنها ستموت، في ولادتها التالية بالتأكيد...

مما يؤسف له أني لم أسأل عن العشب والزرع والخنازير والعجول وغارات الثعالب هذه الأيام. كان هذا هو كل ما أريد أن أسأله عنه، ثم... لكن ما الفرصة التي لدى أي شخص لسؤاله عن أي شيء، مع كل ثرثرته عن قلبه العجوز؟ سيكون من السهل أن أتحدث معه قريبا؛ فقد حُشر هنا إلى جواري على أي

حال...
الصبر يا ، الصبر. اسمعني. أنا كاتب...
انتظر الآن، أيها الرجل الطيب، حتى أنتهي من قصتي: *قال : ’آه من ذلك الانتهازي الحقير! لم يكن ليخطر له أن يترك مع أبيه المسكين حتى لو كان وحده كل ليلة منذ فرت ، تلك الفتاة الزائلة ابنة ابن ، مع ، ابن المحارب الأسود من الغابة المقدسة التابعة لفرقة فيانا[24]...*
أصعب رجل تعاملت معه على الإطلاق في مجال التأمين كان . لم تكن هناك حيلة في جعبتي لم أجربها. هاجمته من الخلف ومن الأمام ومن كل زاوية. جئته من البحار المشمسة ومن القفار المتجمدة. من عين العاصفة وعلى السهل المنبسط. هاجمته بحركة الكماشة، حاصرته، انهلت عليه لكما، طعنته، ضربته بالقنبلة الذرية. كنت كلبا متملقا، ولصا في الليل. ملأته بأساطيل من البِر الإنساني وسخرت منه بتهكمات الهجاء. أغرقته بدعوات للدفء في حانة . غذيته بالسجائر مجانا وبتوصيلات بالسيارة دون مقابل. جلبت له تقارير دقيقة عن زيارات المفتشين وأحدث القيل والقال عن الشجار بين ناظر وناظرة المدرسة في بلدة بارنا. حكيت له حكايات خيالية عن الشابات...
لكن كل هذا كان بلا فائدة على الإطلاق. كان يعتقد أنه لو اشترى بوليصة تأمين مني سيغدو هذا أسوأ شيء يمكنه أن يفعله. حتى كرب أسرة لم يكن ليشارك بمليم أحمر...
لكني شاركت...
أنت شاركت وكذلك أنا. لكنه كان أكبر بخيل في العالم. كان بخيلا جدا لدرجة أنه يمكن أن يسرق الفئران في تقاطع الطرق، كما يقولون. لم ينفق النقود عن سعة إلا مرة واحدة عندما ذهب إلى لندن، عندما حصل المعلمون على تلك العلاوة...
كان هذا عندما ذهب إلى الملهى الليلي.
نعم. قضى بقية حياته يحكي لي كل ما دار هناك، وهو يحذرني كي لا أفتح فمي الكبير. كان يقول: *لو سمع القس أو الأستاذة بهذا..*
تزوجها: الأستاذة.
قلت لنفسي: *ربما قد أتمكن الآن من العثور على نقطة ضعفه. قد تكون الأستاذة عونا كبيرا، لو استطعت مداهنتها. ويمكنك دوما مداهنتها...*
لا توجد امرأة حية لا تملك تلك النواة من الغرور، فقط لو استطاع المرء أن يكشف عنها الغطاء. لم أقضِ سنوات أبيع التأمين دون أن أتعلم هذا.
أعلم هذا أيضا. أسهل أن تَبيع للنساء عن أن تبيع للرجال لو كانت فطنتك حاضرة...
كان عليّ أن أمنحه وقتا حتى تبلى جدة الزواج. لكني لم أستطع أن أترك الأمر طويلا أكثر من اللازم كذلك، خوفا من أن يبهت تأثيرها عندما يخبو سحرها. مندوبو التأمين يعرفون كل شيء عن هذا...

وبائعو الكتب أيضا...
أعطيتها ثلاثة أسابيع... كان يوم أحد. وكانا هما الاثنان جالسين في الخارج أمام البيت بعد العشاء مباشرة. قلت: *ها أنا قد جئت أيها الوغد! أقسم بنخاع عظام أسلافي أني سأعقد صفقة اليوم!... لقد انتهيتَ من تحضير عمل الأسبوع، وتلك الملاحظات التي تتحدث عنها دوما. أنت محشو بالطعام، وإذا كانت زوجتك راضية، سيكون من الأسهل اللعب عليك الآن أكثر من أي وقت آخر...*
ثرثرنا قليلا عن السياسة. قلت إني في عجلة من أمري بعض الشيء. قلت: *الأحد مثله مثل أي يوم آخر بالنسبة لي؛ دائما أجوس ’بحثا عمن يمكنني التهامه‘. والآن بما أنك متزوج يا أستاذ، فينبغي أن تشجعك الأستاذة على شراء بوليصة تأمين. أنت أفضل حالا الآن من أي وقت آخر. ولديك زوجة يجب أن تعتني بأمرها... ورأيي هو..* قلت موجها حديثي لزوجته: *أنه لا يحبك بالفعل على الإطلاق، وأنه مستعد فقط للحصول على ما يريده منك، وإذا لم تكوني موجودة لكان منطلقا يطارد امرأة أخرى على الفور.*
ضحك الاثنان. قلت: *وكمندوب تأمين عليّ أن أخبرك إنه إذا مات فجأة، ليس هناك من مورد رزق لك. لو كان لديّ *سند ذهبي* مثلك...*
تجهم وجهها قليلا وقالت للأستاذ نصف هازلة ونصف جادة: *نعم، لو حدث لك أي شيء، سنكون جميعا في ورطة كبيرة...*
فقال بصوت مستاء: *وماذا يمكن أن يحدث لي؟*
قلت: *الحوادث منتشرة كالهواء، ومن واجب مندوب التأمين أن يقول هذا دائما.*
قالت: *بالضبط، وأتمنى ألا يحدث شيء. فليبعد الله عنا كل شر! لو حدث لك أي شيء، لن أبقى على قيد الحياة من بعدك. لكن، والعياذ بالله، لو مت ولم أمت في نفس الوقت... ماذا سيحدث لي؟ إنه واجبك...*
وهل تعرف ماذا حدث؟ اشترى بوليصة تأمين على الحياة! بقيمة ألف وخمسمائة جنيه. أعتقد أنه دفع أربعة أو خمسة أقساط فقط – أقساط كبيرة أيضا. ثم جعلته يشتري واحدة أخرى بقيمة مائتين وخمسين عندما دفع القسط الأخير. *لن يبقى طويلا..* قالت بابتسامة وهي تغمز بعينها لي.
وكانت على حق. لم يمر وقت طويل قبل أن يموت...
سأحكي لك عن ضربة أخرى موفقة لي. لكنها لم تكن بنصف جودة الصفقة التي عقدتها مع ...
لقد تلاعبت بنفس الحدة التي تلاعبت بها في موضوع ...
يا ربي! سأنفجر! سأنفجر! سأنفـ...

٤

! يا ... أتسمعينني؟
... لقد ألقوا فوقي، أقسم أنهم فعلوا ذلك يا ... آه، تحلي ببعض العقل يا ! لماذا

سأسمح له بالوجود في نفس القبر معي؟ أنا لم أضطر قط لجمع وبيع الحلزونات. ألم يعش هو وعائلته على الحلزونات؟ سأذكره بذلك قريبا. ورغم أني تحدثت معه لقليل من الوقت، إلا أنه كاد يقودني إلى الجنون بثرثرته عن قلبه العجوز... هذا صحيح أيضا يا . لو وضعوا الصليب فوقي، لكان أسهل عليهم كثيرا أن يميزوا القبر. لكن لن يطول الوقت الآن يا . أخبرني بهذا. صليب من أفضل رخام الجزيرة مثل صليب صاحب الحانة... زوجة ابني، أليس كذلك؟ أخبرني أنها ستكون هنا عند ولادتها التالية، لا شك في هذا...
هل تتذكرين يا ؟ هل تتذكرين ابنة الكبرى؟... تلك هي، ... هذا صحيح. ستتم الرابعة عشر الآن... أنت على حق. كانت قطعة لحم صغيرة عندما متِ. هي الآن في المدرسة الثانوية. أخبرني ... أنها ستصبح معلمة! وماذا غير ذلك! أنت لا تعتقدين، أليس كذلك يا ؟، أنهم يرسلونها إلى المدرسة الثانوية لتتعلم كيف تسلق البطاطس أو تطهو سمك الماكريل، أو لتجهز الفراش، أو لتكنس الأرض. قد يكون هذا مناسبا لتلك القربة المسماة بأمها، لو كان هناك وجود لمثل هذه المدرسة...
كانت دائما مغرمة بالمدرسة. لديها رأس عظيم مائل للتعليم، بالنسبة لفتاة في سنها. كانت أفضل بكثير من الأستاذة -أي زوجة - قبل أن يموت هو نفسه. لا يوجد أحد في المدرسة يجاريها بأي درجة، أخبرني بهذا.
قال: *إنها متفوقة عليهم بمسافة. ستتخرج قبل عام من أي أحد آخر.*
أقسم أنه قال هذا يا ... آه بربك الآن يا ، لا حاجة للحديث هكذا. هذه ليست مفاجأة على الإطلاق. لماذا تقولين إنها مفاجأة؟ كانت لدى عائلتي دائما عقول وذكاء ينقدح، ليس لأني أقول هذا...
... لكن هذا ليس ما سألتك عنه يا .
آه يا أستاذ، كان قلبي! قلبي، فليساعدنا الله! كنت قد ذهبت للحصول على المعاش. لم أسمع همسة... والآن بربك يا أستاذ، لا تكن سريع الغضب. لم أستطع تجنب الأمر. أحضرت سلة من البطاطس. وعندما كنت أريحها من فوق كاهلي... لكن يا أستاذ، أنا لا أقول كلمة غير الحقيقة. لكني بالتأكيد لا أملك شيئا غير ما يقوله الناس لي. للأسف كانت هناك أشياء أخرى في بالي. هبطت السلة مائلة. وحدث... ماذا كان يقول الناس يا أستاذ؟ ليس لدى قومنا وقت لقول أي شيء يا أستاذ أو للاستماع إلى أي شيء. كنا نبني إسطبلا جديدا للمهر...
ماذا كان يقول الناس يا أستاذ؟ أنت تعرف بنفسك يا أستاذ -رجل مثلك بكل هذا القدر من التعليم، بارك الله فيك- أن هناك بعض الناس لا يستطيعون العيش دون ثرثرة. لكن شخصا بقلب عليل... سأخبرك بما يقولون يا أستاذ، فقط لو كان لديك قليل من الصبر ولم تكن غضوبا معي هكذا. لم أكن لأبالي، لكن الطقس كان رائعا لوقت طويل بينما كنا نبني الإسطبل... الناس يا أستاذ؟ يقولون أكثر مما يتلون في صلواتهم. لكن شخصا لديه قلب عليل، فليساعدنا الله...

الأستاذة، أليس كذلك؟ لم أرها قط في حال أفضل يا أستاذ، ليباركها الله! إنها تغدو أصغر سنا، لا شك في ذلك. لا بد أن لديها قلبا عفيا جدا... آه، بالطبع الناس معتادون على الكلام. هكذا هم. أقسم أني والشاب كنا مشغولين بالإسطبل... آه، بربك، لا تغضب مني. ألا تعرف أن الجميع قالوا إن لن يبرح منزلك مهما حدث؟
كان مُهرا كبيرا جيدا يا أستاذ... ما الفائدة التي ستعود عليك من غضبك مني؟ لم يكن باستطاعتي أن أفعل أي شيء بخصوص أرضك. كان لديّ المزيد لأقلق بشانه، والله المعين... هو يقضي الكثير من الوقت في البيت، هل هذا هو السؤال؟ أقسم بروحي أنه يفعل ذلك بالتأكيد يا أستاذ. لا مشكلة لديّ في ذلك، لكن في المدرسة أيضا؟ إنه يزور المدرسة كل يوم ويعطي الخطابات للتلاميذ، ويخرج هو والأستاذة إلى القاعة ليتسامرا. آه، فليبارك الرب براءتك يا أستاذ. أنت لا تعرف نصف الموضوع. لكن كان لديّ المزيد لأقلق بشأنه. انقطعت أنفاسي تماما. القلب...

٥

... لكن يا ، ...
دعني أنهي قصتي أيها الرجل الطيب: *قال [25]: 'بالقطع لا يوجد أحد يمكنه أن يوجهني في هذه القضية الآن ماعدا شخص واحد فقط - - وهي على بعد سبعمائة ميل من هنا، تصنع تمائم سحرية لمقطري الخمور الذين تسرق الجنيات من ويسكي البوتين الذي يصنعونه كل قواه، في بلدة يسمونها *عظام الحصان *[26] في مقاطعة جالواي هناك في آيرلندا. جهزوا أفضل خيولي في الإسطبل حتى أذهب وأحضرها إلى لندن في إنجلترا راكبة خلفي...'
وانطلق. وقال لها: 'يا آنسة ، كيف يجرؤ أي ابن عاهرة على إهانتي هكذا؟...'*
... آه والآن هيا يا ! تجمعين الأصوات من أجل ! ولم لا؟ ابنك متزوج من ابنته فوق الأرض. وحتى لو لم يكونا، أنت متوافقان كزوج من اللصوص...
هذا هو الشكر الذي أناله الآن. كنت لتموتين قبل سنوات من أوانك لولا ما أعطيتك من قروض. كنت تعترضيني كل يوم متوسلة: *من أجل الرب وأمه المباركة اعطيني بعض الدقيق حتى أبيع الخنازير...*
لقد دفعت الغالي والنفيس مقابل ذلك الدقيق نفسه، يا أيتها الحقيرة البائسة! كان الناس جميعا يقولون: * امرأة طيبة وخيِّرة. إنها تبيع بالآجل.* كنت تفعلين هذا يا لأنك كنت تعلمين أنك ستحصلين على مالك مرة أخرى، وإذا لم يدفع لك واحد، سيكون هناك مائة آخرون يدفعون...
نفس هذا المبدأ الأساسي ينطبق على التأمين...
كنت لأحصل على كيس من الدقيق مقابل جنيه لو دفعت فورا. أما لو انتظرت حتى يوم السوق أو بعت قبل السوق، فسيغدو الثمن جنيها وثلاثة شلنات. وإذا لم أتمكن من الدفع طوال ستة أو تسعة شهور، فكان يكلفني جنيها وسبعة شلنات. كنت لينة وعذبة مع الوجهاء. وكنت قاسية ومحتقرة للشخص الذي لا يملك قرشا في راحة يده. الحمد لله أن جاء اليوم الذي لا نخشى فيه من قولها في وجهك...
اسمعي يا أيتها العاهرة الماكرة -الداعمة الماكرة لمن يملكون المال على أي حال- أيتها العاهرة الماكرة، أنت من قتلتيني قبل ثمانين عاما من أجلي. بسبب نقص السجائر... رأيتك تعطينها للشاويش الذي لم يشترِ منك إطلاقا إلا في برايت سيتي. ورأيتك تعطينها لسائق شاحنة لم يعرف أحد من أي داهية جاء، ولم تأخذي منه قرشا كربح. كنت تخبئينها تحت لوح البيع.
قلت لك: *واحدة فقط، يمكن أن تكفيني واحدة الآن، وربما سيكون هناك المزيد غدا، أول الشهر...*
وقلتِ: *ومن أين آتي بالسجائر؟ أنت لا تعتقد بالتأكيد أني أصنعها!...*
قلت: *لو كنت غنيا كفاية لأعطيكِ أربعة أو خمسة شلنات مقابل العلبة، لقمت بحشوها لي...*

وعدت إلى البيت.
قالت أمي: *كان أحرى بك أن تجمع ذلك النثار من الطحالب الذي تركته هناك وتنثره على الحقل هنا..*
قلت: *طحالب! انتهي عملي في نثر الطحالب يا أمي.*
وبصقت بصقة كانت متيبسة كانتصاب ذكر. عسى ألا أغادر هذا المكان قط إن كنت لا أقول الحقيقة. كان هناك قط صغير قرب المدفأة. بدأ يلعق كتلة البصاق. فانتابته نوبة من السعال. عسى ألا أغادر هذا المكان قط إن لم يفعلها.
قلت: *لا يبدو هذا جيدا..* وآويت إلى فراشي. ولم أنهض بعدها قط. بسبب نقص السجائر. موتي في رقبتك أيتها العاهرة الماكرة ، يا من تتعهرين للأغنياء...
وكذلك كان موتي! كان القبقاب الذي بعته لي أيتها الساحرة العجوز هو ما عجل بنهايتي. أعطيتك جنيهين وخمسة شلنات في يدك. كان ذلك في عز الشتاء وكنا نشق ذلك الطريق في قرية دوناه. كنت أحمل الحجارة على نقالة في ذلك النفق الرطب إلى الجنوب. عسى أن يختنق ذلك النفق ويغرق دائما وأبدا! وهناك كان مقدرا لي أن أموت. لبست القبقاب. وبعد يومين لم يمنع قطرة واحدة عن الوصول إلى قدميّ...
وضعت النقالة أرضا.
قال زميلي: *ماذا يسوؤك؟*
قلت: *كل شيء..* جلست بين ذراعيّ النقالة ورفعت سروالي التحتي إلى أعلى كاحلي. كان كاحلي أزرق كأنف الظربان. أقسم بالسماء أنه كان كذلك.
عندما مر الريّس قال: *ماذا يسوؤك؟*
قلت: *كل شيء..*
قال: *أخشى أن كل شيء لديك في غاية السوء..*
قلت: *قبقاب .*
قال: *اللعنة على هذه القباقيب وعلى كل شيء يمت لها بصلة. لو عاشت هذه المرأة أطول من هذا لن يكون لديّ عامل طرق باقٍ خارج المقابر.*
عدت للبيت. رقدت في الفراش. أرسلوا إلى الطبيب في تلك الليلة.
قال: *لقد انتهيت. القدمان...*
قلت: *لقد انتهيت بالفعل. القدمان... القبقاب...*
قال: *قبقاب فعلا. طالما أنها حية لن أكون عاطلا... لكنك انتهيت على أي حال...*
وبالطبع كنت منتهيا. بعد أسبوع من ذلك اليوم دُفنت. قبقابك يا الغشاشة. موتي في رقبتك...
وموتي في رقبتك يا الدميمة. قهوتك. آه، قهوتك اللعينة! والمربى. المربى اللعينة التي كنت تبيعينها يا الدميمة. قهوتك بدلا من الشاي: ومرباكِ بدلا من الزبد.
كان اليوم المحتوم بالنسبة لي -فقط لو كان بمقدِوري أن أتجنبه- اليوم الذي

جعلت فيه بطاقتي التموينية معك يا الدميمة: *لم يأت أي شاي هذا الأسبوع. لا أعرف ما خطبهم حتى لا يرسلوا لي أي شاي.*
لم يأت أي شاي يا ؟
ولا حبة منه.
وليس بمقدور الناس الحصول على أي شاي هذا الأسبوع يا ؟
ليس بمقدورهم فعلا. لكنكم ستحصلون على حصة أسبوعين من التموين في الأسبوع القادم.
لكنك قلت هذا كثيرا من قبل يا ، ولم يجرِ تعويضنا قط عن الأسابيع التي لم يأت فيها... لخاطر الرب وأمه المباركة يا ، قلَيل من الشاي. قليل من الشاي. حتى ما يغطي ظفر إصبع... لقد سممتني القهوة...
ألا تعرف أني لست من يصنع الشاي! إذا لم تكن راضيا يمكنك أن تنقل بطاقتك إلى...
وكنت تعلمين جيدا أنه ليس بمقدوري فعل ذلك يا الدميمة. كنتِ تدخرين الشاي لهؤلاء الذين يمكنهم دفع ثلاثة أضعاف ثمنه: البيوت التي تضم متعلمي اللغة الآيرلندية والسياح والوجهاء ومن على شاكلتهم. أعطيتيه لمديرة بيت القس أمام عينيّ، وأعطيت ربع رطل لزوجة الشاويش. محاولة أن تجعلي القس يبتعد عن إدانة احتيالك أمام المذبح؛ ومحاولة أن تجعلي الشاويش يبتعد عن إدانة احتيالك أمام المحكمة...
عدت بالقهوة إلى البيت معي. أعدت المرأة العجوز بعضها.
قلت: *لن أشرب قطرة منها، بارك الله فيكِ على أي حال...*
قالت: *سيكون عليك أن تتناول شيئا بعد قليل. لم تتناول شيئا منذ صباح الأمس.*
قلت: *فليكن.* ثم سعلت كتلة من البلغم. كانت كالجلد، بعد إذن من في المقبرة. بدأ الكلب يشمشم حولها. لكن ليس لوقت طويل. سرعان ما فر هاربا ولم يُرَ مرة أخرى طوال يومين.
قلت: *عصارة معدتي ليست كما ينبغي لها أن تكون. وقد أموت الآن فورا كذلك. سأموت إن شربت هذه القهوة الآسنة، وسأموت إن لم أشربها...*
ومت بالفعل. لم يعد بمقدوري أن أنطق كلمة بعدها، فقط بصقتها عرقا عندما أرقدوني. كانت قهوتك التي قتلتني يا أيتها الساحرة العجوز. موتي في رقبتك.
وموتي!
وموتي!
وموتي!
... لن أصوت لك يا . لقد سمحت لمهرطق أسود أن يهين الدين داخل محلك العام. لم يكن لديك دم في عروقك. لو كنت أنا مكانك...
لقد كنت محتالا كاملا يا . غرَّمتني أربع قطع من العملات المعدنية مقابل نصف كأس من الويسكي، وكنت بريئا لدرجة أني لم أعرف ما ينبغي أن أدفعه...

كانت زوجتك لتعرف كل شيء عن الأمر. لقد قضت على الكثير من أنصاف الكؤوس في حانتي. لكني أعتقد أنك لم تعرف قط شيئا عن هذا أيضا، حتى الآن...
كنت محتالا يا . كنت تخفف الويسكي بالماء...
لم أفعل.
أقول لك إنك كنت تفعلها. ذهبنا أنا إليك يوم جمعة بعد أن قبضنا المعاش. كان هذا قبل الحرب. كان البلد غارقا في الويسكي. وبمجرد أن رأيت مرحا قليلا بدأت تتحدث إليه عن النساء. قلت: *إنه لمن العجيب أنك لم تتزوج حتى الآن يا . رجل يمتلك قطعة أرض لطيفة...*
قال : *وحق الله أنت لم تنطق أبدا بكلام أصدق من هذا! ولعلك ستقدم لي ابنتك كذلك.*
قلتَ: *والله ها هي، لن أمنعها عنك..* كان يوما يا ... لا تنكر ذلك...
دخلت ابنتك الحانة في تلك اللحظة المناسبة بالضبط. وأخذت إناء المربى الفخاري من الرف. أتعتقد أني لا أذكر؟ قلتَ: *ها هي الآن، يمكنها أن تفعل ما يحلو لها...*
قال وهو يتحرك مقتربا منها: *هل تتزوجينني؟*
قالت: *ولم لا يا ؟ لديك قطعة أرض لطيفة، ومعاش نصف جنيه...*
قضينا بعض الوقت نمزح بهذه الطريقة، لكن كان نصف مازح ونصف جاد. وكانت ابنتك تتقصَّع وتلهو بكوفيته... كان يوما يا ... لا تنكر ذلك...
دخلت ابنتك المطبخ. ودخل وراءها، ليشعل غليونه. أبقته بالداخل. لكنها سرعان ما عادت إلى الحانة من جديد لتأتي له بكأس آخر من الويسكي. وقالت: *هذا الأحمق العجوز سيسكر قريبا حد العمى، وسيكون ضيفنا حتى الصباح عندئذ..*
أخذت الكأس الذي كانت تمسك به في يدها. ووضعت نصفه تقريبا ماء من الإبريق. ثم أكملت ملأه بالويسكي... كان يوما يا ...
أتظن أني لم أرك تفعلها؟ كنت أعرف جيدا ما كان يحدث بينك وبين ابنتك وراء البار . أتظن أني لم أفهم همسكما؟ أمدت ابنتك دون انقطاع بالويسكي المخفف بالماء طوال اليوم. لكنه دفع ثمن الويسكي مقابل الماء، وكان سكرانا في المساء مع ذلك... قضت ابنتك اليوم وهي تتدلل عليه. وسرعان ما بدأ يطلب كؤوس ويسكي من أجلها، وكانت هي تملؤها بالماء فقط. كاد سائق شاحنة أن يدهسه ذلك المساء لولا ، زوجة ، التي جاءت وأخذته معها إلى البيت... كان يوما يا . لا تنكر ذلك. كنتَ لصا...
سرقتني أنا أيضا يا . أغوتني ابنتك بالدخول إلى القاعة الداخلية، قائلة إنها مغرمة بي. جلست في حِجري. ودخلت زمرة من الشباب المتهتكين من برايت سيتي وأرسلوا إلى القاعة الداخلية معي، وكان ذلك الأحمق يشتري لهم الشراب طوال الليل. وفي اليوم التالي فعلت ابنتك نفس الشيء. لكن لم يكن

هناك أي شباب متهتكين من برايت سيتي حاضرين. وبدلا من ذلك، أومأت إلى المتطفلين الجالسين في الركن ليدخلوا، وجيء بهم إلى القاعة الداخلية، وكان على هذا الأحمق الغبي أن يتحمل مشروباتهم...
أتذكر هذا جيدا. فقد التوى كاحلي...
حتى لم يعد لديّ عملة واحدة ترن على بلاطة. كان هذا جزءا من لصوصيتك يا : تزعم ابنتك أنها تشتهي جسد كل كلب ظننتَ أن لديه قليلا من المال، إلى أن تحلبه حتى الجفاف...
وسرقتني أنا أيضا يا . عدت إلى الديار من إنجلترا لقضاء الأجازة. كان معي ستون جنيها في جيبي حصلت عليها بشق الأنفس. أغوتني ابنتك إلى القاعة الداخلية. وجلست على حجري. ووُضع شيء ما في شرابي خلسة. وعندما أفقت من غيبوبتي لم يكن لديّ أي شيء في العالم الواسع بأسره غير شلنين وبضعة أنصاف قروش بائسة...
وسرقتني أنا أيضا يا . كان معي ستة وثلاثون جنيها حصلت عليها مقابل ثلاث شاحنات من عشب الحطب ذلك المساء. جئنا إلى حانتك لنحتفل بالصفقة. وفي العاشرة والنصف أو الحادية عشر كنت وحدي في الحانة. وأنت لم تفعل شيئا غير أن نأيت بنفسك. وهذا جزء من مكرك: لتبدو وكأنك لم تلاحظ شيئا. دخلت القاعة الداخلية مع ابنتك. جلست على حجري. ووضعت ذراعيها حولي من تحت إبطيّ. ووُضع شيء غير سليم مباشرة في شرابي. وعندما عدت إلى وعيي كان كل ما تبقى معي فكة جنيه حصلت عليها قبل ذلك، وكانت في جيب بنطالي...
وسرقتني أنا أيضا يا . لا عجب أن ابنتك كان لديها مهر كبير عندما تزوجت من ابن . بصراحة يا ، لن أمنحك صوتي...
كنت قد نويت منذ البداية أن أدير هذه الانتخابات بطريقة لائقة لصالح حزب الجنيه. لكن بما أنكم، يا حزب الخمسة عشر شلنا، قد أدخلتم في الصراع موضوعات شخصية بغيضة -أشياء لم أظن قط أنها ستُنسب إلا إلى حزب النصف جنيه- فسأكشف معلومات معينة عن مرشحتكم المشتركة، . كانت صديقة لي. ورغم حقيقة أني أعارضها سياسيا، إلا أن هذا لا يعني أني لا أحترمها وأننا لا يمكن أن نتمتع بعلاقة مُرضية. لهذا أكره فعلا أن أقول هذا. يحز هذا في نفسي. أبغض هذا. يثير استيائي. لكنكم أيها الناس من بدأتم بالتقليب في الخراء، أنتم يا حزب الخمسة عشر شلنا. لا تلوموني إن وضعتكم على الخازوق الذي صنعتموه. الفراش الذي أعددتموه لأنفسكم، فلتناموا عليه الآن! كنت خمَّارًا فوق الأرض. ولا أحد غير كل كذاب لعين يمكنه أن يقول إن حانتي لم تكن حانة محتشمة. أنتم فخورون جدا بمرشحتكم المشتركة. بمقدورها أن ترفع رأسها في أي محفل من أجل اللياقة والأمانة والفضيلة، إذا كان ما تقولونه أيها الناس صحيحا. لكن كانت سكيرة. هل تعلمون أنه نادرا ما مر يوم دون أن تأتي إليّ -خاصة أيام الجمعة عندما كان يأتي إلى الحانة- وتشرب أربعة أو خمسة أقداح في الاستراحة في ظهر الحانة.

هذا ليس صحيحا! هذا ليس صحيحا!
هذه كذبة لعينة! هذه كذبة لعينة يا ...
أنت تنفث الأكاذيب! هذا ليس صحيحا!...
بل صحيح! لم تكن تشرب فقط، بل كانت إسفنجة شراب. كثيرا ما أعطيتها الشراب بالآجل. لكنها كثيرا ما عجزت عن الدفع لي...
لم تشرب قط قطرة من شراب...
إنها كذبة لعينة...
هذا ليس صحيحا يا ...
بل صحيح، أيها الزملاء من الجثث! كانت سكيرة سرية. عادةً عندما لم يكن لديها عمل في أي محل آخر في القرية، كانت تأتي قفزا عبر الزقاق القديم، وتخترق الغابة الصغيرة وتأتي إلى المدخل الخلفي. واعتادت أن تأتي أيام الآحاد وكذلك بقية أيام الأسبوع، بعد وقت الإغلاق ليلا وقبل وقت الفتح صباحا.
هذا ليس صحيحا! هذا ليس صحيحا! هذا ليس صحيحا!
نخب !...
نخب حزب الخمسة عشر شلنا!
تعيش إلى الأبد! إلى الأبد!...
فليحفظ الرب صحتك يا ! ناولها حيث يؤلمها! آه يا ربي! وأنا لم أعرف قط أنها كانت سكيرة سرية! وماذا غير ذلك كان يمكن لها أن تكون! وهي التي ظلت في صحبة البحَّارة...

٦

... القلب! القلب، فليكن الله في عوننا جميعا!...
... فلينجنا الله جميعا دائما أبدا!... قد يأتي أصدقائي وأقاربي ومعارفي ويركعون عند قبري. والقلوب الدافئة ستشتعل بالصلوات الحميمة، والأرواح المواسية ستنخرط في الترانيم العذبة. سيجاوب الطين الميت على الطين الحي، وسيتدفأ القلب الميت بحب القلب الحي، وسيستوعب الفم الميت تلك الكلمات القوية من اللسان الحي...
ستصلح الأيادي الودودة قبري، سترفع الأيادي الودودة شاهدي، وستنشد الأصوات الودودة صلاة راحتي. طين تمبل براندون هو طين عشيرتي! الطين المقدس لجبل صهيون الخاص بي...
لكن لا يمكن أن يكون هناك في جالو، ولا في مينلو، ولا يمكن العثور على أي واحد من آل في أي مكان، وإلا لم تكن كومة عظامي ستُترك لتتعفن في طين الجرانيت الفظ، في طين التل والمرفأ القاسي، في طين الصخر والركام الضنين، في طين الحشيش وطحالب البحر العقيم، في الطين المتقلقل لمدينة بابل الخاصة بي...
تغدو حالتها سيئة جدا عندما يضربها الجنون...
انتظر الآن، انتظر حتى أنتهي من قصتي...
بدأت الدجاجة الرقطاء في الصياح حول الفناء بعلو صوتها: 'وضعتُ بيضة! وضعتُ بيضة! طازجة ساخنة على كومة الروث...' فصاحت بها دجاجة عجوز فظة سمعتها: 'ابتعدي عن هنا ولا تزعجينا ببيضتك الصغيرة القذرة.. لقد وضعتُ تسعة أجيال، أربع فقسات، وست فقسات ثانية، أربع حضنات، حوالي ستين بيضة ومائة وواحد بيضة بدون قشر منذ اليوم الأول الذي بدأت أصيح فيه على كومة الروث. وكشفوا عن احتمال وجود بيضة لديّ مائة وست وأربعين مرة...'
كنت أتمنى لو كنت مكانك يا . لم يكن ينبغي أن تسمح لمهرطق أسود أن يهين دينك...
... شربت اثنين وأربعين قدحا، واحدا بعد الآخر. أنت تعرف هذا يا .
أقول لك إنه لم يكن هناك غبار على ...
أتعتقد أني لا أعرف هذا؟
فلتذهب أشعارك العقيمة إلى الجحيم. وعلى حد علمي في هذه اللحظة عينها يمكن أن تكون المرأة العجوز في البيت تقوم بتسليم الحيازة الكبيرة لابننا الأكبر وابنة ...
... *كانت الكبير ابنة...*
... أعطاني النذل القاتل زجاجة فاسدة...
يا ربنا المقدس، كما تقول...
أنا أكبر رجل في المقبرة. دعوني أتحدث...

Qu’est-ce qu’il veut dire[27]: *دعوني أتحدث*؟...
لكني كنت أضع يدي في جيبي وأخرجها فارغة...
قبقابك يا الغشاشة...
آه يا عزيزتي ، لقد أرهقتني الانتخابات. شجار وجدال طوال الوقت. أصوات! أصوات! أصوات! أتعرفين يا ؟ الانتخابات ليست نصف العمل الثقافي المتحضر الذي توقعت أن تكونه. بأمانة! وكلها أكاذيب. بأمانة! هل سمعتِ ما قاله عني: أنه كان من عادتي أن أشرب أربعة أو خمسة أقداح من الجعة السوداء كل يوم فوق الأرض. بأمانة! جعة سوداء! لا بأس لو قال إنه ويسكي. لكن جعة سوداء! أكثر مشروب غير حضاري وغير ثقافي فيها جميعا. أف! بالطبع أنت لا تصدقين أني كنت أشرب الجعة السوداء يا ! هذا كذب! الجعة السوداء القذرة غير الحضارية. إنها كذبة يا ! وماذا تكون غير ذلك؟ بأمانة...
وأني كنت أشرب على الحساب... إثارة فضائح يا . إثارة فضائح. وأني كنت إسفنجة شراب. أف! أكاذيب وفضائح يا . من يتخيل أن يصدر هذا عن ؟ كنت صديقة ودودة معه يا . كان رجلا يتردد عليه رجال مثقفون... هذا ما يطلق عليه المثقفون: إلقاء الوحل وتلويث السمعة. كما يقول ، هذا الوحش البدائي المقيد والمقموع بداخلنا –*الإنسان القديم* كما أسماه القديس بولس- ينطلق متحررا في وقت الانتخابات... أشعر بثقافتي تضمحل منذ أن أصبحت على اتصال بهؤلاء العوام...
يا ؟ قال ذلك أيضا. قال إني كنت حريصة دائما على الذهاب إلى حانته عندما يكون هناك. من السهل تبين أي نوع من السمعة كان يحاول أن ينسبها إليّ... بأمانة يا ، لم أكن في حاجة إلى الجري وراء . كان هو من اعتاد أن يجري ورائي. بأمانة! هناك أشخاص يا مقدور عليهم أن يكونوا رومانسيين. هل سمعتِ ما قاله في *القبلة الحمراء الساخنة *؟ *كان كيوبيد من خلقك من ضلعه، يا عصفورتي الحلوة...*
لم يكن هناك قط أي وقت لا يوجد فيه سرب من الرجال يطاردونني. في شبابي في برايت سيتي، وكأرملة في جورت ريبوك، والآن هنا. لديّ *affaire de coeur*[28]، كما يدعوها هو نفسه، مع . لكنها علاقة غير ضارة: أفلاطونية، ثقافية...
! العاطفية المفرطة! لا تبالي بسهول شرق جالواي الجميلة. يجب أن تفهمي ما أقوله حتى تستطيعي تخليص عقلك من كل حكم خاطئ وانحياز مسبق. هذه هي الخطوة الأولى في الثقافة يا ... كنت أرملة شابة. تزوجت صغيرة أيضا. القدر الرومانسي مرة أخرى يا . جُن بي عندما كنت أرملة.
كان يقول: *صدقيني، لديّ كوخ لطيف دافئ. أملكه بالفعل يا عزيزتي، ومعه قطعة أرض طيبة. رؤوس مواشٍ وأغنام. وأنا مازلت رجلا قويا ومرنا أنا نفسي. لكن من الصعب على أن أفعل كل شيء: الماشية والزراعة وتسقيف الكوخ. سيغدو المكان خرابا لحاجته إلى امرأة صالحة... أنت أرملة يا ، وابنك مستقر في البيت، ما الفائدة التي تجنينها من بقائك في جورت ريبوك الآن؟ أحلفك بكل

ما هو مقدس، تزوجي مني...*
وكنت أقول: *De grâce*، يا توماس الداخل..* لكن لم تكن هناك فائدة من قول *De grâce* له يا . كان يتبعني في كل مكان ككلب صغير. وكما قال في *القبلة الحمراء الساخنة *: *الحب الحقيقي لا يعرف أي عقبات.* كان يضغط عليّ دائما كي أذهب معه لتناول الشراب في كل مرة نلتقي فيها بالقرية. بأمانة! كنت دائما أقول: * *De grâce* يا . أنا لم أقرب قطرة شراب قط...*
بأمانة لم أفعل يا . لكن الأشياء التي كان يقولها لي عن الحب يا : سأتزوجك يا ... *يا نجمي المضيء ويا شمس حصادي
يا كنزي الذهبي ويا ذخيرتي في الدنيا...*
بأمانة كان يقول هذا يا . لكني كنت أعرف أن هذا مجرد صيف كاذب من الرومانسية لكلينا، وكنت أقول: *أيها القمر الصغير، يا قمر أسكتلندا الصغير، ستكون وحيدا هذه الليلة، وليلة الغد، وفي ليالٍ طويلة بعدها، وأنت تقطع السماء الموحشة خلف *جلين لي *، بحثا عن عش الغرام السري [29] العاشقين...*
جاء إليّ في جورت ريبوك قبل بضعة أسابيع من وفاتي ومعه زجاجة ويسكي. بأمانة فعل ذلك. كان هائجا على الزواج كالحمار وبشكل يدعو للرثاء. ولعلي كنت سأشجعه يا ، لولا عقبات الحب الحقيقي. عندئذ قلت له: *قمر أسكتلندا الصغير لن يكشف أبدا مكان لقائنا السري، ليس مكتوبا أن سيلتقيان أبدا أحدهما بالآخر في عش غرام سري، أو سيتذوقان طعم مباهج العشق الحلوة على صخور *جلين لي * الرحيمة بالعشاق.*
قال: *ما هذا الهراء الذي تتحدثين عنه؟*
قلت: *عقبات الحب الحقيقي. غيرنا من الناس ينالون ما يريدون، لكني أنا وحبي الحقيقي منفصلان للأبد. لن نحظى قط بعش غرام غير المقابر. لكننا سنعيش مباهج العشق الحقيقي الحلوة هناك، دائما أبدا...*
كاد قلبي ينفطر وأنا أقول هذا له يا . لكنه كان حق الله. بأمانة، حق الله وصدقه. حالت بيني وبين حبي الحقيقي. هموم دنيوية تافهة. لم تكن تريد أن ترى ظل امرأة أخرى في بيت . أرادت أرضه لنفسها. لم يكن هناك شيء تحت الشمس لم تسرقه منه. بأمانة...
هذه كذبة لعينة أيتها العاهرة! لم أسرق ولم أسلب شيئا من ، ولا من أي شخص آخر. أيتها العاهرة! كنت سكيرة سرية في قلب حانة ... سكيرة سرية!... سكيرة سرية. لا تصدقيها يا ! لا تصدقيها!...
يا ... ... يا ... هل سمعتِ ما قالته تلك العاهرة عني؟... سأنفجر! سأنفجر! سأنفجر!...

23 جرت العادة على توزيع غلايين من الصلصال وتبغ على المعزين ليلة العزاء أو في الجنازة. *من هوامش الترجمة إلى الإنجليزية *
24 فِنّ وفيانا ونيف وجرونيا: كان فنّ ماك كول هو القائد الأسطوري لفرقة من المحاربين اسمها فيانا، ونيف وجرونيا شخصيتان في الأساطير الدائرة حول فيانا. *من هوامش الترجمة للإنجليزية *
25 دانيال أوكونيل *١٧٧٥-١٨٤٧ * هو القائد السياسي الكاثوليكي الآيرلندي وهو مادة لكثير من الحكايات الفلكلورية. أما بيدي إيرلي *المتوفاة عام ١٨٧٤ في مقاطعة كلير * فكانت معالجة بالأعشاب واسعة الشهرة قيل إنها كانت تتمتع بالقدرة على التنبؤ. *من هوامش الترجمة إلى الإنجليزية *
26 مكان غير معروف *من هوامش الترجمة إلى الإنجليزية *
27 ماذا يريد أن يقول؟
28 مسألة قلب، أو علاقة عاطفية.
29 عاشقان سيئا الطالع في واحدة من أشهر الأساطير الآيرلندية: مصير أبناء إيشانوخ. *من هوامش الترجمة إلى الإنجليزية *

الفاصلة الرابعة
الطين المطحون
١
أنا نفير المقبرة. فليُسمع صوتي! لا بد أن يُسمع...
هنا في المقبرة شبح عدم الإحساس يستبيح التوابيت، وينبش الجثث، ويعجن اللحم المتفسخ في موقده الترابي البارد. لا يبالي بوجنة كضوء الشمس، ولا بشقرة البشرة، ولا بأسنان اللؤلؤ التي كانت مفخرة للفتيات. ولا بالذراع المتين أو القدم الخفيفة أو الصدر القوي الذين كانوا مفخرة للشباب. ولا باللسان الذي خدع الحشود بالكلمات الفاتنة والنغمات العذبة. ولا بالجبين الذي حمل إكليل الغار عند الانتصار. ولا العقل الذي كان يوما ما النجم الهادي لكل ملاَّح في بحر المعارف العريض... لأنها كلها مكونات ضرورية في كعكة الزفاف التي يخبزها لأسرته ومعاونيه: الذباب واليرقات والدود...
فوق الأرض يزهو قطن المستنقعات بنفسه فوق كل رابية في المستنقع. ونبتة *إكليلية المروج * أشبه بصيدلاني إلهي في كل مرج. وأفراخ النوارس ترفرف برقة فوق الحطام على الشاطئ. وضحكة الطفل الشقية ترن عالية بجوار شلال اللبلاب على سطح البيت، وفي الأغصان المبتهجة لشجيرات الشوك في السياج، وفي السقف الواقي للأشجار في البستان. والأغنية المرحة للفتاة وهي تحلب البقر في الغروب عند مرعى الشاطئ هي الموسيقى البهيجة للسعادة التي تنفث سحرها في أرض الذهب...
لكن ندف الزبَد على طرف الموجة الدافقة في المجرى تنسحب داخل قنوات النهر وتتحول إلى وحل. والهشيم الشاحب المتطاير من عشب الجبل فوق المستنقع الذي اكتسحته الرياح محمول إلى داخل الأخاديد الخفية وفق مشيئة الرياح. وطنين النحل في رحلة عودته إلى الخلية من مخازن العسل الفارغة في زهرة قفاز الثعلب يخبو كشكوى يائسة. والعصفور ينظف ريشه فوق سطح الحظيرة، وصدى أغنيته يردد وحدة الريح التي تصرخ عبر امتدادات الصحراء المقفرة. ورماد الجبل يتكوم على نفسه أمام الريح المهلكة...
قدما العدَّاء تغدوان بطيئتين، وصفير راعي البقر يبدو أجش، والحصَّاد يضع منجله أرضا في البقعة التي كان ما زال عليه أن يحصدها...
لا بد أن يسدد الأحياء مستحقاتهم للمقبرة...
أنا نفير المقبرة. فليُسمع صوتي! لا بد أن يُسمع...
٢
... ما هذا؟ جثة أخرى، يا إلهي! زوجة ابني بالتأكيد، هذه المرة. من السهل معرفة ذلك... تابوت رخيص أيضا. لو أنك بالفعل زوجة ابني...
! لا أصدق هذا. كان ينبغي أن تكوني هنا منذ زمن طويل. كان لديك رجفة وبلغم

ومشاكل في القلب منذ وعيت... سقطتِ في النار؟... ولم تكن لديك القوة لإخراج نفسك منها. لقد كانت ميتة سيئة فعلا...
تعالي، أريدك، كلمة في أذنك... هل لديك أي أخبار على الإطلاق يا ؟ أي خبر لديك!... آه، تريدين قليلا من السلام! هذا ما يريده الجميع، يا إلهي، عندما يجيئون في البداية... هل سمعتِ أن الصليب سيقام فوقي قريبا يا ؟ أنه جرى الأمر بهذا. لكن متى؟ أسبوعان؟ شهر؟... لا تعرفين؟ في الحقيقة يا أنت نادرا ما عرفتِ الكثير عن أي شيء...
أعرف. أخبرتيني بالفعل أنك سقطتِ في النار... لم يتركوا أحدا في البيت ليعتني بك؟ آه طيب، كانت لديهم أشياء أفضل يفعلونها! عجوز شمطاء مثلك. لا ضرر في ذلك على الإطلاق يا . قد يكون الأمر أفضل من الآن فصاعدا... لكنك لن تسقطي هنا. وإن سقطتِ، لن تسقطي بعيدا...
أنصتي إليّ يا ... الآن يا ، تحلي ببعض اللياقة ولا تجعلي من نفسك آخر. لقد دفع كل من في المقبرة إلى الجنون بثرثرته المستمرة حول قلبه العجوز العفن... زوجة ابني ليست بخير طوال الوقت، أهذا ما تقولينه؟... لقد ولدت طفلا آخر، أفعلتها بالفعل؟ هل هذا حقيقي؟... ولم يقتلها ذلك! إنها لأعجوبة كبرى إذًا. لكنها لن تنجو من هذا الحمل... أراهنك بأي شيء تحبينه يا ، أنها ستكون هنا في ولادتها التالية... ولدت بنتا... يا إلهي القدير، ... وأسموها ... أسموها على اسم ذات القدمين المتسختين! لقد استغلوا تماما أني لست حية!...
دب شجار بين زوجة ابني ؟... تقولين إنهما جذبتا شعر بعضهما البعض! عال عال، بالفعل! هكذا إذًا يا ! لم يكن أحد ليصدق كيف كانت تعاملني تلك العاهرة من جورت ريبوك، منذ أن أقحمت في البيت فوق رأسي. الشاي الذي كانت تقدمه لي! وملاءات السرير، لولا أني اعتدت أن أغسلها بنفسي! وبالطبع يجب أن تحول شرها نحو شخص آخر، الآن بعد أن لم أعد موجودة لديها يا . لكن صدقيني، ليست خصما ضعيفا، أقول لك ذلك...
تقولين إنه ستكون هناك دعوى قضائية؟ صدقي إذًا، سيكون هناك نزاع وصراع ونفقات في هذا... قالت هذا؟ أن ملابس معهد جرى شراؤها من في برايت سيتي! إذًا لم تعطها زوجة ابني نصف ما تستحق! كيف أن تعرف، إلا إذا كان لسانها أطول من اللازم؟ وحتى لو كانت الملابس كذلك، ما شأنها؟ أليس لديها قليل من الخجل من أن تبدي ملاحظات عن البنت المسكينة الذاهبة إلى المعهد؟ سيمر زمان طويل قبل أن تتمكن واحدة من أهلها من أن تصبح معلمة. سيقتص القانون منها، فقط انتظري وسترين! آمل أن يكون لدى ما يكفي من العقل كي يتفق مع المحامي كي يقيم الدعوى ضدها. هذا هو الشخص الذي سيكسر أنفها...
تقولين إن السلام والهدوء هما ما تريدينه. أليس هذا ما نريده جميعا؟ لكنك أتيت إلى المكان الخاطئ لتبحثي عن السلام يا ... تلك هي كل البطاطس التي زرعها إبني هذه السنة، في حقل اللفت؟ لماذا؟ لا توجد قطعتان جيدتان من التربة في

أرضه كلها... زرعت المرجين كلهما بالبطاطس!... طيب، الآن يا ، هذان الحقلان كبيران للغاية، لكنهما بعيدان جدا عن السبع قطع التي تقولين إنه يوجد بها...
ماذا كان آخر ما قلتيه يا ؟... انسي ذلك السقوط في النار، فقط أفيقي وتوقفي عن التمتمة... ماذا تقولين عن ابن ؟... تعافى كالمطر من جديد! آه!... يقوم بالأعمال العادية، أليس كذلك؟ يا إلهي! ظننت مما قاله أنه لن يقوم بالعمل يوما آخر قط!...
شفي عند بئر القديسة ؟ احتمال ضعيف! كم أحسنت أمه تلك العاهرة بمعرفة أين تأخذه من أجل الشفاء. هذه العاهرة يمكنها أن تعرف شيئا أو اثنين عن الحياة! لكني لن أصدق أنه شفي عند بئر القديسة . ولن أصدق أنه يوجد أي دواء على الإطلاق في بئر القديسة . لقد أبلت زوجة ابني ركبتيها في صلواتها وطوافها هناك. بالطبع لا يوجد بئر من أول بئرنا في البيت إلى البئر الكائن في آخر العالم[30] لم تزره، بحثا عن دواء وشفاء. دائما مريضة. أقول لك إن طفلها التالي سيكون فيه الكفاية.
هذا فقط بعض من تحايل ؛ تأخذه إلى بئر القديسة وبعد ذلك تقول إنه شفي هناك. تلك العاهرة والقس متماسكان كاللصوص!... آه، فليباركك الرب أنت وبئرك... بئر القديسة يا ! إطلاقا. كان رجلك، القس. ومن غيره؟ أعطى ابنها إنجيل القديس يوحنا[31]. هكذا شُفي يا . وإلا كيف! القس. سيكون على أحد آخر أن يموت بدلا منه الآن، على اعتبار أنه شفي بإنجيل القديس يوحنا. سينال الموت مستحقاته. سمعناهم يقولون هذا دائما...
فليبارك الرب في برائتك يا ! وكأن نفسها هي من ستموت! لا عجب أنك سقطت في النار يا ، يالك من مغفلة! ليس هناك أي احتمال في رحيل ... أو ابنة كذلك. أو أي شخص من أهلها. ، هو الذي سيدفعونه من فوق الحافة. يمكنك التأكد من أنها قد طلبت من القس أن يجعل يموت، كثمن لإنقاذ ابنها. فليكن الله في عوننا جميعا! لقد عانى المسكين من حياة شاقة مع تلك العاهرة. لم تقدم له أقل القليل من العناية. تذكري كلماتي يا : سيحط الحظ السيء على الآن، وسترينه هنا قريبا. لن يزعج هذا أو ابنة . ألن يجنيا كومة من أموال التأمين من ورائه؟...
هكذا؟ مازالت الدعوى القضائية سارية إذًا... سيذهبون إلى دبلن في الخريف؟ صدقي إذًا، الذهاب إلى دبلن شيء مكلف يا ... آه، يقولون إنها ستخضع لإعادة المحاكمة حتى بعد ذلك! سيجعل هذا من مفلسة تماما، وعساها تكون كذلك! لكن يا ، لو أن ابنها قد شفي فهو بالتأكيد لن يحصل على أي مال... آه، هو يعمل فقط سرًا، أهكذا؟... يحتفظ بالعكازين إلى جواره أينما عمل!... لديه شهادات من الأطباء بأن وركه لن يتحسن؟ يفعلها! ليس هذا فقط، بل إنه يأخذ العكازين معه داخل الحديقة وهو خارج إلى المستنقعات! المزيد من حيل . كانت دائما خائنة.
هناك حديث الآن عن شق طريق يصل حتى بيتها؟ إذًا سيتمكن القس والإيرل

من الوصول إلى هناك بالسيارة. عسى ألا تعيش حتى تتمتع بطريقها إذًا... يا ربي! انسي الطريق يا ، لن يكون هناك أي طريق هناك أبدا! من سينقل كل هذه الصخور؟...
السلام مرة أخرى، أليس كذلك؟ ستجعلين من نفسك أضحوكة إذا ظللت تتحدثين هكذا... تقولين إن قعيدة تماما؟ مازالت الكليتان تتعبانها! تستحق هذا! باستثناء وزوجة ابني، هناك عدد قليل جدا من الناس الذين أفضل أن أراهم يأتون إلى هنا... هي على رأسهم! وظهر في حالة سيئة مرة أخرى؟ فليأخذها الشيطان! إنها شريرة كبقيتهم... تقولين إن يبرطع كحمار في مايو. لم أكن أتوقع منه غير ذلك!... مازال قادرا على الذهاب لقبض المعاش؟ ألا يملك بعض الناس الحظ كله! إنه عجوز بما يكفي ليكون جدي – أعوذ بالله، من ذلك البائس القبيح!...
اسمعي يا ، لقد سقط خلق كثيرون في النار تماما مثلك. وقد عشت حياتك على أي حال. ليس الأمر خطيرا طالما أنك لم تحرقي البيت كله أيضا... فقد عجلين؟... بداء الساق السوداء؟[32] نجنا يا الله!... أليس غريبا أن يكونا حتما من عجول !... عالجت عجولها في الوقت المناسب. ثمة روح ما تسهر على تلك العاهرة. ورغم ذلك كان داء الساق السوداء كثيرا ما يحل بأرضها. القس...
تقولين إن لم يقطع الكثير من عشب الوقود طوال هذا العام؟ وكيف يمكنه أن يقطع العشب بينما هو يعتني بتلك المومس زوجته؟ ينبغي أن يخنقها تحت قدر مثلما تفعلين بقطة، لأنها لن تذهب وتموت وحدها... خمس دجاجات سُرقت في يوم واحد فقط. يا إلهي، هذه مجزرة!... ولم تُسرق ولو واحدة من دجاج ؟ ألا تختبئ الثعالب دوما في الأرض الصخرية المحيطة بأرضها؟ آه، لديها امرأة هناك -ابنة - يمكنها حراسة الدجاج، ليست مثل ابنة من جورت ريبوك. أعتقد أن حتى الثعالب تخاف أن تلمس دجاج . إنه القس...
لا يملك أي خنازير الآن، أليس كذلك؟ آه، تقصدين أني عندما رحلت يا رحلت الخنازير أيضا. كنت أخرج بدفعتين من الخنازير كل عام... حصلت على خمسة وثلاثين جنيها مقابل خنازيرها! يا ربي!... كانت خنازيرك أفضل من خنازيرها، وحصلتِ على اثنين وثلاثين جنيها وخمسة عشر شلنا فقط مقابلها؟ بالطبع ستحصل على أعلى سعر. القس...
تعتقدين أنه لم تأت رسالة من في أمريكا مؤخرا؟... لم تسمعي بأي أخبار؟... يقول إن ستحصل على كل أموال ... هل هذا ما قاله يا ؟ *من ستعطيه مالها غير أختها الوحيدة؟ على أي حال لا يمكنها بحال أن تعطيه لامرأة ألقي بها في حفرة في الأرض*... طبعا، وماذا كان ليقول غير ذلك؟ وابنته متزوجة من ابن !...
سمعتيهم يقولون إن مازال مجنونا بالزواج؟ ذلك الشيء عديم النفع! كان الأحرى به أن يعد روحه للأبدية... أتعتقدين أن لا يزوره بكثرة كما كان يفعل وأنا حية؟ كان عليّ دائما أن ألح عليه كي يفعل أي شيء على الإطلاق من أجل . هكذا هو . لن يبقي على البيتِ بعد أن رحلت. ستتلاعب به... تخبريني بأن دفعت

لرجل كي يقطع عشب من أجله هذا العام؟ يا إلهي! ماذا قلت يا ؟ أقول لك لا تتمتمي وتهمهمي... قال إنه إذا لم يتزوج سيترك أرضه وكوخه ! قال: *لم يكن قلب طيب كقلب . أبدا لم يكن لها. لم ترد غير قطعة أرضي...* القذر! الفاشل! الحقير! الأبله! آه، نعم، ذلك هو بالفعل!...
تملكين قصة عظيمة يا ! ألا تعرف آيرلندا كلها أن أرض تحف بأرض ؟ بالطريقة التي تتحدثين بها يا يعتقد المرء أن تستحق أرضه أكثر من ابني ... ألا يعرف كلانا جيدا أن أرض كلها حجارة وصخور؟... والله إنك لجريئة يا كي تقولي شيئا كهذا في وجهي. ما شأنك بمن يحصل على أرض ؟ ماذا ستخسرين؟...
السلام والهدوء مرة أخرى! أنت لا تستحقينهما أيتها العاهرة... ماذا تقولين يا ؟ أني ينبغي أن أنزاح في القبر وأفسح مكانا لك؟ من يسمعك يظن أن هذا القبر ملكك. هل تعلمين أن الخمسة عشر شلنا الخاصة بي دُفعت قبل عام من موتي؟ أليس من حقي إذًا أن تتمدد إلى جواري جثة سليمة وليس امرأة محروقة؟... ماذا جرى للعالم حتى تُدفني أنت أو أي شخص من أهلك هنا في مقبرة الخمسة عشر شلنا! لكنه من السهل عليكِ الآن... هناك خمسة من أهلك يحصلون على إعانات...
تريدين أن أتركك في سلام! خذي سلامك إذًا! لكنك لن تتسللي بجسدك إلى جانبي هنا. حصلت على أفضل تابوت في محل ، وبرميل ونصف من الجعة، ورش القس الماء المقدس...
والآن أيتها العاهرة لو دفعتني إلى هذا الحد سأخبرك أمام الجميع في المقبرة من تكونين... ماذا تقولين؟... *من النادر أن يُدفن واحد من آل في مقبرة الخمسة عشر شلنا كما هو من النادر أن تضع سرجا على قط!...*
آه، هيا يا ، انظري فقط من يتحدث: واحدة من الشحاذين. ألم أربِ أباك؟ كان يأتي إليّ في أي وقت من الليل أو النهار ليتسول كوبا من الشاي عندما لم يكن يتحصل إلا على البطاطس والماء المالح. والآن تتحدثين بهذا الغرور! لا عجب في ذلك، فأكوام الروث ترتفع في العالم هذه الأيام... ماذا تقولين أيتها العاهرة؟... ليس هناك صليب فوقي بعد مثل الصليب الجميل فوق قبر ؟ فلتذهبي إلى الجحيم حالا أيتها العاهرة...

٣

.... ، العاهرة... ، المتسولة.... آكلة البطاطس المحروقة... ، ذات البسمة الكالحة... ، الفاشل... ...
من السهل على ذلك البائس القبيح أن يتفاخر الآن بعد أن تحسن حال زوج ابنته من جديد. أكان يكذب عندما قال إنه لن يقوى على القيام بأي عمل طالما هو حي؟ شُفي عند بئر القديسة ! شُفي بالفعل! أقسم إذًا أنه لو شُفي فالسبب هو أن أمه العاهرة حصلت على إنجيل القديس يوحنا من القس لأجله. والمسكين هو من سيدفع الثمن. سيكون اسمه الآن في القائمة السوداء بسبب تميمة إنجيل القديس يوحنا. سيأتي إلى هنا قريبا. وأنا واثقة أنهم حتى لم يحذروه. يا إلهي الرحيم! أليس لديهم وازع من ضمير على الإطلاق؟
لعلهم كانوا يتهامسون معا: القس وابنة ..
ستقول : *صدقني يا أبتاه، إذا كان على أحد أن يرحل فهو العجوز الذي ينبغي أن يُشيَّع في طريقه. وسيرحل قريبا على أي حال. فهو سقيم منذ وقت طويل. لكن دعونا لا ننطق بكلمة حول هذا. فسيصيبه هذا بالقلق. لا أحد يريد أن يفارق حياته، ليكن الله في عوننا...*
هذا ما كانت لتقوله تلك العاهرة... أما زوجة ابني فقد أتت بطفل آخر. غريب أن هذا لم يقتلها. لكن هذه البقرة صلبة. صلبة كصخور جورت ريبوك التي طالما لعنها مهندسو الطرق لأن حتى الديناميت لم يتمكن من تفتيتها... لكنها ستأتي إلى هنا في ولادتها التالية. سأراهن بأي شيء على هذا...
وأسموا الطفلة ! للأسف لم أكن هناك! حاولت زوجة ابني أن تقوم بالحيلة نفسها عندما وُلدت . كنت قد لففتها في البطانية بنفسي، قبل أن نأخذها لكي تُعمَّد. كانت موجودة وتساءلت: *ماذا ستسمون هذه الصرة الصغيرة، بارك الله فيها؟*
قلت: *، أي اسم آخر سأسميها به، على اسم أمي.*
فقال : *أمها المتمددة على السرير تقول إننا ينبغي أن نسميها ..*
قلت: * ! كي تسميها على اسم أمها بالكامل. وماذا ستسميها غير ذلك؟ لكن لم هذا يا ؟*
قالت : *لا تنقصكم الأسماء، أو أو...*
قلت: *فلتختنق تلك العاهرة وتغرق. أفضل ألا أمنحها اسما على الإطلاق عن أن أدعوها . لا يوجد اسم أكثر مناسبة لها يا باتريك من اسم جدتها: .*
فقال وهو يستشيط غضبا: *هل الطفلة ابنتي أم ابنتكما؟ هو الاسم الذي ستحمله.*
قلت: *لكن يا يا عزيزي.. فكر في الطفلة والحياة التي أمامها. ألم تسمع ما أخبرتك به من قبل؟ البحارة...*
اغلقي فمك، أو ليأخذ الشيطان روحي...

أعتقد أن هذه كانت أول كلمة غاضبة أسمعه يقولها لي. قلت: *إذا كان الأمر هكذا فلتمض فيما أنت ماضٍ فيه. لكن لن أكون أنا من تحملها إلى جرن التعميد. فالحمد لله مازال لديّ بعض الاحترام لنفسي. إذا كنت ستسميها ، فليكن. يكفيني واحدة تتردد على البيت دون واحدة أخرى موجودة فيه دائما. إذا كان الأمر سيسير هكذا، فلن أظل في البيت. سأهيم في الطرقات...*
ناولت الطفلة وجذبت شالي من خلف الباب. عاد ودخل الحجرة إلى ابنة . وعاد خارجا مرة أخرى في رفة عين. وقال: *فلتسميها بأي اسم تريدين. فلتسميها 'أهلا ديدل الألعوبان.. القط والكمان*[33] إذا أردت. لكن لا تضغطي عليّ أكثر من ذلك. أنتما الاثنتان تضعانني بين المطرقة والسندان كل يوم في حياتي...*
قلت: *إنها غلطتك يا ؛ لو أخذت بنصيحتي ونصيحة ...*
لكنه كان قد خرج من البيت كالعاصفة. منذ ذلك اليوم وحتى اليوم الذي أسبلوا فيه جفوني لم تكن هناك كلمة واحدة أخرى عن تسمية أي من الأطفال باسم . لكن زوجته تلك العاهرة تعلم أني رحلت الآن...
على أي حال لقد أُعطي الأمر بالصليب. فتى طيب، رغم أنه قد يكون الآن مفلسا بسبب زوجته تلك المرأة الرثة التي لا تستطيع أن تربي خنزيرا أو عجلا أو تقوم بأي عمل في الحقل أو في المستنقع. أعلم في أعماق قلبي أنه لا يمكنه القيام بكل شيء. لكن عندما تصبح معلمة، ستتمكن من مساعدته وتوفير بعض المال...
ألم تتسرع وتنسحب من لسانها عندما قالت: * ليس هناك صليب فوقك بعد مثل الصليب الجميل فوق قبر .*؟ لكن سيكون هناك صليب فوقي أيتها العاهرة. صليب من رخام كونيمارا مثل الصليب الذي فوق ، وسياج مثل سياج قبر ، وزهور ونقش بالآيرلندية...
لولا أني لا أود ذلك، لأخبرت بأمر الصليب. أظن أني ينبغي أن أتحدث إليه قريبا -بما أني سأصوت له- بدلا من الحديث مع أو أو . إنهم بالطبع من يملكون الصلبان. لا مشكلة لديّ لولا كل الاهتمام الذي أولاه ! لكن اللبن قد انسكب الآن. يا ربنا الرحيم، لقد أوسع أحدهما الآخر قدحا وتوبيخا منذ يوم أو يومين. لو كان قد أولاني أي اهتمام في الوقت المناسب لأخبرته من تكون ذات القدمين النتنتين. لكن ليس من السهل الحديث إلى هؤلاء القوم في مقبرة الجنيه. فلديهم فكرة مبالغ فيها عن أنفسهم...
سأدع في حاله الآن. فهو مشغول للغاية بالانتخابات على أي حال. سأخبر ، وستخبر الناس في مقبرة الجنيه. ومن الأفضل أن أقول إن الصليب سيوضع فوقي ضمن هذا الكلام...
... لقد طعنني طعنة مرت بحافة كبدي. لقد كان نسل الأذن الواحدة دائما قوما خائنين...
... ألم يكن غباء منا أن تركنا السوق الإنجليزي يا ؟
... قِلت: *إنها حرب الاثنين الأجنبيين يا .*...

... بأمانة يا ! لدى قومنا عقول عظيمة. أنا على سبيل المثال... ابني، المتزوج في بلدتنا بجورت ريبوك، لديه فتى صغير كان يذهب إلى المدرسة عند ، وقد أخبرني أنه لم يكن هناك من يفوقه. كان الأدب هو مادته المفضلة، قال الأستاذ: *الثقافة موجودة في عظامه، عرفت بمجرد النظر إليه.* بأمانة، هذا ما قاله يا . أنت تعرفين ابنتي المتزوجة من ابن . فتاة من أبنائها بدأت للتو رحلتها كي تصبح معلمة. لقد ورثت ذكاءها من ابنتي. ولولا ذلك، لما ورثت شيئا من آل أو آل .
أنت تكذبين حتى النخاع أيتها البقرة العجوز! يا من كنتِ تشربين سرا في مخبأ حانة ! الشرب سرا! والبحارة! البحارة!... يا ! يا !... هل تسمعين هذا؟... هل تسمعين ما تقوله !... سأنفجر! سأنفجر!...

٤

... هل يمكن بحق حب الله ورحمته أن تتركيني وحدي يا . تختارين وقتا مناسبا تماما للروايات القصيرة! لا بد أن أجري محادثة مع جارتي القديمة . لم تتح لي فرصة الحديث إليها منذ جاءت، بسببك أنت وثقافتك وانتخاباتك!...
هل أنت موجودة يا ؟... سقطتِ في النار! كان ذلك دائما أول درس في العلوم أشرحه في المدرسة يا ؛ كم من المهم إبعاد الهواء عن النار. الهواء هو ما يغذي النار يا . ينبغي أن يُفهم هذا على نطاق واسع... آه، لم يبق أحد في البيت يمكنه إبعاد الهواء عنك يا ؟ في هذه الحالة فإن أفضل ما يمكن فعله... أخشى أن العلم لا يملك علاجا لحالة مثل هذه يا ... آه، تبحثين عن السلام، أليس كذلك يا ؟... أخشى أن العلم لا يملك علاجا لحالة مثل هذه أيضا... ما هذا يا ؟... البلد بأكمله كان في الزفاف يا !...
تلك هي الحقيقة يا أستاذ. البلد بأكمله كان في الزفاف. يمكنك أن تفخر بزوجتك يا أستاذ. كانت هناك كميات وفيرة من كل شيء: الخبز، الزبد، الشاي، ستة أنواع من اللحم، جعة سوداء، ويسكي، وشانبانيا[34] يا أستاذ. شانبانيا يا أستاذ! عندما زهق واحد من قومنا، من شرب الويسكي والجعة سوداء، ذهب إلى القاعة الداخلية ليشرب الشانبانيا يا أستاذ. وقال إنها جيدة تماما كالبوتين الذي لدى .
لا تقلق ولو مقدار شعرة يا أستاذ. كان زفافا باذخا.. باذخ وكأنك كنت حيا أنت نفسك. إن الأستاذة امرأة كريمة يا أستاذ. جاءت إلى بيتنا قبلها بليلتين لتدعو جميع من في البيت إلى الزفاف. عن نفسي لم أكن قادرة على الحركة يا أستاذ. وحق كتاب الله، لو كنت قادرة لذهبت، لا شك في ذلك. قالت: *ربما يمكنك توفير علبة من اللبن الطازج يا ..* قلت: *بالفعل يمكنني توفير علبتين يا أستاذة، وحتى لو أكثر من هذا لم أكن لأضن به عليك أو على زوجك المسكين الموجود الآن في طين المقابر -الأستاذ الكبير- رحمه الله!*
قالت: *أنوي أن أجعل منه زفافا جيدا يا . كنا نتحدث أنا عن هذا.. وقال: ’زفاف عظيم‘.. هكذا يود أن يكون هو نفسه، بارك الله فيه! فقلت: ’أنا متأكدة تماما أنه

لو عرف، أن لو عرف يا أني سأتزوج مرة أخرى..‘ هكذا قلت له يا .. ’سيكون هذا ما يقوله لي بالضبط: أن أقيم زفافا عظيما. لم يكن ليضن به على الجيران. وبالطبع لم يكن ليضن به عليّ.‘ لم يكن سيفعل ذلك أيضا يا بريد..*
قلت لها *بالله إذًا يا أستاذة..* ولا أعرف إن كان ينبغي أن أقول لها هذا أصلا يا أستاذ، لولا أن لساني يفلت كثيرا من عقاله.. قلت: *بالله إذًا يا أستاذة، كنت أظن أنك لن تتزوجي مرة أخرى.*
فقالت: *حسنا بالفعل يا عزيزتي لم أكن لأتزوج مرة أخرى لولا ما قاله لي قبل بضعة أيام من موته. كنت جالسة على حافة فراشه يا . أمسكت بيده وقلت له: ’ماذا سأفعل لو حدث لك أي شيء؟‘ فانفجر في الضحك يا وقال: ’ماذا ستفعلين؟ ماذا ستفعل امرأة جميلة نشيطة مثلك غير الزواج مرة أخرى؟‘ فبدأت في النشيج يا وقلت له: ’لا ينبغي أن تقول شيئا كهذا..‘ فقال بجدية شديدة هذه المرة يا : ’شيء كهذا؟ شيء كهذا! إنه الشيء الصحيح تماما. لن أستريح في طين المقابر..‘ هكذا قال: ’إذا لم تعديني أنك ستتزوجي مرة أخرى.‘ والله يا ، هذا ما قاله..* هكذا قالت.
العاهرة!...
حاشا لله أن أنطق كذبا عنها يا أستاذ. هذا ما قالته. قلت لها: *ستتكلفين تكلفة هائلة يا أستاذة. لديك ما يكفي من المال، لا يتلقى أجرا سيئا كذلك، فليمتعكما الله به، لكن صدقيني الزفاف موضوع مكلف في هذه الأيام يا أستاذة.*
فقالت: *لولا المال الذي ادخره جانبا هو نفسه قبل أن يموت، ونقود التأمين التي حصلت عليها بعد وفاته؛ لم يكن لديّ أمل في القيام بذلك. كان رجلا حريصا للغاية بشأن ماله، بارك الله فيه. لم يكن يشرب ولا يذهب إلى أماكن الفجور. كان يدخر نقودا جيدة يا ...*
العاهرة! العاهرة! لم تكن لتنفق نصف هذا المبلغ كي تضع صليبا فوقي...
وهذا ما قلته لها يا أستاذ: *لكن لا ينبغي أن تفعلي أي شيء قبل أن تضعي صليبا فوق قبر أولاً.*
فقالت: * في مكان أفضل، ذلك الرجل المسكين. على طريق الحق، وبالتالي ليست الصلبان ما تهمه. لكني واثقة يا ، أنه لو عرف بأمري وأمر -الذي مازال على طريق الضلال- لأخبرنا ألا نهتم بأمر صليب، بل أن نقدم لنفسينا كل راحة ممكنة. لم يكن الناس ينادونه من فراغ يا بريد.. كان كبيرا في قلبه وفي كل شيء.* أقسم بروحي أن هذا ما قالته بالضبط يا أستاذ...
العاهرة! العاهرة اللصة!...
... سقطتُ من فوق كومة شعير...
... القلب! القلب، فليكن الله في عوننا!...
... أنا متأكد تماما أن جالواي فازت بنهائي بطولة آيرلندا لكرة القدم...
في عام 1941، أليس كذلك؟ إذا كنت تقصد عام 1941 فهذا لم يحدث...
في 1941 حدث ما أقول. لكن الفضل يعود إلى . لم تشهد الملاعب لاعبا مثله.

كان يحاور ويناور ويداور ويشق طريقه عبر لاعبي فريق كاڤان واحدا بعد الآخر. كان فتى بارعا ولاعبا ماهرا ورجلا أنيقا! كنت أشاهده ذلك اليوم في مباراة نصف النهائي على ملعب كروك بارك...
فازوا بنصف النهائي أمام كاڤان، لكنهم لم يفوزوا بالنهائي...
بل فعلوها بالفعل! فعلها وفاز لهم...
هل تقصد في عام 1941؟ لأنك لو تقصده، فإن جالواي لم تفز بنهائي بطولة آيرلندا. تفوقوا على كاڤان بثماني نقاط، لكن كيري تفوقت عليهم بهدف ونقطة في النهائي.
يا ربي! فليكن الله في عونك، وكيف لهم ذلك؟ ألم أكن في دبلن أشاهد نصف النهائي ضد كاڤان؟ ذهب ثلاثة منا إلى هناك بالدراجات. وأنا لا أكذب عليك في كلمة واحدة: قطعنا الطريق كله بالدراجات. وصلنا هناك في منتصف الليل. نمنا في العراء تلك الليلة. لم نتناول حتى شرابا. وكان يمكنك أن تعصر العرق من ملابسنا عصرا. وبعد المباراة اندفعنا نحو اللاعبين. لقد صافحت بنفسي. وقلت له: *أراهن بحياتي كلها عليك! أنت أعظم لاعب كرة قدم رأيته في حياتي. انتظر حتى النهائي بعد شهر من الآن. سأكون هنا مرة أخرى، بعون الله، أشاهدك وأنت تهزم كيري..*... وبالطبع هزمهم...
1941، أليس كذلك؟ لم تفز جالواي على كيري، لكن كيري هزمت جالواي...
آه، فليرحمك الله! قل هذا لواحد من المشجعين. *كيري هزمت جالواي*. أي نوع من الحمقى تظنني؟...
في 1941، أليس كذلك؟ أكنت تشاهد المباراة النهائية؟
لم أكن، لم أشاهدها. لكني شاهدت مباراة نصف النهائي ضد كاڤان، كما أقول لك. أي نوع من الحمقى أنت حتى أنك لا تفهمني؟ عدنا إلى الديار مرة أخرى ذلك الأحد بالدراجات. كنا جوعى وعطشى. لم نشعر بمثل هذا الجوع قط! لم تكن هناك بلدة مررنا بها ولم نصح فيها: *تحيا جالواي!* ووصلنا الديار في وضح النهار صباح الإثنين. نزلت من فوق الدراجة عند رأس الزقاق وقلت للاثنين الآخرين: *لو حدث وتعافينا من جوعنا وعطشنا خلال شهر، أقسم بالله أن نذهب مرة أخرى. أحب أن أشاهد وهو يهزم كيري.* وبالطبع هزمها. لم يكن هذا ليشكل أزمة له...
1941، أليس كذلك؟ أقول لك إن كيري فازت. هل أنت متأكد أنك حضرت النهائي؟...
لم أحضر. لم أكن هناك. كيف كان لي أن أحضر؟ ألا تعتقد أني كنت سأحضر لو تمكنت؟ أي نوع من الحمقى أنت؟ ذلك اليوم بعد العودة للديار من مباراة نصف النهائي، ألم أسقط مريضا؟ أصابني البرد من العرق والنوم في العراء. ونال مني البرد على الفور. بعد خمسة ايام كنت هنا في طين المقابر. كيف كان لي أن أحضر المباراة النهائية؟ يالك من أحمق فظيع...
إذا أي هراء ذلك الذي تقوله بأن جالواي هزمت كيري؟

لم يكن ذلك ليشكل أزمة بالنسبة لهم، لا مشكلة...
1941، أليس كذلك؟ ربما أنت تفكر في عام آخر.
1941. وماذا غيره؟ فازوا على كيري في النهائي...
لكني أقول لك إنهم لم يفعلوا. هزمتهم كيري بهدف ونقطة. هدف وثماني نقاط لكيري مقابل سبع نقاط لجالواي. كان الحكم ظالما مع فريق جالواي. ولم تكن تلك بالمرة الأولى كذلك. لكن كيري فازت بالمباراة...
فلينعم عليك الرب بمقدار أوقية من عقل! كيف يمكن لكيري أن تفوز بالمباراة في الوقت نفسه الذي فازت فيه جالواي؟...
لكنك كنت ميتا. وكنت أنا أشاهد المباراة. عشت تسعة شهور بعد ذلك. لم تمثل المباراة أي عون على الإطلاق لي. لم يمر يوم بعد ذلك اليوم دون أن أكون مريضا. فقط لأني كنت أشاهدهم يُهزمون...
من أجل الله! أنت أكبر أحمق رأيته في حياتي! لو شاهدتهم مائة مرة فإن كيري لم تهزم جالواي. ألم أكن في مباراة نصف النهائي على ملعب كروك بارك! لو رأيتهم ذلك اليوم وهم يهزمون كاڤان! ! آه، كان لاعبا قويا! كانت الأمنية الوحيدة التي أردتها من الحياة أن أشاهده وهو يهزم كيري بعد شهر من ذلك اليوم... هزيمتها لم تكن لتشكل أزمة بالنسبة إليه، بالطبع...
نهائي عام 1941، أليس كذلك؟
بلى. وماذا غيره؟ أي نوع من الحمقى أنت؟
لكنهم لم يهزموها...
بل هزموها. هزموها. كان ليهزمها وحده...

٥

... يا !... هل تسمعينني؟... لماذا لا تتكلمين؟ ماذا حدث لكم مؤخرا؟ لا توجد جعجعة ولا قعقعة من أي واحد منكم منذ الانتخابات. ستنال السلام الآن. عسى ألا تستمتع به! الشمطاء الحقيرة! ورغم ذلك فإن الضوضاء أفضل من السكون...
بالتأكيد أنت لست محبطة من هزيمة في الانتخابات يا . سيعلمها هذا ألا تكون منتفخة بالثقة في نفسها إلى هذا الحد في المستقبل. كانت ستفقد السيطرة على عقلها لو نجحت في الانتخابات...
صوتت لصالح يا . ومن غيره؟ بالطبع لم تتوقعي أن أصوت امرأة البحارة، السكيرة السرية. لديّ من الاحترام لنفسي ما هو أكبر من هذا يا . أن أصوت لامرأة اعتادت أن تشرب سرا؟ أهكذا؟
والأستاذ يتعامل معها بحدة شديدة هذه الأيام يا . لقد أصبح إبقاؤه تحت الأرض عملا مستحيلا منذ أخبرته بأمر زواج زوجته. أتعرفين يا ما قاله بالأمس عندما انتابها الغضب لأنه لم يقرأ لها قطعة من رواية صغيرة؟ قال: *دعيني وحدي أيتها العاهرة، دعيني وحدي! أنت لست صحبة مناسبة لرجل أو حيوان أو جثة...*
قسما عظما أنه قال هذا يا ... ما فائدة الجدال يا ؟ ألم أسمعه؟
لكن يا ، أنت كئيبة جدا في هذا الجزء من المقبرة، ولا تتحدثين كما اعتدت أن تفعلي... تتحللين، أهكذا؟... ولسان الكاتب يتحلل أيضا؟ أعتقد أن لن ينزعج من هذا. لقد أصابه بالخبال... آه، نفسه يتحلل؟ أتعرفين يا ؟ أنا حزينة لسماع هذا. كانت تلك القصة التي يحكيها عن الدجاج لطيفة وبسيطة. كنت أربح نقودا من تربية الدجاج، على عكس العاهرة التي تركتها خلفي؛ زوجة ابني... إنها العدالة الإلهية يا ، أن يشعر بالغثيان وكأن هناك دودة في حلقه، رجل شرب اثنين وأربعين قدحا...
آه، إذًا فقد تحلل ذلك الشخص تماما يا ... أهل مقبرة النصف جنيه أخبروكِ أنه قد تحلل؟ ظننت أنك يا لا تتحدثين إلى أهل مقبرة النصف جنيه! يا ربي! وماذا كان يمكن أن يكون غير أن يتحلل؟ لا يمكن لجثة أن تكون غير ذلك هناك: في مقبرة النصف جنيه. لا عجب في ذلك! يبدو لي يا أن هناك رائحة غريبة قادمة تأتي من صوب مقبرة النصف جنيه من وقت لآخر. لو كنت مكانك يا ، لتركتهم وحدهم تماما...
ما هذا الصراخ يا ؟... أهل مقبرة النصف جنيه... يحتفلون بانتخاب مرشحهم. سيصيبون أرض المقابر كلها بالصمم. الشحاذون! الرعاع اللصوص الأجلاف! آه! هل تسمعين جعيرهم! ليرحمنا الله وينجينا! إنه لبلاء رهيب أن نكون في نفس الجبانة معهم أصلا. لكني والله أسعد حالا برؤية رجل النصف جنيه يفوز في الانتخابات على متسخة القدمين. لو لم يكن هناك غيره، لقمت بالتصويت له بنفسي نكاية فيها...

... كان يوما يا . لا تنكر ذلك...
... ذلك القاتل الفظيع الذي أعطاني زجاجة فاسدة...
... مهرة بيضاء الوجه. اشتريتها في سوق القديس بارتلوميو...
أتذكر ذلك جيدا. فقد التوى كاحلي...
... ! ! ! ! ! !
... هذا صحيح. إنها أكثر النساء مرحا في أرض المقبرة حتى يسيطر عليها السخف...
كانت تنوي دوما أن تعود إلى سهول شرق جالواي...
كانت تعرف أن القطة ذات التسعة ذيول[35] في انتظارها. بعد أن صنعت جرحا في رأس الرجل المسكين بسيخ تقليب النار...
ربما كان يستحق هذا. تقول بنفسها إنه لم يمنحها لحظة من السلام منذ اليوم الذي تزوجت فيه بابنه...
... أطلب الإذن بالكلام!...
... لكن أفكه شيء كان رؤيتهم وهم يسقفون البيت له.
... كانت تلك البسمة المشرقة على وجهها...
فليخوزقك الشيطان أنت وهي! على خطى الشيطان إلى جهنم معها! ما نفع ابتسامتها المشرقة لي؟ أنت ممل تماما كهذا الشاعر الصفيق هنا. ألا تملك ابنة نفس الابتسامة المشرقة؟ فليخوزقها الشيطان، ألم تقُد ابني الأكبر إلى الغواية؟ لقد سحرت عينيه أو فعلت شيئا لعينا ما. إنه مسحور تماما! إنها ماسونية أو شيء لعين من هذا القبيل. تحاول أن تضع قدما في حيازتي الكبيرة...
... انتظر حتى أحكي لك كيف بعت الكتب ... دخلت حانة . لم يكن قد طال المقام بالأستاذ الكبير في المكان وقتها. قمت بتحريات سرية عنه. لم يكونوا متيمين به كثيرا في حانة . كان نادرا ما يذهب إلى هناك. كان شخصا بخيلا. لكنه كان مجنونا بالأستاذة.
قلت لنفسي: *وجدتها، وجدت الطُعم الذي سأصيدك به يا ولدي...*
قلت له: *أعظم قصص الحب في العالم..* كان جائعا لها كرضيع شره يصبو للثدي.
قلت: *خمسة جنيهات للمجموعة..*
قال: *إنها باهظة الثمن..*
قلت: *ماذا تعني بباهظة. نصف جنيه الآن، والباقي على أقساط كما يناسبك تماما. إنها مجموعة أنيقة الشكل. لن تخجل من عرضها وإظهارها على رفوف كتبك في البيت. انظر إلى الورق! إنها أفضل وأزهى قصص الحب لدينا. انظر إلى العناوين هنا: هيلين من طروادة، تريستان وإيزولد، سقوط بيت أوشناه، دانتي وبياتريس... أنت لست متزوجا؟... لا... أنت في هذا السن ولم تقرأ أيا من هذه القصص: عن هيلين: *الوجه الذي أطلق ألف سفينة وأحرق أبراج طروادة

ذات الصدر المكشوف* و*مصدر الغيرة الوحيد لديردري[36]*: *عندما شرب نبلاء أسكتلندا ذات يوم
مع أبناء أوشناه في جو ودود،
من ابنة لورد برافيسفورت
سرق نيشا قبلة خلسة...*
تخيل نفسك يا رجل... وأنت في غدير هناك قرب خليج جالواي، وفي أحضانك فاتنة شقراء وأنت غير قادر على أن تحكي لها واحدة من أفضل قصص الحب في العالم...
بدأ يتردد. أحكمت قبضتي حوله. لكن بلا فائدة.
قال: *إنها باهظة الثمن للغاية على أمثالي، ألا تملك أي كتب مستعملة؟*
قلت: *نحن شركة لها سمعتها. ولا يمكن أن نعرض صحة مسافرينا أو عملائنا للخطر. من يدري إن كان يمكن أن تنقل عدوى ما إليك أو إلى زوجتك؟... أفهم، أنت لست متزوجا. لكنك ستتزوج إن شاء الله، وعندئذ ستدرك ما تساويه مجموعة كهذه. عند السهر لوقت متأخر، والريح تعول في الخارج، وأنت وزوجتك جالسان مسترخيان قرب النار...*
لكن كان الأمر وكأني أكلم الحائط...
انطلقت إلى الثكنات. لم يكن هناك أحد غير . قال: *كتب! لديّ حجرة مليئة بها هناك بالأعلى. سيكون عليّ أن أحرقها قريبا إذا لم يأت أحد ليبحث عن قصاصة ورق.*
قلت: *أي نوع من الكتب؟*
قال: *روايات.. زبالة... حثالة... لكنها تقتل الوقت بالنسبة لي مع ذلك، في هذا المكان المليء بالبراغيث...*
صعدنا إلى الدور العلوي. كان مليئا بالكتب. الحثالة، كما قال. ذلك النوع من الروايات الرومانسية الهرائية التي تلتهمها الفتيات الصغيرات. الحقيقة كان أغلبها يحمل اسم ولقب ممرضة من معارفي في برايت سيتي مشخبطا عليها. اخذت أفضلها -الكتب ذات المظهر الأنظف- وقطعت الصفحة الأولى من كل كتاب. قمت بجولة على المدارس الأخرى في المنطقة وفي غضون بضعة أيام عدت إلى الأستاذ الكبير. كنت متضايقا قليلا من نفسي لأني هجوت بشدة الكتب المستعملة.
قلت: *سأسافر اليوم غربا في طريق عودتي للديار يا أستاذ، وفكرت أنه يمكن أن أزورك أيضا. لديّ مجموعة من الروايات الرومانسية هنا. مستعملة. اشتريتها خصيصا من صديق لي في برايت سيتي كان يبيع مكتبته، على أمل أنها قد تناسبك. وقد جرى تعقيمها.*
جذبته الأغلفة المبهرجة، والعناوين الرومانسية: القبلة الحمراء الساخنة، رجلان وزمرة نساء، ضفائر الغروب...
قلت: *جنيهان وعشرة شلنات من أجلك يا أستاذ. هذا بالضبط هو ما دفعته من

أجلها أنا نفسي. لا مكسب لي فيها، لأنها ليست من كتب الشركة. لو رفضتها سأكون قد دفعت ثمنها من جيبي...*
وبدأت المساومة. كان يريد أن يدفعني إلى أقصى حد ممكن. في النهاية قلت له أن يأخذها أو يدعها لكني لن أتركها له بأقل من جنيهين. وحصلت منه على ذلك المبلغ، بشق الأنفس. وبالطبع لم تكن تساوي مليما...
كنت تعرف ألاعيب المهنة يا فتى. لكني كنت أعرفها أنا أيضا. لم أحك لك أبدا عن هذه الخبطة: كانت هناك أختان تعيشان بالقرب مني. إحداهما اسمها ، والأخرى اسمها . وهي هنا الآن. تكره إحداهما الأخرى... آه، سمعت القصة من قبل؟ ذات يوم توجهت إلى بيت . كانت زوجة ابنها هناك أيضا. ألقيت عليهما محاضرة عن التأمين على الأطفال: أنهم سيحصلون على مبلغ كبير من المال عندما يصلون إلى سن كذا، وما إلى ذلك. أنت تعرف هذه الحيل. كانتا هما الاثنتان متشككتين جدا. أريتهما استمارات ملأها بعض الجيران، بلا فائدة. قلت: *ليس هناك أي غش أو خداع في هذا، لكن هناك الكثير مما يُجنى من مكاسب. اسألا القس...*
وهذا ما فعلتاه. وخلال أسبوعين حصلت على تأمين على طفلين منهما. ثم دخلت في حوار طويل حول التأمين على كبار السن: تكاليف الجنازة وما إلى ذلك. كانت المرأة العجوز راغبة في الدفع لزوجها، ... ذهبت إلى الأخت الأخرى، . كانت وحدها في البيت.
قلت: *انظري، هذه الاستمارات ملأتها المرأة الساكنة هناك بالأعلى، من أجل طفليها والرجل العجوز. أخبرتها أني قادم إلى هنا في طريق رجوعي نازلا، لكنها استحلفتني ألا أفعل...*
قالت : *ماذا قالت؟ ماذا قالت؟*
قلت: *آه، لم أكن أحب أن أتحدث عن هذا، جيرانك...*
قالت: *جيران! نحن أختان، ألم تكن تعرف هذا؟... أنت غريب. نعم بالفعل، أختان. لكن رغم ذلك، عسى ألا تذهب أي جثة إلى المقبرة قبلها! ماذا قالت؟*
قلت: *آه، من الصعب الحديث عن ذلك، لولا أن لساني منفلت أكثر من اللازم لما ذكرت هذا على الإطلاق.*
قالت: *ماذا قالت؟ لن تخرج من هذا البيت قبل أن تخبرني.*
قلت: *كما تشائين. قالت إني سأضيع وقتي فقط بالقدوم إلى هنا، وأنكم لا تستطيعون دفع التأمين في هذا البيت...*
قالت: *المومس! العاهرة!... سيكون يوما حزينا فعلا لو أننا لا نستطيع دفعه مثل . وسندفعه. سترى أننا سندفعه...*
وجاء ابنها وزوجته. وبدأ الجدال. هي تحاول عمل تأمين على طفلين، والزوجان يعارضانها بشدة. قلت: *أنا مستعجل. سأترككم تتشاورون. ربما ستكون لديكم كلمة نهائية لي بعد غد: سأعود إلى بيت مرة أخرى. لقد طلبت مني أن أعود وأنها ستؤمِّن على الرجل العجوز الذي يعيش وحده هناك...*

قالت: *! مستحيل! . خطة أخرى من خططها للحصول على أرضه بعيدا عنا. هل يمكننا أن نؤمِّن عليه؟... سأدفع التأمين بنفسي من النصف جنيه معاشي...*
تحولت الأمور عندئذ فعلا إلى معركة الحِزم[37]. بدأوا يدورون حول أحدهم الآخر في كافة أرجاء البيت كما لو أنهم يرقصون الفالس. كان الابن وزوجته يودان لو كسرا عنقي على رصيف الشارع في الخارج. لكن دافعت عني وأبقتني داخل البيت حتى تم الانتهاء من ملء الأوراق...
وامتلأت الأوراق! كان لها أن تنفذ ما أرادته في النهاية. وكان ذلك أعظم خطر تعرضت له خلال كل الوقت الذي عملت به في التأمين.
هكذا استغفلت . لم أستطع تجنب هذا فعلا. ألاعيب المهنة...
هذه كذبة لعينة! هذه كذبة لعينة! أنت لم تستغفلني! لو استغفلتني، فقد استغفلت أيضا...
لم تذكرك قط لا أنت ولا . ألاعيب المهنة يا يا عزيزتي...
يا ... هل تسمعيني؟... سأنفجر!...

٦

أيضا شخص فظ. رغم أني مضيت ضد التيار بالتصويت له، لم يشكرني قط على ذلك أو أي شيء. لو كان لديه أي قدر من التحضر لتحدث إليّ ببساطة وقال: *يا ، أنا ممتن لك لقيامك بمنح صوتك لي. كنت امرأة شجاعة كي تتحدي كل حزب مقبرة الخمسة عشر شلنا. لقد أبلينا بلاء حسنا ضد ...*
لكنه لم يفعل. كان ينبغي أن يتذكر -سواء خلال الانتخابات أو غيرها- أني مازلت بلا صليب.
كان ينبغي أن أخبر منذ زمن طويل أني سأحصل على صليب. لكن لماذا ينبغي أن أهتم بأمرها؟ لقد مر زمن طويل منذ كنت تحت رحمة ديونها. لعلي أخبرها الآن، بعد أن انتهت ضجة الانتخابات...
مرحى يا . يا ... هل أنت هنا؟... ، هل أنت هنا؟... هل تسمعونني يا أهل مقبرة الجنيه؟... لا يمكن أن تكونوا نائمين جميعا؟... أبحث عن ... إنها أنا، ، زوجة . يا ، سيضعون صليبا من أفضل رخام كونيمارا فوقي... قريبا جدا. مثل الصليب الذي فوق ، ومن حوله سيضعون سياجا، مثل سياجك يا ...
لا تريدين أن أزعجك يا ؟ هل هذا ما قلتيه؟ ظننت أنك ستودين سماع الأمر يا ... لا تريدين أن يكون لك علاقة بأهل الخمسة عشر شلنا من الآن فصاعدا؟ لقد صوَّتُ من أجل يا . وقد أثرت سخط كل من في مقبرة الخمسة عشر شلنا عليّ بفعلي هذا... كنت تفضلين لو سار الأمر بدون صوتي؟ يا إلهي! كنت لتفضلين أن يتم الأمر دون صوتي!... آداب اللياقة تحظر على أهل مقبرة الجنيه الحديث إلى أهل الخمسة عشر شلنا! والآن ماذا تعلمين؟... تقولين إنه يمكنني أن أبلي لساني بالحديث لكنك لن تعيريني انتباها... لست مستعدة للحديث مع ثرثارة مثلي بعد الآن؟... ثرثارة يا ! لست مستعدة للحديث مع ثرثارة مثلي بعد الآن!...

كما تشائين إذًا أيها الحقيرة. ستكلمينني طويلا قبل أن أنطق بكلمة لك مرة أخرى. لا سبب لديك للتعالي، فقط لو تعلمين!... يكفي أنك كنت تملكين محلا صغيرا فوق الأرض، وكنت تدمرين البلد بقباقيبك... أعلم جيدا ما يضايقك يا حقيرة! أنا صوَّت في الانتخابات. أتمنى لو لم أفعل! أنت وهو تحسدانني على صليب وسياج جيدين مثلما لديكما أنتما الاثنان. عندئذ سأكون في نفس وضعكما...
تلك الحقيرة . يا أبانا الذي في السماء، كم تغير العالم!...
... *كان هناك بسروايله الممز-زقة
لكن العون كان يأتيه من كلا الجانـ - نبين...*
... ! !...
أهلا! كيف الحال؟ هل تغلبت على إرهاق الانتخابات الآن؟ أشعر أني مرهقة قليلا عن نفسي.
ستسامحيني الآن يا ...
آه يا يا عزيزي، ولم لا؟ اللبيب بالإشارة يفهم. كان هناك شجار -أو فضيحة كما قد يقول أهل الثقافة- بيننا، لكن هذا لا يهم. *بالنسبة لأصحاب العقول الصغيرة، نسيان الخطأ عمل بطولي. بالنسبة لأصحاب العقول النبيلة، هو مجرد احتياج عابر..* كما قال في ضفائر الغروب. بأمانة...
يا إلهي! يتحدث إلى مرة أخرى، رغم أنه تعهد وأقسم خلال الانتخابات أنه لن يوجه إليها كلمة واحدة قط. آه، وما فائدة الكلام!...
بم وصفها؟... المومس والعاهرة والقحبة! . امرأة البحارة. السكيرة القادمة من جورت ريبوك أرض البرك والمستنقعات. قال إنها كانت تشرب سرا في مخبئه، وأنها كثيرا ما كان يجب حملها إلى البيت، وأنها بدأت في الغناء بأعلى صوتها عندما كانت جنازة تمر من أمام بابه، وأنها قامت بسرقة بائع ماشية متنقل قادم من الريف في الجنوب داخل مخبئه، وأنها شربت الجعة السوداء من الساقي الأسود الذي كان الإيرل يحتفظ به، وأنها بدأت تقذف الزجاجات عندما سكرت، أنها جلبت ذكر الماعز الخاص إلى داخل الحانة في نوبة سكر، ووضعته خلف البار، وأجلسته فوق نصف برميل بوظة وبدأت تمشط لحيته وتبللها بالشراب، وأنها اعتادت معانقة ...
لكن ماذا كان اللقب الذي اعتاد أن يناديها به؟... أليس من الفظيع ألا أتمكن من تذكره؟... هذا هو، أقسم بروحي!: كذا وكذا. يجب أن أسأل الأستاذ، إذا عاد إلى عقله من جديد، عن معنى كذا وكذا..
لكنه كان يناديني كذا وكذا أيضا، وكان لينادِيني بما هو أسوأ من ذلك لو استطاع. لكن رغم كل هذا ها هو يتحدث إليها برقة وهدوء الآن كما لو أنهما لم يتبادلا قط كلمة غاضبة. ولم يفكر قط في أن يشكرني على التصويت من أجله...
فقط لأني لا أملك صليبا فوقي... إن كان هذا هو السبب. أو ربما لأن اعتادت أن تترك الكثير من نقود الشراب معهِ فوق الأرض. لم يكن ولا أي ليملك حانة لو

اعتمد على عاداتي. هو يعلم جيدا أنه لم يكن سيملك صليبا ولا حسابا هنا لولا وأمثالها... لم أكن سكيرة قط... ومع ذلك، كثيرا ما كانت تغويني واجهة حانته.
... بالفعل يا . صوَّت من أجلي كل المثقفين، وأهل الخمسة عشر شلنا أيضا، باستثناء ، وليكن الله في عوننا، فتلك السليطة لا تملك ثقافة ولا تربية. من الأفضل لي أني لم أحصل على صوت ، رغم أن صوتها كان من المفترض أن يكون لي، لولا سبب واحد. صوتت من أجلك يا لأنها قلقة على البضاعة التي لم تدفع ثمنها في محلك. بأمانة!
هذه كذبة لعينة، أنت يا كذا وكذا! مت ولم أترك قرشا من الديون لكائن من كان ولا حتى الطير في السماء، والحمد لله أبينا الذي في السماء. أيتها العاهرة. *البضاعة التي لم تدفع ثمنها...*!
يا ! يا !... هل سمعت ما قالته سفاحة الجعة السوداء؟ سأنفجر! سأنفجر!

30 البئر الموجود في آخر العالم موتيفة في الحكايات الفلكلورية في القرون الوسطى، وهي التي أوحت لويليام موريس بروايته الفانتازية: The Well at the World’s End. *من هوامش الترجمة إلى الإنجليزية *

31 سفر يوحنا في الأصل. الكلمات الافتتاحية للمدخل الشعري لإنجيل القديس يوحنا، يكتبها قس باللاتينية على قطعة ورق، تُطوى وتُلف في شكل حجاب حول العنق أو تُخفى في الملابس، صارت هذه الممارسة مستخدمة في التقليد المسيحي طوال العصور الوسطى كتميمة حامية وشافية. في التقليد الآيرلندي الأحدث، يمكن أيضا لرباعية شعرية مرتجلة يؤلفها قس أن تعمل أيضا كنص تميمة وكانت معروفة باسم سفر يوحنا. وكان يُنظر إلى الاستخدام غير الصحيح لتميمة سفر يوحنا على انه يحتمل مصيبة للقس الذي قدمها ويمكن حتى أن تؤدي إلى موت *موروث* في حالة استخدامها لإنقاذ حياة شخص منكوب على نحو قاتل، كما في حالة ابن نيل في النص *من هوامش الترجمة إلى الإنجليزية *

32 مرض خطير يصيب الماشية بسبب البكتيريا *من هوامش الترجمة إلى الإنجليزية *

33 مطلع عبثي في أغنية للأطفال: Amhráinín síodraimín siosúram seó *من هوامش الترجمة إلى الإنجليزية *

34 نطق خاطئ كوميدي لكلمة شمبانيا *من هوامش الترجمة إلى الإنجليزية *

35 كرباج بتسع عقد.. أي أنها كانت ستتلقى استقبالا سيئا. *من هوامش الترجمة إلى الإنجليزية *

36 امرأة ذات جمال عظيم في واحدة من الأساطير السلتية الرومانسية العظيمة. *من هوامش الترجمة إلى الإنجليزية *

37 المعركة التي قُتل فيها تقريبا كل مقاتلي فرق الفيانا بواسطة حزم القمح التي كانوا يربطونها ويلقونها فوق رؤوس بعضهم البعض، لتقتل أحدهم الآخر عن غير قصد أثناء ذلك. وكان شخص ضئيل من العالم السفلي اسمه توفي ماوث هو الحاصد الوحيد! *من هوامش الترجمة إلى الإنجليزية *

الفاصلة الخامسة
الطين المخصب
١
أنا نفير المقبرة! فليُسمع صوتي! لا بد أن يُسمع...
هنا في المقابر يدور المكوك للأبد: ينسج من الضياء ظلمة، ومن الجمال قبحا، ويلقي على خصلات الشعر الذهبي الفاتنة ظلا من الرغاء، وشيئا من العفن، ولمحة من التفسخ، وقليلا من الوحل، وصبغة رمادية بلون الغبش. ينسج الحجاب الخشن للامبالاة والنسيان من خيوط الشمس الذهبية، ومن نسيج القمر الفضي، ومن عباءة الشهرة المرصعة بالجواهر، ومن السقوط الناعم للذاكرة المختلة. ومادة هذا النسَّاج هي الطين اللين اللدن. ونوله هو الفضلات الذابلة التي تخرج منها أحلام المرء الذي ربط عربته بأسطع نجم في قبة السماء، أو الذي قطف عنقودا من أكثر الفاكهة تحريما من أعمق ظلمة. قلق الأحلام، والتألق التام للجمال بعيد المنال، والحنين للرغبة المعذبة... تلك هي الخيوط المعتادة لحبك غزل هذا النساج القديم.
أما فوق الأرض فكل شيء مكسو بعباءة الشباب الدائم. كل زخة مطر تخلق بشكل إعجازي حشودا من عش الغراب في العشب. زهور الخشخاش تغطي المروج والحقول مثل حلم لربة النماء. شفاه القمح ملطخة بالذهب من تقبيل الشمس المستمر له. خرير الشلال يبعث على النعاس بينما يسقط ماؤه داخل أفواه سمك السلمون العطشى. عصفور النمنمة يحجل سعيدا تحت أوراق الرصيف، مراقبا القفزات المرفرفة لفرخه الوليد. الساعي على رزقه ينطلق إلى البحر وعلى شفتيه لحن مليء بقوة المد والريح والشمس. الفتاة السابحة في الندى مع شعاع الشمس الأول، تبحث عن الجنيّ ذي كيس المال الذي لا ينفد، لعلها ترتدي الملابس البهية والمجوهرات والأحجار الكريمة التي يصبو قلبها لها.
لكن ثمة ساحر شرير قد أحرق رداء الشجر الأخضر بيده الملعونة. اجتثت نصال الريح الشرقية التاج الذهبي لقوس قزح. ولاحت حمرة السل في صفحة سماء الشفق. اللبن يتخثر في ضرع البقرة بينما تبحث عن ملاذ في ركن من الحائط الحجري. خرس الأسى غير القابل للتعبير ماثل في أصوات الشباب الذين يرعون الأغنام هناك على التلال المطلة على المستنقعات. صانع الأكوام يهبط من كومة القمح المسقوفة جيدا التي صنعها ويخبط بيديه تحت إبطيه، لأن بثورا رهيبة من مادة سوداء تتجمع في السماء الشمالية وقوافل من الأوز الرمادي الصاخب تهرع مسرعة نحو الجنوب...
لا بد أن يسدد الأحياء مستحقاتهم للمقبرة...
أنا نفير المقبرة. فليُسمع صوتي! لا بد أن يُسمع...

٢

... من أنت؟... أي نوع من الجثث العجوزة يدفعون بها فوقي الآن؟... زوجة ابني بالتأكيد. لكن لا. أنت رجل. أنت لست من آل على أي حال. أنت أشقر. لم يكن أي من آل أشقر. كانوا دائما سود الشعر. شعر أسود كلون التوت. ولا أحد من أهلي أيضا، فيما عدا ، تلك العاهرة...

أنت واحد من أقارب . ينبغي أن أعرفك. هل أنت ابن الثاني أم الثالث؟... الثالث... في التاسعة عشر من عمرك فقط... أنت صغير قليلا بالفعل على أن تبدأ هذا المشوار يا ولدي... كنت مريضا لمدة تسعة شهور... السل. هذا القاتل! هذه المقبرة سمنت من ضحاياه...

كنت ستذهب إلى إنجلترا لولا أن أصابك هذا المرض... تقول إنك كنت قد جهزت كل شيء للسفر... سافر كل شباب وشابات قرية دوناه في الأسبوع الماضي... ورعاع قرية جورت ريبوك!... عسى ألا يعودوا أبدا إذًا!... صحيح يا ولدي. يمكنك أن تكسب أموالا كثيرة هناك...

تقول لي إنك لم تسمع شيئا عن صليب يوضع فوقي. لا حديث عن ذلك الآن... تقول ولا حتى كلمة... ذكر ذلك عندما جاء لزيارتك... ماذا قال؟ لا تخجل من إخباري يا ولدي. في الحقيقة، ينبغي أن تعرف أنت نفسك أني لا أملك حبا أو مودة تجاه ... وقد ذهب أهل مرتفعات سافي جميعا إلى إنجلترا! فعلا يا ولدي، ألم يكن هؤلاء القوم أنفسهم عمال تراحيل وأجراء طوال أعمارهم؟... لولا أن المرض داهمك لذهبت أنت أيضا... كي تكسب المال. تأخر الوقت قليلا عليك الآن كي تتحدث عن كسب المال.... لكن ماذا قال ؟ لماذا لا تقول؟... قال: *هذه المرأة الغبية لا تستحق صليبا. قومها ليسوا معتادين على الصلبان. ابن -رجل لا يستطيع تحمل ثمن لقمة يعطيها لأطفاله كي يأكلوها- يتحدث عن إقامة صليب من رخام كونيمارا!* أقال هذا؟ مازال يحمل ضغينة نحوي...

تقول لي إن كان في دبلن. في دبلن!... هذا البائس القبيح ذهب إلى دبلن!... ورأى الرجل العالق فوق العمود الحجري![38] من المحزن أن الرجل والعمود الحجري لم يسقطا فوق الابتسامة الغبية لهذا البائس القبيح!... وقال إن الجعة السوداء هناك عظيمة؟ عسى أن يغص بها أنفه السيَّال!... والنساء الجميلات في دبلن! من المؤسف بشدة أنه لم يذهب إلى هناك منذ زمن طويل عندما رفضته مرتين. كانت نساء دبلن ليعجبن للغاية بقدميه المفلطحتين وظهره الأحدب. ورأى الحيوانات البرية! لا يوجد حيوان أكثر توحشا ولا قبحا منه هو نفسه، وأنا لا أضيف كثيرا إلى حقيقته ولا أرغب في التحقير منه!... والقاضي مدحه حتى طاول السماء؟ إذا فقد كان قاضيا معتوها!... قال: *أنت رجل عجوز رائع تسافر بمحض إرادتك كل هذه المسافة في مثل سنك لكي تساعد المحكمة..* لقد كان قاضيا معتوها إن لم يكن من الواضح له أن ذلك البائس القبيح إنما يساعد ابنته وزوجها!...

قد يظن المرء أن شابا مثلك لن يكون بهذه السخافة، ومع ذلك فإنك تجعل من نفسك آخر أخرى لو بقيت على هذا الحال. كنت آمل أن تحكي لي عن الدعوى القضائية، وها أنت تحكي لي عن ذهاب أهل جلين بولي إلى إنجلترا. فليذهبوا إلى إنجلترا! بئس المصير لأهل جلين بولي! هؤلاء الأوغاد لم يحضروا حتى جنازتي...
مستحيل! إذًا فقد حصل ابن على ثمانمائة جنيه... رغم أنه كان على الجانب الخاطئ من الطريق. هل أنت متأكد؟ ربما أضافت العاهرة خمسمائة أو ستمائة إلى الرقم الحقيقي... أوه، نُشرت في الجريدة! قرأتها بنفسك في الجريدة... منذ ستة أسابيع... في جريدة ذي جالواي مان. يا الله، لا ينبغي لأحد أن يهتم بتلك الجريدة... وكذلك في ذي ريبورتر وذي آيريشمان!... وتقول إنه لا بأس به على الإطلاق... لقد تخلص من العكازين تماما الآن... وهو يقوم بكل أنواع العمل من جديد... وثلاثة من الأطباء أقسموا أنه في صحة سيئة. يا رحيم! آه، لقد كان قاضيا معتوها. أقيل له إنه كان على الجانب الخاطئ من الطريق؟ ضبط القس المسألة. ومن غيره!...
أعطت القس خمسين جنيها من أجل القداسات؟ تفعلها أيضا العاهرة! ابنها في صحة جيدة ولديها حفنة من النقود... ومنحته أيضا عشرة جنيهات كي يتلو قداسات على روحي!... تقول إنها ناولتها للقس في حضور ... آه، إن مال قداسات هذه العاهرة لن يأتي لي بأي خير يا ولدي...
أهل بحيرة ديري ذهبوا إلى إنجلترا أيضا منذ خمسة أسابيع. حسنا الآن! لا بد أنه مكسب عظيم لإنجلترا أن تستقبل همج بحيرة ديري فيها... لم يكونوا ليأتوا إلى جنازة أحدهم بنصف هذه السرعة... انتظر! لا تذهب قبل أن تخبرني بالمزيد!... ليس على مايرام؟ من السهل معرفة هذا. إنجيل القديس يوحنا. سيكون هنا في أي يوم من الآن. لقد أعدت وابنة تلك الجرعة له. سيحصلون على أموال التأمين من ورائها...
هناك طريق يُمد حتى بيت ! فليكن الله في عوننا! ظننت أن الشيطان نفسه لن يبني طريقا في هذه البرية القفر... هذا الحزب الجديد الذي صوتت من أجله أتاح لها هذا، كما تقول. لقد عرفت هذه العاهرة جيدا من تصوت له! سيجري الاستيلاء على قطعة من حقلنا من أجل الطريق؟ مستحيل! ذلك هو الحقل: تل فلاجستون. لا يوجد حقل آخر لنا قرب الدرب المؤدي إلى بيت ... ابني تنازل عن قطعة من تل فلاجستون! ماذا؟ عرفت منذ رحلت أن سيكون عجينة في يديّ تلك العاهرة... زار القس المكان ليرى ماذا كان يحدث. تلك واحدة من حيل الحقيرة... إذًا فقد وضع القس الحدود.... وكان هذا في نفس اليوم الذي أعطته فيه النقود كي يتلو القداسات من أجلي. يا أبانا الذي في الأعالي، لا غبار على هذا الرجل! كانت تلك حيلة للحصول على حيز من أجل هذا الطريق. لم يكن هناك مجال لطريق دون التعدي على حقلنا في تل فلاجستون. تعتقد أن حصل على مال مقابل الحقل؟ لا يهم. كان ينبغي ألا يدعها تحصل عليه. كم كنت أتمنى

لو عشت بضعة أعوام أخرى حتى!... إذًا هذا ما قاله : *آه بربك، تدفع مالا مقابل حقل بور قصيّ وعفن في فلاجستون، حيث لا يوجد شيء غير الحجارة التي تنبت مزيدا من الحجارة!... لو كان لدى ابن أدنى لمحة من عقل لحفر حفرة ما من أجل عظام تلك العجوز المهينة... هناك في تل فلاجستون... وهناك سيجد الكثير من شواهد القبور دون الحاجة لرخام كونيمارا... ليبقي بعيدا عن هذه المرأة القنفذ...* آه، البائس القبيح! البائس القبيح!...
ها نحن نعود مرة أخرى: *فقط لو كنت في إنجلترا! فقط لو كنت في إنجلترا!* وهل منعتك من الذهاب؟... *كل أهل ويست هيدلاند ذهبوا إلى هناك منذ ستة أسابيع.* أنا لا أبالي قدر خردلة أين ستغرب الشمس على أهل ويست هيدلاند. هناك زوج من هؤلاء الفشارين هنا في المقبرة وهما لا يمثلان أهمية كبيرة للمكان...
تقول لي إنك لم تسمع شيئا عن وصية أختي ... لا شيء على الإطلاق... وكيف لك أن تعرف وأنت حريص حد الجنون على الذهاب إلى إنجلترا؟... وهذا كل ما سمعته عن ؛ أنه مازال في كوخه... يأتي إلى بيتنا الآن في كل مرة يذهب فيها لقبض المعاش. رجل طيب! هذا خبر جيد... وأحيانا يعطي دفتر المعاش إلى زوجة ابني، لتقبضه من أجله؟ رجل طيب! لم يعد رشيقا كما اعتاد أن يكون... آه، ويعطي الدفتر ابنة أيضا! هه!...
تقول لي إن تعاني من مشاكل في الظهر من جديد. آمل ألا تجد المرأة التي ستُرقدها مكانا أقرب من طين المقابر!... قعيدة تماما؟ إنها واحدة أخرى منهم! لم تأت لتندب عليّ، المتسولة!...
لم تكن مهتما بأي شيء آخر غير الذهاب إلى إنجلترا... كنت ستذهب إلى هناك منذ شهرين، عندما رأيت أن الانتهازيين من وودي هيلسايد كانوا ذاهبين! أي شخص احتذى بأهل وودي هيلسايد لم يفلح! زوجة ابني مازالت مريضة بالطبع... فلينجنا الله!... كانت تتعارك مع ابنة ... مع ابنة !... تتعارك معها!... صعدت إلى أرض ، ودخلت بيتها، وأمسكت ابنة من شعرها؟ أنت لست جادا!... آه، لم تكن على الإطلاق من قالت إن ملابس المعهد الخاصة جرى شراؤها من ! ولماذا أسهبت في الحديث عن هذا، العاهرة؟... آه، كانت ابنة هي أول من قال هذا ! من عادتها أن تتحدث في التوقيت الخاطئ، ابنة ذلك البائس القبيح. وزوجة ابني جذبتها من شعرها، في بيتها... وطرحتها أرضا! ظننت أنها لا تملك الشجاعة والقوة لذلك، ابنة !...
ألقت في النار؟ ألقت في النار! حياتي فداء لها! أيها الفتى الطيب! أيها الفتى الطيب! هل أنت متأكد الآن أنها ألقت في النار؟... ذهبت كي تنقذ ابنة ، وألقت زوجة ابني بها في النار! فليبارك الله في صحتها إذًا! أيها الفتى الطيب! ليبارك الله فيك يا ولدي. هذا أول خبر ينعش قلبي في كتلة الطين الباردة تلك.
أمسكن بخناق بعضهن البعض حتى صعد في المساء وأنزل زوجته إلى البيت! فليسامحه الله على عدم تركه لهن يكملن المعركة!...

يا ربي! كنا أفضل حالا دون أهل الجبل الأوسط. إنهم زمرة من البرابرة الجوعى! لن يتركوا لقمة في إنجلترا دون أن يأكلوها. لكن زوجة ابني ابنة ستذهبان إلى المحكمة...
لن تذهبا؟ لماذا؟ صدقني، لو ذهبت إلى برايت سيتي واستأجرت المحامي ليرفع دعوى قذف وتشهير ستصنع ثقبا كبيرا في كيس نقود . قد تأخذ خمسمائة أو ستمائة جنيه منها... أحضرت القس ليعقد السلام! تفعلها... إذًا هذا ما قاله عنهن: *لا تعر اهتماما لشجار النساء.* كانت من جعلته يقول هذا. فهي تعرف أني رحلت، العاهرة ذات الفم الخالي من الأسنان!...
ماذا قلت؟ أن زوجة ابني نشيطة ومجدة جدا الآن... أنها تعمل بجد منذ المعركة... ليس بها مرض ولا ألم الآن! ياللعجب العجاب إذَا! وأنا التي كنت واثقة من مجيئها إلى هنا في أي لحظة... تقول إنها تصحو مع صياح الديك... في الحقل وفي المستنقع... تربي الخنازير من جديد! أيها الفتى الطيب! اشتروا ثلاثة أو أربعة عجول في السوق الأخير! أيها الفتى الطيب! من المبهج الاستماع إليك يا ولدي!... وسمعت أمك تقول إنها رأت فناءهم مليئا بالدجاج! أتساءل كم فقسة أنتجوها هذا العام؟... بالطبع لا لوم عليك على عدم معرفة هذا يا ولدي...
تقول لي إن يبلي بلاء حسنا أيضا. ومع ذلك سيمر وقت طويل قبل أن يتفوق على والثمانمائة جنيه التي لديها. القاضي الذي حكم لهم كان قاضيا معتوها. لكن لو استمرت زوجة ابني على المعدل الحالي، وعندما تصبح معلمة...
هذا صحيح يا ولدي! كان مفلسا... ماذا قال؟ ماذا قال ؟... بما أن لم يستطع دفع إيجاره فينبغي أن يرهن لدى أحد حفنة الطين التي لديه والتي لدى زوجته ويرحل إلى إنجلترا ليكسب بعض المال... حفنة الطين، أهذا ما دعا به ذلك البائس الحقير حيازتنا الكبيرة؟ وقال: *لكن من الطيب أن أمه المغفلة ليست حية كي تعطيه نصيحة من نصائحها السيئة*. البائس الحقير! البائس الحقير! البائس...
أين ذهبت أيها الشاب؟ أين أنت؟... لقد حملوك بعيدا عني..

٣

... أنت لا تعرف يا صاحبي الطيب لماذا منطقة كونيمارا وعرة وجرداء وضحلة التربة هكذا...
الصبر يا . الصبر. في العصر الجليدي...
أوه، توقف عن هذا! عصر مؤخرتي الجليدي! إطلاقا، ليس الأمر إلا لعنة [39].
عندما نفى الرب الشيطان إلى الجحيم لم يفلح الأمر تقريبا. وسقط في ذلك المكان من السماء. وقضى هو كبير الملائكة الصيف كله يتصارعان أحدهما مع الآخر. وقد مزقا أحشاء هذه الأرض من أدناها إلى أعلاها...
أنت على حق يا . لقد أرتني أثر حافره هناك في أرض ...
اخرس أيها الشقي الحقير...
أنت تهين الدين. أنت مهرطق...
لا أعرف كيف كانت المعركة ستنتهي لو أن حذاء الشيطان لم يبدأ في الانخلاع. كان هو من صنعه له. كان إسكافيا هناك في لندن. انخلع الحذاء من قدميه تماما في خليج جالواي. فردة منه انقطمت نصفين. وكونا جزر آران الثلاث من وقتها. لكن رغم أن *ملاك الكبرياء * كان في ورطة نتيجة حاجته لحذائه إلا أني أقسم بالشيطان أنه دفع إلى الوراء مرة أخرى إلى مسافة بعيدة حتى *صخرة ميخائيل *؛ وهي جزيرة تقع إلى الغرب قبالة كارنا. ثم أطلق زئيرا جبارا مناديا كي يأتي ويصلح الحذاء من أجله. ولا أعرف كيف كانت المعركة ستنتهي لو تم إصلاح الحذاء...
وأتى إلى مقاطعة كوناخت. وجاء الآيرلنديون يتبعونه، ولا عجب، لأنهم كانوا دائما وأبدا ضد الشيطان. وعلى مبعدة خمسة أميال جنوب مدينة أوتيرارد، في مكان يسمونه كهوف بيت لابان، قابلهم وكان مازال يفر من الشيطان... قالوا له: *اثبت مكانك أيها النذل ونحن سنعطي الشيطان ركلة جيدة في مؤخرته العجوز.* وهناك أرسل إلى الجحيم، في بحيرة الكبريت. وهناك ينبع نهر الكبريت الذي يتدفق شرقا عبر أوتيرارد. وكلمة *الكبريت * هي الاسم الصحيح للشيطان بالآيرلندية القديمة، هو اسم زوجته.
وسط البلبلة والفوضى، ماذا تعتقدون غير أن فر هاربا منهم إلى آران، وظل مقيما فيها من وقتها. وكانت آران مقدسة حتى ذلك الوقت...
لكن يا ، ، اسمح لي بالحديث. أنا كاتب...
فليخوزقك الشيطان أنت و *النجوم الذهبية *!...
صدقني، كما تقول، كل قطع عشب الوقود الجيدة سُرقت منا...
من أنت لتتحدث عن السرقة يا رجل ، في الوقت الذي كنت لتسرق فيه البيضة من مالك الحزين، ومالك الحزين بالمرة؟ كان من سوء حظي أن ضفة عشبي تتاخم ضفتك، والمكان الذي كنت أفرد عليه عشبي كان بجوار مكانك. اعتدتَ أن تسحب عربتك أو حمارك وسلالك إلى الطرف المفتوح من كومة عشبك لكنك

كنت تملأ حمولتك من كومة عشبي. هل تذكر ذلك الصباح الذي أمسكت فيه بك؟ كان ضوء النهار يبزغ للتو. وكنت قد أخبرتك في الليلة السابقة أني ذاهب إلى السوق بالخنازير. وأخبرتني أنك ذاهب إلى السوق أيضا...
واليوم الذي أمسكت فيه بزوجتك. رأيتها تذهب إلى المستنقع في وضح النهار. وعرفت أنه لن يكون هناك أي أحد هناك لأنهم كانوا جميعا يقطعون طحالب البحر في الساحل خلال جَزر الربيع[40]. وكان ينبغي أن أكون هناك أيضا، لكني عرفت من منظر زوجتك أنها عازمة على السرقة. زحفت على بطني ببطء شديد من خلف التل حتى فاجأتها بالضبط وهي تحكم شد الحبل على الحمولة، مباشرة عند فتحة كومة عشبي...
قلت: *مهما أوغل الثعلب، سيجري الإمساك به في النهاية..*
قالت: *سأرفع دعوى قضائية عليك، لا حق لك في مباغتة امرأة في مكان منعزل كهذا. سأقسم يمينا ضدك. وسيتم نفيك...*
تتكلم عن السرقة يا رجل ، وأنت كنت لتسرق العسل من الخلية. لقد بعتَ كل قطعة من أرض عشبك. لا توجد قطعة واحدة لديك منذ يوم عيد كل القديسين ومازال لديك في مطبخك نار هادرة، وفي القاعة، وفي الحجرات التي بالطابق العلوي... كنت في زيارة لبيتك ذات ليلة. وتعرفت على عشب الوقود الذي جلبته من المستنقع بنفسي في اليوم السابق. قلت: *وحياة روحي، كما تقول، لا توجد نار ولا لهب في ذلك العشب. ينبغي أن يكون أفضل من ذلك... لقد سُرقت أفضل قطع العشب كلها منا...*
تتحدث عن السرقة، وأنت كنت لتسرق الكفن من فوق أي جثة. لقد سرقتَ الطحالب المنجرفة[41] التي جمعتها من الجزيرة. قلت لزوجتي: *بما أننا لا نستطيع أن نجلب كل هذا الموجود على الشاطئ على ظهورنا أو بالحصان، فمن الأفضل أن نربط خيوطا[42] بسيقان الطحالب لنبين أنها من حقنا. لن يتورع هؤلاء القوم من في الاستيلاء عليها صباح الغد عندما يحملها المد مسافة أبعد.*
قالت زوجتي: *بالله عليك! لن يسرقوا طحالب منجرفة..*
قلت: *عسى أن يمنحك الله عقلا! لو أنك فردتيها على حقلك نفسه لأخذوها، ما بالك بأي مكان آخر؟*
صبيحة اليوم التالي وأنا في طريقي هابطا من أعلى القرية قابلت ابنتك في الغور العميق، وكانت تضع حمولة من الطحالب البحرية على حمارها.
آه، تلك الغانية يداوم ابني الأكبر على صحبتها!
تعرفت على طحالبي المنجرفة فورا، رغم أن بعض الخيوط كانت منزوعة عن السيقان. قلت لها: *لقد جمعت هذا في خليج كولم.*
قالت: *في الخليج الأوسط..*
قلت: *لا وحق الله، بل كان في خليج كولم. لن تصل الطحالب القادمة من الجزيرة قط إلى الخليج الأوسط مع اتجاه الرياح جنوبا وجريان مد الربيع. هذه طحالبي. لو كان لديك أي وازع من ضمير لأنزلتِ هذه الحمولة وتركتني

آخذها...*
قالت: *سأرفع دعوى ضدك على التهجم عليّ بهذه الطريقة في مكان منعزل. سأقسم يمينا ضدك. وسيتم نفيك...*
لقد سرقتَ مطرقتي الصغيرة. رأيتها معك عندما كنت تبني ظهر البيت...
لقد سرقتَ منجلي...
لقد سرقتَ الحبل الذي تركته في الخارج...
لقد سرقتَ عصيّ التسقيف التي تركتها جاهزة مسنونة في الحظيرة بعد يومين من العمل الشاق في قطعها في غابة بانيشمنت... تعرفت على الشقين اللذين كنتم أضعهما على كل عصا...
صدقوا إذًا، سُرقت مني كومة صغيرة من الحلزونات. كنت قد وضعتها في أكياس على قمة الحارة. قلت لابني الصغير: *صدقني، لو جمعنا هذا القدر كل أسبوع حتى نوفمبر القادم، سيكون لدينا معظم ثمن المُهر.* كان هناك سبعة أكياس سمينة مليئة بها. في صباح اليوم التالي ذهبت لألتقي بائع الحلزون. نظر إليها وقال: *هذا الكيس ناقص رطلين..* وكان على حق. لقد فُتح وسُرق منه رطلان في الليلة السابقة. من الأفضل قول الحقيقة: شككت في ...
يا إلهي!...
شككت بالفعل. كانت تحب الحلزونات جدا. وقد سمعت أناسا يقولون إنها مفيدة جدا للقلب. لكني لم أعرف وقتها أني أعاني من مشاكل في القلب، ليكن الله في عوننا جميعا! لكني شعرت بألم حاد في...
أيها المعتوه! لا تصدقوه...
اسمع يا ، ألم أر أبي؟ الرجل المسكين، كان يشرب الشاي طوال اليوم. لم أر ولو قرش واحد من معاشه في البيت يا ، ولا عرفت أين كان يضعه. لكن كان هناك الكثير من الشاي لدينا وقتها، وكان من عادته أن يشتري رطلا ونصف أو رطلين منه كل يوم جمعة. أخبرتني أنه غالبا ما كان يشتري رطلين ونصف حتى. وكان الرجل المسكين دائما ما يقول: *فلنستمتع به طالما هو موجود..*
وكل يوم جمعة كانت تكمن منتظرة إياه في طريق عودته إلى البيت، وكانت تسحبه إلى بيتها. كان الرجل المسكين ينقاد بسهولة هكذا. هكذا كان يجري إعداد الشاي. وربما كان يجري إعداده مرتين. لكن ما كان يصلني في البيت لم يكن يزيد على نصف رطل من كل هذا الشاي. حاشا لله أن أنطق كذبا عنه يا !...
كان يقول دائما: *اشتريت رطلين، إلا لو كنت قد أضعتهما! انظري إذا كان هناك أي ثقب في جيوبي. ربما تركت بعضه خلفي في بيت . سأحضره في اليوم التالي. وحتى إن لم أفعل، ما الضرر؟ فلنستمتع به طالما هو موجود. عندما تكونين مع في البيت تشربين الكثير من الشاي، بارك الله في بيتها وآله!...* كان بسيطا هكذا، الرجل المسكين...
هذا كذب لعين أيتها العاهرة! لقد أضعت مالي عليه وأنا أغذيه بالشاي! كان يجيء إليّ مع كل دقة ساعة، كانِ قد هلك من أكل البطاطس النيئة وشرب الماء

المالح الذي كنت تقدمينه له يا ، أيتها الشحاذة. لا تصدقوها...
كل ما أريده السلام والهدوء! السلام والهدوء! ارحميني من سياط لسانك يا . أنا لا أستحق كل زمجرتك. السلام والهدوء! السلام والهدوء!
سأخبرك بالحقيقة الآن يا . لقد زرعنا حقل في نفس العام، وكان مليئا بأفضل البطاطس. وقد طرحت قرب نهاية مايو. كنا أنا نخرج إلى المستنقع كل يوم طوال الأسبوعين الماضيين. وكنا سنذهب إلى هناك ذلك اليوم عينه لولا أن كان يحضر حزمة من الطحالب البحرية الجافة من الشاطئ حتى وقت العشاء. دخل الحظيرة بعد عشائه ليأتي بحزمة من القش يضعها في بردعة الحمار، لأنه كان سيقضي بقية اليوم في المستنقع. وقال: *لن تصدقي يا أن كثيرا من البطاطس القديمة هناك في الحظيرة قد اختفت. كنت لأقول شيئا عن الخنازير لولا أنها بيعت منذ أسبوعين.*
قلت: *أقسم بالله يا ، لم أمر جوار أو قرب الحظيرة طوال الأسابيع الثلاثة الماضية. لم يكن هناك داعٍ يدعوني للذهاب إلى هناك. كان الأطفال يأتون بالبطاطس من أجل الوجبات.*
قال: *كان ينبغي ان نضع قفلا منذ أن بدأنا العمل في المستنقع. كان بمقدور أي أحد ان يتسلل داخلا خلال النهار عندما لم نكن في الجوار والأطفال في المدرسة.*
قلت: *كان بمقدورهم طبعا يا ، أو حتى في عز الليل..*
قال : *الأمر أشبه بإغلاق باب الإسطبل بعد أن هرب الحصان..*
انطلقت إلى الحظيرة من فوري يا ، ونظرت إلى البطاطس.
قلت عندما دخلت: *تخيل يا ! إنه أشبه فعلا بإغلاق باب الإسطبل بعد أن هرب الحصان. كانت هناك كومة لا بأس بها من البطاطس هناك قبل أسبوعين، لكنها تقلصت إلى لا شيء الآن. لم يتبق ما يكفي تقريبا لإقامة أودنا حتى تطرح البطاطس الجديدة. هل لديك أي إشارة يا تدلنا من يسرقها؟*
قال : *سأذهب إلى المستنقع. ولتصعدي أنت تل المرج، يا ، متظاهرة أنك ستذهبين إلى المستنقع كما تفعلين كل يوم، واهبطي داخل الأغوار الحجرية في الخلف، واكمني واختبئي في البوص.*
وفعلت ذلك يا . كمنت في البوص، أرتق كعب جورب وأبقيت عينيّ مسمرة على الحظيرة. مكثت وقتا طويلا هناك، وأعتقد أني كنت على وشك السقوط نائمة عندما سمعت ضجة عند باب الحظيرة. قفزت عبر الفجوة الواطئة في الجدار. وهناك كانت يا ، وعلى ظهرها ما يمكن أن تطلقي عليه كومة لا بأس بها من البطاطس...
قلت: *يمكنك أيضا أن تأخذيها معك وتبيعيها إلى ، كما فعلت بمحصولك من البطاطس طوال العام، ليس لديك حبة بطاطس واحدة تضعينها في فمك منذ الأول من مايو الآن. لا يهمني لو كان عاما واحدا، لكن هذا دأبك كل عام.*
قالت: *كان عليّ أن أعطيها . فقد خابت أرضه.*

قلت: *خابت! لأنه لم يعتنِ بها. لم يعزقها ولم ينزع حشائشها أو يضع بخة من المبيد عليها...*
قالت: *أتوسل إليك متذللة يا ألا تخبري أحدا وسأعوضك. لا يهمني من يسمع بالأمر طالما أن تلك العاهرة لم يبلغها خبر بها.*
قلت: *حسنٌ جدا يا . لن أخبر أحدا.*
وقسما ببلوط هذا التابوت يا ، لم أخبر أحدا...
اسمعي يا اللعينة آكلة البطاطس المحروقة، كانت لديّ دائما وفرة من البطاطس من أرضي، والحمد لله...
! ! لقد تركت مفلسا. كثيرا ما قابلته في القرية وكان يقول لي: *أقسم يا أنه لم يبق لي مليم أحمر لم تسرقه مني..* بأمانة، كان يقول هذا. واعتدت أن أعطيه ثمن بضع كؤوس من الويسكي يا . بأمانة. كان يدعو للرثاء، ذلك المخلوق، ولسانه أشبه بزهور محروقة في إناء...
لكن عم أتحدث يا ؟ ألم تقم ابنتي بنفس الحيلة؟ اكتشفت الأمر هنا... فعلت ذلك بابني في جورت ريبوك بعد موتي مباشرة. كان وهو وزوجته ذاهبين إلى سوق في برايت سيتي. عرضت ابنتي أن تأتي وتعتني بالبيت حتى يعودا. جمعت كل ما له قيمة في البيت وألقت به في صندوق كبير. وكان لديها الحصان والعربة في الخارج. طلبت من أربعة أو خمسة أولاد كانوا هناك أن يضعوا الصندوق على العربة. لم يعرفوا أي شيء عن الأمر. وألقت إليهم بثمن شراب. قالت لهم: *هذا صندوق أمي وقد تركته لي.* بأمانة، هذا ما قالته. وأخذته معها إلى بيتها. بأمانة يا . كان صندوقا جيدا من الطراز الآيرلندي القديم. كان قويا كالحديد، وجميل الشكل كذلك. الفائدة والجمال مجتمعان يا ... ناهيك عن القيمة المالية لما كان بداخله! معالق وسكاكين فضية. وعلبة ماكياج من الفضة اشتريتها بنفسي عندما كنت في برايت سيتي. كتب ثمينة مجلدة بجلد العجل. ملاءات وبطاطين وخيش ولفافات... لو كانت قادرة على الاعتناء بها كما يليق لما رقدت في كفن قذر...
بالضبط يا ! هذا هو الصندوق الذي تتحدث عنه دائما أبدا...
معالق وسكاكين فضية في جورت ريبوك أرض البط! آه يا أم المسيح المقدسة! لا تصدقوها! لا تصدقوها! تلك الكذا والكذا. ! ! هل سمعت ما قالته ؟... ... ... سأنفجر! سأنفجر...

٤

... مهرة صغيرة بيضاء الوجه. كانت الأفضل...
كان لديك مهرة صغيرة. ولدينا مهر...
مهرة صغيرة بيضاء الوجه بالفعل. اشتريتها في سوق القديس بارتولميو...
اشترينا مهرنا بعد الكريسماس.
مهرة صغيرة بيضاء الوجه. لم يكن يزعجها طن ونصف...
لدينا مهر كبير جيد، بارك الله فيه! كنا نبني إسطبلا جديدا من أجله...
... فازت *التفاحة الذهبية*: مائة إلى واحد.
فازت جالواي. هزموا كيري...
فازت *التفاحة الذهبية* أقول لك.
اختلط عليك الأمر، مثل ذلك الأحمق الذي يجادل دائما بأن كيري فازت. أقول لك إن جالواي فازت...
لكن لم تكن هناك *جالواي* في سباق الساعة الثالثة الكبير.
لم تكن هناك *تفاحة ذهبية* في الفريق الذي فاز بنهائي كرة القدم عام 1941.
ربما كنت تقصد أن تقول **...
... *كان تومـ-ماس الداخل هناك...*
... يوجد سبعة عشر بيتا في قريتي وكل صوت انتخابي فيها يذهب إلى ...
سبعة عشر بيتا! ولم تُطلَق رصاصة واحدة حتى على جندي من السود والسُّمر[43] في قريتك! ولا حتى طلقة واحدة! ولا حتى صوت طلقة.
خذ بالك، لقد نصبوا كمينا. في وقت متأخر من ليلة مظلمة. وجرحوا حمار الذي كان ذاهبا إلى حقل على جانب الطريق.
أتذكر ذلك جيدا. فقد التوى كاحلي...
... أنت واحد من آل ؟... الصبي الثالث. كنت تأتي إليّ في المدرسة. كنت صبيا قويا جيدا. برأس يعلوه شعر أشقر. عينان بنيتان. خدان متوهجان. كنت لاعب كرة يد رائعا... إذًا فقد ذهب أهل بحيرة ديري إلى إنجلترا... تقول لي إن الأستاذة في أفضل حال! آها! مريض جدا... مريض جدا...
هو كذلك يا أستاذ. يقولون إنه الروماتيزم. ذُكر أنه يعطي الخطابات لأول شخص يقابله، وكان عليه أن يبدأ إحضارها إلى البيوت مرة أخرى...
هذا ما يليق به! النذل!...
علق أثناء هطول الأمطار في طريقه إلى مساكن الجبل. تشبعت ملابسه بالماء إلى درجة رهيبة... وعندما عاد إلى البيت لزم الفراش...
هذا خير جزاء له! الشحاذ! اللص! الـ...
كان يتحدث كثيرا عن الذهاب إلى إنجلترا يا أستاذ قبل أن يداهمه المرض...
الذهاب إلى إنجلترا! الذهاب إلى إنجلترا!... احك كل شيء. لا تكن خجولا...
يقول الناس يا أستاذ إنه لم يكن في صحة جيدة منذ تزوج...

آه، الدخيل! اللص الطماع الحقير!...
لم تكن تريده أن يذهب عن نفسها. في الوقت الذي كنت مستعدا فيه للرحيل، كانت تتحدث إلى أبي عن الأمر، وقالت لو رحل لن يبقى شيء أمامها غير الموت...
العاهرة...
جلبت ثلاثة أطباء من دبلن كي يروه يا أستاذ...
بنقودي! لم تكن لتحضر طبيبا واحدا ليتفحصني، العاهرة... ذات الفرج الهائج...
De grâce يا أستاذ!
... *كان هناك متلهفا على الز-زواج...*
لم تكن لديّ أي نية لعدم الزواج. كنت لأذهب إلى إنجلترا فقط لو لم أكن مريضا.
لقد ذهب أهل قرية دوناه وأهل جورت ريبوك...
وجلين بولي وبحيرة ديري. أعلم مثلك تماما من ذهب. لكن هل تزوج أي واحد من العجائز القدامى؟...
يتحدث كثيرا عن الزواج.
فليتحدث عنه كما يشاء، ذلك الشيء الفاشل. من غيره؟
، وممرضة من برايت سيتي. والأستاذ الصغير أيضا...
الأستاذ الصغير، فعلا؟ يبدو أن المعلمين في اندفاع لعين نحو الزواج. لا بد أنهم يتوقعون زيادة أخرى في المرتب...
أحيانا يكون من الأفضل لهم ألا يتوقعوها. لقد سمعت بنفسك منذ قليل. لكن من السيدة الجميلة؟
شابة من برايت سيتي. امرأة جميلة بالفعل! في اليوم الذي كنت سألتقط فيه صورتي من أجل الذهاب إلى إنجلترا رأيتهما معا. دخلا فندق ويسترن.
ما شكلها تلك المرأة؟
امرأة طويلة نحيلة. شعرها أشقر بضفائر...
وفي أذنها قرط؟
نعم...
عيناها سوداوان؟
بحق الشيطان لا أعرف أي نوع من العيون كانت عينيها. لم تكن هي من أهتم بها...
وابتسامتها مشرقة؟
كانت تبتسم للأستاذ الصغير بما فيه الكفاية. لكنها لم تكن تبتسم لي...
هل سمعت أين تعيش؟
لم أسمع. لكني أعتقد أنها تعمل في مكتب رهانات باري، إذا كان هناك مكان بهذا الاسم. أستاذ مدرسة بحيرة ديري وابنة القس سيتزوجان الشهر القادم. يقولون إنه سيدير المدرسة الجديدة.
المرأة ذات البنطلون؟

إنها هي.
أليس من الغريب أن تتزوجه؟
لماذا؟ أليس رجلا وسيما جيدا، ولا يلمس الخمر.
لكن حتى مع هذا، يبدو لي أن امرأة تلبس البنطلون لن تكون راضية بمجرد الزواج من أي رجل. ستكون انتقائية أكثر من النساء الأخريات...
يا ربي، فليكن لديك مقدار أوقية من عقل! ابني متزوج في إنجلترا من امرأة فرنسية، ولن تعرف قط ماذا تقول، ليس أكثر من ثرثرة غير مفهومة. ألن تكون انتقائية أكثر من امرأة البنطلون؟...
دعك من امرأتك الفرنسية! ابني متزوج في إنجلترا من طليانية. ما رأيك في هذا؟
اللعنة عليك أنت والطليانية. ابني متزوج في إنجلترا من سوداء! ما رأيك في هذا الآن؟
سوداء! ابني متزوج في إنجلترا من يهودية. واليهودية ليست مستعدة للزواج من أي رجل والسلام...
وليس أي رجل سيتزوجها أيضا. بعضهم لن يطيقونها...
يوجد عدد أكبر بكثير لن يتخيلوا الشيء الذي تزوجه ابنك. سوداء! أف!
الزعيم الكبير سيتزوج امرأة من جلين بولي. وذلك الشاب ابن قد أنهى الإسطبل، ويقولون إنه يبحث عن زوجة. وقد رُفض عندما طلب يد ابنة .
! الذي قضى كل يوم من حياته يسرق عشبي...
وعشبي...
ومطرقتي...
آه، فليخوزقها الشيطان! تحاول أن تضع قدما في حيازتي الكبيرة...
إنها الفتاة التي هددت بإقامة دعوى قضائية ضدي على طحالبي المنجرفة. لن يتزوج ابن منها، أليس كذلك؟
إنها مناسبة له إلى درجة كافية. ماذا كان يمتلك بحق الشيطان؟ حلزونات. وماذا يملك الآن بحق الشيطان؟ حلزونات...
صدقني إذًا، لم تكن الحلزونات بالشيء الذي يستحق الازدراء، لا لم تكن. كسبت أنا والشاب أغلب ثمن المهر منها. لدينا أكثر مما تقولون أيها الناس أننا نملكه: لدينا مهر كبير جيد وإسطبل لا يحتاج إلا إلى سقف. وقد أخبرته عندما ينتهي من الإسطبل أن يبحث عن فتاة ذات ردف صغير ليتزوجها...
لقد رُفض الفتى في البيت الذي على التل أيضا، ومن ابنة في قرية دوناه، ومن ابنة النجار الضئيل في جورت ريبوك...
لا فائدة من هذا الفتى. هل قال إننا كسبنا أغلب ثمن المهر من الحلزونات؟ وأننا انتهينا للتو من بناء إسطبل جديد؟ وأننا اشترينا مهرا كبيرا جيدا بعد الكريسماس؟ أخشى أنه لن يستقر أبدا. لولا أني مت فجأة هكذا...
إسمع يا ، ابن قرية دوناه هو ابن عمي. وكان محقا تماما في رفض ابنك. رفضتك

أنت نفسك عندما طلبت ابنتي. هل تتذكر المرة التي جئت فيها لتطلبها؟
لم أكن أملك مُهرا ولا إسطبلا في ذلك الوقت.
تبدو ممتلئا بالفخر وأنت تتحدث عن ابن قرية دوناه، بالمناسبة. وكأنه الإيرل ذات نفسه، وكأن أبي لم يرفض تزويجه من ابنته! قال أبي: *هل تعتقد يا أني سأرسل ابنتي إلى قرية دوناه لتعيش على نبات القراص ونقيق الجنادب؟*
أبوك رفض ! وأمي رفضت تزويج أبيك! قالت: *هناك أربعون جنيها وبقرة ستؤول إلى ابنتي، وعلى جثتي أن أجعلها هي أو الأربعين جنيها تستقر على تلال قريتكم الموبوءة بالبراغيث.*
أمك رفضت تزويجه! أمك! حاول أبوها أن يرميني بها، لكني رفضت الزواج منها. كانت عمشاء. وكان لديها شامة تحت أذنها. وكل ما كانت تملكه من مهر خمسة عشر جنيها. لم أكن لأتزوجها...
لم أكن لأتزوج . لقد طلب يدي...
يا ربي! ولم أكن لأتزوج أيضا. طلبني مرتين.
ولا أنا. طلبني ثلاث مرات. وحق بلوط هذا التابوت فعلها. وقد فشل تقريبا في الحصول على أي زوجة مطلقا. كانت لتتزوج منه عن طيب خاطر، عندما تركها ، لكنه لم يذهب ليطلبها...
ويحي! أم الأكاذيب! شمطاء البطاطس المحروقة...
بأمانة يا . لم يكن المكان جيدا بما فيه الكفاية مطلقا. كان من المستحيل فعلا أن أسمح لابنتي بالذهاب إلى هناك بمهرها البالغ ستون جنيها، لولا أنه لم يكن أمامي خيار في الموضوع. كنت دائما ممسوسة بذلك الخط الرومانتيكي ولم أستطع أن أدع المسائل الدنيوية الدونية تمثل عقبة كؤودا أمام حبهما المجهض.
بأمانة، لولا ذلك يا ، أكنتِ تظنين أني سأسمح لابنتي ومهرها البالغ ستون جنيها أن تذهب وتعيش في كوخ الحقير الأقرب إلى السجن؟...
أنت يا رغوة الخراء الثرثارة! انت يا زبالة يا كذا وكذا! لا تصدقوها! لا تصدقوا كلمة! ! يا ! هل تسمعين ما تقوله ؟ الكاذبة القذرة؟... سأنفجر!

٥

... هل تعتقد أنها حرب الاثنين الأجنبيين؟
أعطاني القاتل زجاجة فاسدة...
شربت اثنين وأربعين قدحا، ولا قطرة أقل، عندما كنت أربط ...
أتذكر ذلك جيدا. فقد التوى كاحلي....
الكلـ-لب يشرب [44]*Qu'est-ce que c'est qu'* *الكلـ-لب؟*
... *'Qu'est-ce que c'est qu* *الكلـ-لب*؟ كلـ-لب. كلـ-لب.
هاو هاو! هاو هاو!
[45]Un chien, n'est-ce pas? كلـ-لب. هاو هاو. كلـ-لب.
كلب! كلب! كلب! أيها المأفون!
الكلب يشرب. [46]*Le chien boit, n'est-ce pas?* *الكلب يشرب.* لكن لا!
الكلـ-لب يبكي.
وكأن الكلاب تبكي طوال الوقت أيها المأفون! ربما كان يعوي، أو ينبح، أو حتى يشرب. لكنه لم يكن يبكي. يبكي! لم أر قط كلبا يبكي.
الكلـ-لب يبكي.
الكلب يعوي. الكلب يعوي.
الكلـ-لب يبكي. *يبكي: يـ، بـ، كـ، ي*! *يبكي.* *Ces sont les mots qui se [47]*trouvent dans monlivre*. *الكلـ-لب يبكي.* [48]*Pas* *يشرب.*
طيب، إذا كان يبكي دعه يبكي بعيدا. لا نستطيع أن نفعل شيئا بشأن هذا، ولا بشأن العبيط الذي وضعها في كتاب. ربما ذهب الكلب ليشرب وبعد ذلك بدأ يبكي على ما ناله من أثر السكرة وعلى جيوبه الخاوية...
[49]*Je ne comprends pas. Aprés quelques leçons peut-être* ... *القطة البيضاء على الحصيرة.* *قطة*: [50]*qu'est-ce qu'il veut dire*? *قطة*؟ *قطة*؟
مياو! مياو!
مياو! مياو! [51]*Chat! N'est-ce pas? Chat.*
نعم، وماذا أيضا؟
الحصـ-صيرة صغـ-غيرة. القبـ-بعة طويـ-يلة. القبـ-بعة طويلة فوق رأس . ال...
أنت كاذب! لم أملك قط قبعة طويلة. ولا يمكنك حتى أن تقول إنني كان لدي واحدة قصيرة! هل تظن أني مطران أو شيء من هذا القبيل؟
[52]*Je ne comprends pas*. *بول عجوز...*
أنت كاذب. كنت شابا إلى درجة كافية. كنت لأكمل الثامنة والعشرين فقط في العيد التالي للقديسين .
Je ne comprends pas. *بول يشرب.*
لا يشرب الآن، لأنه لا يملك الفرصة، لكنه شرب كل ما كان لديه قبل ذاك، ولم

يكن ذاك كثيرا.
.Je ne comprends pas
!Au revoir! Au revoir! De grâce! De grâce . . .
أبدا لن يتعلم كلمة آيرلندية واحدة.
ومع ذلك، لن يستغرق وقتا طويلا حتى يلتقطها. كان يقيم معنا متعلم للآيرلندية في العام الذي مت فيه. لم يكن يفقه كلمة واحدة على الإطلاق، لكنه كان يتعلم من هذه الكتب الصغيرة مثل صاحبك هناك. كان يدخل المطبخ كل صباح قبل استيقاظي بساعة ويقلب البيت كله رأسا على عقب: *هذا قط. هذا جوال. القط على الجوال. هذا كلب. هذا كرسي. الكلب على الكرسي.* كان هذا حديثه الهرائي طوال اليوم. أصاب أمي بالخبل حتى أنها كانت تقول لي: *لخاطر الله يا ، خذ هذا الرجل معك إلى الحقل.* كنت أجز حشائش مرج قرب الدرب الهابط إلى الشاطئ وقتها. أخذته معي. وصلنا هناك تقريبا عندما حان وقت العودة لتناول العشاء؛ لأنه كان يقرأ الدرس لكل من قابلناه في الطريق.
عدنا بعد العشاء. وبدأت أعطيه كلمات صغيرة مثل *منجل*، *عشب*، *سور*، *ديك*.. كلمات صغيرة كهذه. كان اليوم شديد القيظ، وكان هو يواجه صعوبة كبيرة في ضبط لسانه مع الكلمات. تناثر من فمه رذاذ ثقيل. وسألني كيف أقول *قدح* بالآيرلندية. قلت: *بيونتا..*
قال: *بيونتا* وأومأ إليّ... ذهبنا نحن الاثنان عن طريق الشاطئ إلى حانة . اشترى لي قدحين. وعدنا إلى الحقل. أعطيته كلمة أخرى. قال: *بيونتا..* قلت: *بيونتا..* وذهبنا إلى الحانة مرة أخرى. واشترينا قدحين آخرين. عدنا إلى الحقل من جديد. أعطيته كلمة أخرى. ذهبنا مرة أخرى. وعدنا مرة أخرى. ذهبنا وعدنا هكذا طوال اليوم. أنا أعطيه كلمة مقابل كل قدح، وهو يعطيني قدحا مقابل كل كلمة...
... سقطت من فوق كومة شعير في الحقيقة.
... هل تظن أني تربيت في حقل كرنب، ولم أذهب قط إلى السينما؟...
شخص عجوز مثلك؟
شخص عجوز مثلي؟ لم أكن عجوزا دائما، أتعرف!
إنها جميلة فعلا. رأيت أشياء جميلة في السينما. بيوت مثل بيت الإيرل...
رأيت صليبا جميلا فيها، وأظن أنه كان مصنوعا من رخام كونيمارا....
رأيت الكثير من النساء ذوات البنطلون...
والنساء السوداوات...
والمثقفين والملاهي الليلية وأرصفة الموانئ وسفنا شراعية طويلة وبحارة لهم بشرات من كل الألوان. بأمانة...
والبائس الحقير الغريب...
ونساء بابتسامات حلوة خبيثة، مثل عندما كانت تأبى أن تبيعك السجائر...
ونساء بمقاصد مراوغة، مثل ابنة ، وهي تنتظر وراء الباب لتلعب لعبة المخبأ

على زبون مسكين غافل...
كنت لترى مهورا كبيرة جيدة، صدقني...
ومباريات كرة قدم. لكن أقسم بالله أن كان سيصنع سلاطة من مدافعي أي من هؤلاء اللاعبين...
لم تكن لترى أي طحالب منجرفة على الإطلاق في السينما...
أو اثنين يسقفان الجانبين المتقابلين لبيت...
أو نبتات قراص مثل تلك التي كانت موجودة في قرية دوناه...
أو تلال موبوءة بالبراغيث مثل تلك الموجودة في قريتكم...
عن نفسي كنت أفضل على أي ممثلة أخرى. لو نلت فرصة أخرى للحياة ستكون أمنيتي الوحيدة أن أراها مرة أخرى. أظن أنها ستكون امرأة رائعة في التعامل مع أي مُهر. كنا أنا والفتى في برايت سيتي قبل ليلة من السوق. شربنا بضعة أقداح. قلت: *هذا يكفي الآن، لو أسرفنا في الشرب سنتسبب ببساطة في خرق ثمن المُهر.* فقال: *مازال الوقت مبكرا على الذهاب إلى النوم، هيا نذهب إلى السينما.* قلت: *لم أذهب قط إلى السينما.* فقال: *وما الضرر؟ سيُعرض فيلم الليلة.* قلت: *في هذه الحالة سأذهب.*
ودخلنا. ظهرت امرأة. امرأة كبيرة جيدة، صدقني، وبدأت تبتسم لي. فبدأت أبتسم بدوري لها. قلت: *أهذه هي؟* فقال الفتى: *يا ربي! ليست هي على الإطلاق!* وسرعان ما جاءت امرأة مدكوكة جيدة أخرى. وضعت يدها على وركها. ومالت بجسدها إلى جانب وبدأت تبتسم لنا جميعا. فبدأنا نبتسم لها بدورنا جميعا.
قال الفتى: *تلك هي الآن..*
قلت: *انظر إلى هذا! أظن أنها ستكون امرأة رائعة في التعامل مع أي مُهر. بمجرد أن ينتهي الإسطبل لا يمكن لفتى مثلك أن يفعل شيئا أفضل من أن يجد امرأة لها ردف صغير شاب. لكني لا أنصحك أن يكون لك علاقة بواحدة من أمثالها. صحيح أنها ستكون رائعة في التعامل مع المُهر، لكن...*
قال الفتى: *لكن ماذا؟!*
عندئذ أتى رجل قصير متين، يشبه ذلك الرجل الأكرش صياد الدجاج الذي يزور ، وتحدث إلى المرأتين. وبدأ يلوح بيديه في الهواء بطريقة مجنونة. ثم أتى رجل قصير مدكوك آخر. صورة طبق الأصل من ذلك السيد الذي يأتي لصيد السمك في أرض – . قالت شيئا له. في الحقيقة أخبرني الفتى بما قالته، لكن لا أستطيع تذكره الآن بأي شكل من الأشكال...
انتفخت أوداج الرجل القصير المدكوك كأن في فمه بالونا ووضع راحتيّ يديه على ضلوعه. كان سمينا جدا ومنقطع الأنفاس. أظن أنه كان رجلا بقلب عليل، فليكن الله في عوننا!...
... مرة واحدة فقط يا . لم أذهب إلى السينما إلا مرة واحدة في حياتي. أود أن أذهب مرة أخرى أكثر مما أود أن أعرف أي نوع من الحياة مدخرة لي. كان ذلك

عندما ولدت ابنتي المتزوجة في برايت سيتي طفلا. قضيت أسبوعا هناك أعتني بها. كانت في مرحلة النقاهة عندئذ. وذات مساء جاء زوجها من العمل. تناول عشاءه، وارتدى ملابسه.
قال: *هل ذهبت إلى السينما من قبل يا ؟*
قلت: *وما هي السينما؟*
قال: *إنها كل أنواع المناظر تُعرض في مكان هناك..*
قلت: *في الكنيسة؟*
قال: *إطلاقا، الصور المتحركة.*
صور يسوع المسيح ومريم العذراء والقديس باتريك والقديس جوزيف؟ قال: *إطلاقا. بلاد أجنبية وحيوانات برية وأشخاص عجيبون.* قلت: *بلاد أجنبية وحيوانات برية وأشخاص عجيبون! أقسم بروحي ألا أقترب منها على الإطلاق. أتعرف؟ فلينجنا الله من كل سوء!...*
قال لي وهو يضحك عليّ ضحكا هيستيريا: *لديك عقلية قروي. إنها مجرد صور. لا تستطيع أن تمسك بسوء.* فقلت: *حيوانات برية وأشخاص عجيبون، من يعلم ما قد يحدث؟*
قال: *سيكون هناك فيلم عن أمريكا الليلة.*
قلت: *أمريكا؟ أتساءل إن كان يمكن أن أرى عزيزتيّ -ليكن الله معهما!- ...*
قال: *سترين أناسا يشبهونهن، سترين أمريكا.*
وبالطبع رأيتها. لم أشهد قط عجائب مثل هذه! من المؤسف أني لا أستطيع أن أصفها! تلك النار الحقيرة دمرت لي ذاكرتي تماما! لكن يمكنني أن أؤكد لك يا ، كان كل شيء واضحا لي كما لو أني كنت هناك إلى جوارهم. كانت هناك امرأة عجوز تنظف الباب بقطعة قماش، وعلى وجهها عبوس مثل عبوس وجه عندما كانت ترى يمران بها في طريق صعودهما إلى البيت من السوق...
يا ربي!
وكانت هناك حجرة فسيحة جميلة يا ، بها مائدة مستديرة مثل تلك التي أعطيت الجنيه كي تشتريها، الجنيه الذي لم تسدده قط...
تلك كذبة لعينة...
وفوقها كان هناك إناء شاي فضي مثل ذلك الذي لدى . وفتح الباب رجل بملابس سوداء لها أزرار ذهبية. ظننت أنه ، حتى تذكرت أنهم في أمريكا. ثم دخل رجل آخر يرتدي ما يشبه قبعة البوسطجي، وبدأ هو ورجل البيت يجادلان. أمسك الرجل ذو الأزرار الذهبية وهذا الرجل برجل البيت وألقيا به من فوق السلالم. ظننت أنه سيتحول إلى كومة من العظام لأن السلم كان يتكون من ثلاث أو أربع مجموعات. ثم ألقيا به خارج الباب على أم رأسه وكاد أن يقلب المرأة العجوز على وجهها. بأمانة الله يا ، شعرت بالأسف من أجلها. كان رأسها يدور من الخوف.
ثم نظر رجل البيت وراءه ولوح بقبضته في وجه الرجل الذِي ألقيِ به. ظننت أنه

-نفس الأنف الصغير كالزر والعينين الضيقتين كالخرز- وأن من ألقى به خارجا هو ، حتى تذكرت أنهم في أمريكا. وأدركت أنه حتى لو كان في أمريكا فلا مجال لأن يكون هناك لأن عليه أن يسلم البريد كل يوم...
الخسيس! الفاجر! ال...
هذا الرجل الذي كنت لتحسبيه صعد السلالم من جديد إلى الحجرة، وهناك كانت امرأة ترتدي ثيابا سوداء ذات نقوش من الورد.
قلت لنفسي: *تلك هي ، إن لم أكن أحلم.* لكن عندئذ تذكرت أنهم كانوا في أمريكا وأن كانت تعمل بالمدرسة في الديار قبل ذلك ببضعة أيام...
المومس...
De grâce، يا ... والآن يا ...
فتح الرجل ذو الأزرار الذهبية الباب مرة أخرى. دخلت امرأة أخرى لديها أنف صغير كالزر ومعطف من الفراء بالضبط مثل ذلك الذي كانت ترتديه عندما عادت إلى الوطن من أمريكا، حتى اضطرت للتخلص منه بسبب كل لطخات السخام في بيت ...
تلك كذبة لعينة، أيتها العاهرة...
آه! فيلم مذهل يا ! بأمانة! كانت فيه إثارة وذعر. فقط لو رأيتِ ذلك الجزء الذي قالت فيه لمسز : *عزيزتي، لا فائدة من الاستمرار في الجدال حول الأمر. أنا متزوجان. تزوجنا في مكتب التسجيل في الجادة السادسة هذا الصباح. بالطبع، يا عزيزتي، مازال هناك...*
وهزت كتفيها بانتصار. آه! من المؤسف للغاية أنك لم تري وجه مسز يا عندما تُركت عاجزة عن النطق تماما. لم أستطع تجنب التفكير -إذا أمكن السماح بالمقارنة الثقافية- فيما قالته : *سنترك لك يا .*
أيتها العاهرة الجربانة! يا كذا وكذا... ! يا ! أتسمعيني؟ أتسمعين أم قمل، ؟ سأنفجر! سأنفجر!...

٦

وهكذا كسبت قضيتها ضد سائق الشاحنة! رغم أن ابنها كان على الجانب الخطأ من الطريق. بالتأكيد لم يكن قاضيا شديد الذكاء. كانت تلك العاهرة مخطئة عندما قالت إن القانون سيجردها من آخر قرش لديها. وحصلت على ثمانمائة جنيه بعد كل هذا! القس، ومن غيره؟ وكان لدى العاهرة الشجاعة كي تذهب وتعرض تلاوة قداسات على روحي...
هناك طريق يُمد صاعدا إلى بيتها. طريق لم يكن من الممكن أن يُمد لو لم يكن ابني ساذجا هكذا. إنها تتلاعب به الآن، بالضبط مثلما تلاعبت وإنجيل القديس يوحنا. لو كنت حية...
ولا ظل كلمة عن الصليب الآن. وما قاله ذلك البائس القبيح: *تلك العجوز الشكسة لا تستحق صليبا.* ألا يخشى الله أو مريم العذراء! وهو تقريبا في المائة

من عمره! عسى ألا تنفعه زيارته لدبلن!...
لقد نسوا أمري فوق الأرض. هكذا تسير الأمور، ليكن الله في عوننا! ظننت أن لن يخلف وعده. هذا إذا كان ذلك الشاب قد سمع القصة على نحو صحيح؟ ربما لم يسمعها. كان متلهفا أكثر من اللازم على الذهاب إلى إنجلترا...
فقط لو علم ابني كيف أعامَل في طين المقابر! أنا أشبه بأرنبة حاصرتها كلاب الصيد. خانني وسلخني ، ، ، وجميعهم. وأنا أحاول الصمود أمامهم وحدي تماما. ولا روح واحدة تقف معي. لن أتمكن من تحمل هذا. سأنفجر...
تلك الكلبة، ، تحرضهم جميعا...
لقد تغيرت ابنتها تماما. كنت واثقة من حضورها إلى هنا منذ زمن بعيد. إنها امرأة عظيمة. أنا سعيدة الآن لأن تزوجها. يجب أن أقول الحقيقة. أنا سعيدة بالفعل. قد أغفر كل شيء فعلته هي وأمها في حقي، مقابل إلقائها على ظهرها في النار، وجذب كل خصلة شعر وكل قطعة جلد وكل سلخة ملابس عن ابنة . كسرت المزهرية. وقلبت الممخضة التي كانت وابنة تصنعان الزبد فيها. قفزت فوق دفعة من الكتاكيت على الأرض. أمسكت بإناء الشاي الفضي الذي كانت تستعرض به فوق خزانة المطبخ وجعلت منه فطيرة على الحائط. وألقت بساعة الحائط التي أعطتها للعاهرة من النافذة. هذا ما قاله الشاب...
إنها امرأة عظيمة. أتمنى لو لم أكن قاسية هكذا عليها. أن تلقي على ظهرها في النار! ذلك شيء لم أملك قط الشجاعة على فعله...
وقد تركت مرضها خلفها الآن. تربي الدجاج والخنازير والعجول. لو عاشت ستكسب أموالا...
لكن أن تلقي على ظهرها في النار! طال رأسها ذا الشعر الأشقر الحرق. نسيت أن أسأل الفتى إن كان شعرها الأشقر قد احترق. كنت لأتنازل عن كل شيء تمنيته مقابل أن أراها تلقي في النار. من المؤسف أني لم أكن حية!
كنت لأصافحها، أقبّلها، أربت على ظهرها، أرسل لشراء واحدة من الزجاجات الذهبية في واجهة حانة ، نشرب في نخب إحدانا الأخرى، أعرض صلاة على روح أمها وأحرص على أن تُعمَّد طفلتها التالية باسم . لكن ما خطبي؟ هناك بالفعل!
أقسم بروحي أن أنادي ، وأخبرها بما فعلته ابنتها وكيف أنها تعمل بجد الآن، وسأخبرها أني سعيدة بزواجها من ابني...
لكن ماذا ستقول وبقيتهم؟ أني اعتدت سبها، أني اعتدت أن أدعوها بالعاهرة ، أني لم أصوت لها في الانتخابات...
سيقولون هذا. سيقولون أيضا -وهذا صحيح بالنسبة لهم- إنها قالت عني أكاذيب: أنها قالت إني سرقت ، أن ابنتها كان لديها مائة وعشرون جنيها مهرا...
لكن دعهم يقولون. سأغفر لها أي شيء بسبب إلقاء ابنتها على ظهرها في النار...
... مرحى يا ... العزيزة... أنا ... ... العزيزة... هل سمعتِ الأخبار من الأرض بالأعلى؟ عن ابنتك...

ما هذا يا ؟ ماذا قلتِ؟ يا ربنا الرحيم بالأعالي! أنك لا وقت لديك لسماع الهراء السخيف من العالم بالأعلى!... لم تكن لديك مشكلة في التورط في سخافة الانتخابات، وكل ما حصلت عليه في المقابل هو أن تنغمسي أكثر في الطين! بالله!... لن تنزعجي من الاستماع إلى قصتي... عن أمور سخيفة! ستقضين وقتك من الآن فصاعدا في... في... في... ماذا قلتِ؟... في الثقافة... لا تملكين وقتا لسماع قصتي لأنها لا علاقة لها بـ... بالثقافة. يا ابن الرب المقدس في هذه الليلة! ... من جورت ريبوك تتحدث عن... عن الثقافة...
هلا تكررين هذه الجملة بالإنجليزية، حيث من النادر أن تسمع الإنجليزية في جورت ريبوك كما من النادر أن تجدي قطة بسرج. قوليها مرة أخرى...
Art is long and Time is fleeting[53]*
Fleet! Fleet! الأسطول هو الخرزة الكبيرة في مسبحتك. الأسطول والبحارة. آه! يا الليلة، لا بد أني لا أملك أي احترام لنفسي لتفكيري في الحديث إليك أصلا، أنت يا كذا وكذا...

38 عمود نيلسون، فجره فصيل جمهوري آيرلندي عام ١٩٦٦. *من هوامش الترجمة إلى الإنجليزية *
39 نسخة مشوهة وتحمل طابع المحاكاة الساخرة لنسخة واسعة الانتشار من حكاية فلكلورية عن أوليفر كروميل. *من هوامش الترجمة إلى الإنجليزية *
40 واحد من أكثر موجات الجزر انخفاضا والتي تحدث مرة كل أسبوعين، لتكشف مساحة واسعة من الشاطئ. *من هوامش الترجمة إلى الإنجليزية *
41 طحالب بحرية طافية تجلبها الريح إلى الشاطئ. *من هوامش الترجمة إلى الإنجليزية *
42 كان من الممكن ادعاء الحق في الطحالب أو الأخشاب أو أي أشياء أخرى يلقي بها البحر على الشاطئ بربط خيط حولها أو وضع حجر عليها. *من هوامش الترجمة إلى الإنجليزية *
43 قوة غير منضبطة من الجنود البريطانيين، سموا كذلك بسبب أزيائهم العسكرية المختلطة، قامت بترويع أجزاء من آيرلندا خلال حرب الاستقلال. *من هوامش الترجمة إلى الإنجليزية *
44 ما هذا؟
45 كلب، أليس كذلك؟
46 الكلب يشرب، أليس كذلك؟
47 هذه هي الكلمات الموجودة في كتابي.
48 وليس.
49 لا أفهم. ربما بعد بضعة دروس.
50 ماذا يريد أن يقول؟
51 قط! أليس كذلك؟ قط.
52 لا أفهم.
53 الفن طريقه طويل والوقت ينفلت سريعا. تلعب كاترينا في الجملة التالية على كلمة fleet التي تعني يفر ويهرب بسرعة وفي نفس الوقت تعني الأسطول.

الفاصلة السادسة
الطين المعجون
١
أنا نفير المقبرة! فليُسمع صوتي! لا بد أن يُسمع... هنا في المقبرة رجل الشرطة المستبد هو الظلام. عصاته هي العتمة التي تكسرها ابتسامة الفتاة العذبة. ومزلاجه هو مزلاج انعدام الإدراك الذي لن يزحزحه بريق الذهب ولا معسول الكلام من السلطة. عينه هي ظل البلوى التي تقطع الطريق عبر الغابة. وحكمه هو الحكم القاسي الذي لن يعيقه سيف فارس في الجيش عند لحظة الموت.
فوق الأرض يرتدي الضياء لباس البسالة. يرتدي عباءة من نور الشمس بأزرار من زهور، وحاشية من أغنيات البحر، وغرز من شدو الطير، وشراشيب من أجنحة الفراشات، وحزام من نجوم درب اللبانة. درعه مصنوع من طرحات العرائس. سيف نوره مصنوع من لعب الأطفال. مكافأة بسالته هي ساق الذرة التي تنضج عند الأكواز، والسحابة المخصبة بشمس الصباح العذراء، والبنت الجميلة التي تلتمع عيناها بحلم الحب الشاب...
لكن العصارة تجف في الشجرة. وصوت عصفور السمنة الذهبي يتحول إلى صوت نحاسي. تذبل الوردة. والصدأ الأسود الذي يثلم ويصيب بالعفن والتحلل يضرب نصل سيف الفارس.
يتغلب الظلام على الضياء. تطالب أرض المقابر بمستحقاتها... أنا نفير المقبرة. فليُسمع صوتي! لا بد أن يُسمع...
٢
مَن هنا الآن؟... ، لا شك! لقد حان وقت مجيئك! أنا هنا منذ وقت طويل وكنت في نفس عمرك... نعم، إنها أنا، نفس المرأة، ...
تقول لي إنك عانيت من قرح الفراش...
آه يا عزيزتي، كان الفراش صلبا جدا. صلب فعلا على مؤخرتي المسكينة يا . امتلأ ظهري تماما بالقروح. لم تبق قطعة من الجلد على فخذيّ وكان لديّ إصابة قديمة في أعلى فخذيّ. لا عجب في ذلك يا ، بعد أن ظللت طريح الفراش طوال تسعة شهور. لم يكن بمقدوري أن أتقلب أو أنثني. اعتاد ابني أن يأتي يا ويقلبني على فخذي الآخر. كنت أقول: *لا أستطيع أن أفرد جسدي بشكل صحيح.* وكنت أقول: *لقد مر وقت طويل وأنا طريح الفراش.* وكان يقول: *الرقدة الطويلة إشارة قلما كذبت إلى الرقدة الأبدية..* آه يا يا عزيزتي، كان الفراش صلبا جدا على مؤخرتي المسكينة...
مؤخرتك كانت قادرة على تحمل ذلك جيدا يا . كان لديك فائض منها... إذا كنت عانيت من قرح الفراش فهذا أفضل لك حتى تعتاد على الألواح هنا... قلت .

مازالت فوق الأرض. نحن أفضل حالا هنا بدونها. لست راغبة في التحقير منها، لكنها كانت ذات منظر قبيح فوق الأرض ولا أعتقد أن هذا المكان سيحسن منظرها كثيرا كذلك... تقول إنك كنتما تتنافسان لتريا من سيعيش منكما أطول من الآخر؟ نعم، بالفعل نعم. هكذا تسير الأمور يا ... ودفنتك قبلها! هذه الأشياء لا يمكن تجنبها يا العزيز. فليلاحقها الحظ السيء على أي حال، لكن ألم تعش طويلا هذه المرأة؟ كان ينبغي لها أن تموت منذ زمن طويل، لو كانت تملك ذرة من حياء... هذا صحيح يا ، من المدهش للغاية أنها لم تُصب بقروح الفراش، فقد كانت مغرمة للغاية بالفراش. كانت مريضة في كل يوم من حياتها باستثناء أيام الجنازات. أما بقية الأيام كلها فكان صوتها غليظا بسبب البرد. لكن صوتها لم يكن يعاني من أي مشكلة في أي جنازة. وكانت تقول بعد الجنازة: *لولا أن صوتي مبحوح لقمت بالنواح عليه...* السليطة الوقحة! مازالت تقبض المعاش وتسحب القروش وتكنزها في مئزر زوجة ابنها. أقول لك إنها طالما مستمرة في غرف المال داخل المئزر، لن تدعها زوجة ابنها تصاب بأي قروح فراش. سيدهنون هذه الأفخاذ والأوراك بالزبد... تقول إنها لا تنوح على أحد الآن! يالها من ثرثارة!... راقد في الفراش أيضا. شخص آخر... تقول إن الكوخ لم يسقط فوق بعد...مستحيل! اشترت له منضدة... وخزانة... وسريرا. سرير أيضا! مستحيل أن تشتري سريرا لأحد لولا ما حصلت عليه من مال حرام. آه، ذلك القاضي كان غبيا... كانت تخشى عليه من الإصابة بقروح الفراش في سريره القديم! بل تخشى ألا تضع يدها على أرضه يا يا ...
تقول ؟ هذا الرجل لن يموت حتى يُصب فوقه برطمان من البارافين ويلقى عليه عود كبريت. هذه هي الحقيقة يا . هذا البائس القبيح لن يصاب بقروح الفراش... سيموت ميتة مباغتة. صدقني، بغتة بالفعل. عسى أن تستقر كومة عظامه بعيدا عنا هنا!...
ماذا؟... مرض عضال آخر في لووير هيلسايد! هذا ليس جديدا عليهم، وأنا لا أرغب في التحقير من شأنهم. سيكونون عونا كبيرا لهذه المقابر، بالفعل! سيسمنونها ويصمون آذاننا...
أختى مريضة في أمريكا! يا خبر!... ماذا تقصد؟ تعتقد أن لديها قروح فراش أيضا يا ! لديها فخذان سمينان ومؤخرة أكبر من مؤخرتك مرتين. ويمكنها تحمل كلفة الإبقاء على فراش ناعم تحتها، على عكسك يا يا ... فليكن لديك أوقية من عقل أيها الرجل الطيب... أتظن لأنك شعرت بصلابة فراشك القديم أن كل فراش صلب؟... فلينعم الله عليك بالعقل، هناك أسرَّة ناعمة في أمريكا لأي شخص لديه مال... ألم تسمع إن كانت قد كتبت رسالة للديار؟ ألم تسمع إن كانت جلست مع القس مؤخرا؟... لا شك في ذلك يا . ستبتلع الوصية، بأي وسيلة... القس يكتب لها؟ ومن غيره!
بالطبع، ليس هناك فائدة من أن يكتب المعلم لأمثالنا... لا يعرف شيئا يا ! أنت محق في هذا. كل شيء على ما يرام طالما أنه لا يثرثر مع القس عنه... تِقول إن

القس والمعلم كثيرا ما يتمشيان معا... والطريق الجديد الصاعد إلى أرض قد انتهى تقريبا. آه، ألم يكن ابني ذلك الأحمق الصغير بائسا عندما تركها تأخذ حقل تل فلاجستون؟!...
تتحدث عن بناء بيت بسطح من الإردواز! بسطح من الإردواز! عسى ألا تعش لتتمتع ببيتها المبني بسطح من الإردواز، تلك العاهرة المغرورة! إلا إذا كانت حصلت على بعض من الوصية بالفعل؟ هؤلاء الناس في بحيرة ديري حصلوا على حصة من المال قبل أن يموت أخوهم أصلا... لكنها بالطبع حصلت على المال من المحكمة. وبالتأكيد ستُدفن الآن في مقبرة الجنيه...
مازال مريضا. ذلك الرجل المسكين! آه، ألم تلعب وتلك الخرقاء الهزيلة ابنة لعبة حقيرة عليه باستخدام إنجيل القديس يوحنا! ألم تسمع عن إنجيل القديس يوحنا! بالطبع لم تسمع! أتظن أنهم سيخبرونك بأمره؟!...
زوجة تستيقظ مع آذان الديك كل صباح! هذا خير لها!... هل قلت إن عجولا كثيرة تملأ أرض ؟... تولت الزوجة كل الأمور من ! تقوم بالبيع والشراء بنفسها الآن. انظر إلى تغير الأحوال! وأنا التي أظن أنها ستكون هنا في أي يوم! ولا تعرف شيئا عن أي طفل قادم بالطبع؟... كان لديك في ذهنك ما يكفيك. قروح الفراش... من السهل معرفة أنك جديد هنا يا ، من طريقتك تلك في الحديث. ألا تعرف أن كل امرء يجب أن يكون لديه سبب ما للموت، وقروح الفراش ليست أسوأ من أي سبب آخر.
مستحيل! سمعت أن خطط إقامة صليبي قد جرى التخلي عنها!... هل هذا ما سمعته؟... لكن يا ، لعل هذا ليس ما سمعته، والتقطت القصة على نحو خاطئ بسبب قروح فراشك... سمعت أنه جرى التخلي عنها... أن كانت تتحدث مع عن الصليب... لا تعرف، خشية الكذب، ما قالته له. والآن يا دعك من *خشية الكذب*. *خشية الكذب!* لن تخشى الكذب بشأنك لو ناسبها هذا...
فليعصف الله بك وبفراشك القديم! لن ترى ذلك الفراش مرة أخرى بعد الآن. قل قصتك مباشرة. لا تعرف كيف سارت القصة! كان لديك قروح الفراش! اسمعني هنا لحظة الآن. ربما قالت شيئا كهذا ابني: *صدقني يا عزيزي ، لديك من الهموم ما يكفيك دون هم الصليب...* آه، ابنة هي من قالت هذا! زوجة قالت هذا!... *يجب أن نكون شديدي الثراء في هذا العالم حتى نبدأ في شراء الصلبان... هناك أشخاص كثيرون مثلها دون صلبان... ينبغي أن تكون ممتنة لأنها دُفنت في مقبرة أصلا بينما الحال هكذا في هذه الأيام.* تقولها! سليلة متسخي الأقدام! لكنها تعلمت كل هذا من . عسى ألا تأتي أي جثة إلى المقبرة قبلها!... لن يهتم بهما إطلاقا...
ابنة في البيت... في البيت! هل أنت متأكد أنها ليست في أجازة من المدرسة؟... فشلت في الدراسة. فشلت!... لن تكون معلمة على الإطلاق... آه، اللعنة عليها! اللعنة عليها!...
حفيد من جورت ريبوك رحل... على سفينة انطلقت من برايت سيتي... حصل

على عمل على سطح السفينة... إنه يسير على هدي جدته إن كان مغرما بالبحارة...
قلها مرة أخرى... قلها مرة أخرى... حفيد سيصبح قسا. ابن ابنة سيصبح قسا! قس! ذلك الوغد الضئيل المغرور سيصبح قسا... ذهب إلى معهد اللاهوت... ارتدى رداء الكاهن في البيت... ووضع الياقة... وكتاب صلوات كبير ضخم هائل تحت إبطه. يقرأ وِرده رائحا غاديا في الطريق الجديد عند تل فلاجستون! وتظن أنه لن يصبح قسا على الفور هكذا... آه، إنه ليس قسا بعد، إنه فقط يذهب إلى المعهد. لن يجعلوا منه قسا أبدا يا يا ...
نعم، ماذا قال ؟... لا تهمهم بكلماتك بل قلها بصوت عال... تقول إنك لا تريد! لا تريد... لأن صهري! ليس صهري. بل هو صهر أختي المغرورة. قل... *ابنتي لديها مال تنفقه على تربية القساوسة.* *تنفقه على القساوسة.* البائس الحقير!... قلها واذهب إلى الجحيم! أسرع وإلا حملوك بعيدا معهم مرة أخرى. بالطبع لا تظن أني سأدعك تظل في هذا القبر، رجل موبوء بقروح الفراش طوال الشهور التسعة الماضية... *على عكس ابن ...* قل بقية الكلام يا ... *الذي لم يملك ما يكفي لوضع خرقة صغيرة من زي المعهد الموحد على جسد ابنته...* الحقير! آه يا الحقير!...
ليسلخك الشيطان! ها أنت تهمهم من جديد. تغني *إليانور ذات الأسرار* صاعدة الطريق الجديد كل يوم! غُر في داهية يا مجدور الوجه والمؤخرة. قلما جلبت أخبارا طيبة أنت أو عائلتك كلها...

٣

هل تظن أن هذه حرب الاثنين الأجنبيين؟...
كنت أعطي متعلم الآيرلندية المتحمس كلمة مقابل كل قدح، وكان يعطيني قدحا مقابل كل كلمة...
ذهبنا وعدنا مرة أخرى في اليوم التالي. في اليوم الثالث أحضر عربة ليريح مؤخرته فيها. كانت رحلة الذهاب والعودة تتعبنا.
قالت أمي لي ذلك المساء: *عزيزي ، ينبغي أن يكون الشعير قد جف الآن.*
قلت: *الله! كيف يمكن أن يجف يا أمي العزيزة؟ من المستحيل أن يجف ذلك الشعير العجوز...*
ظلت أسبوعين على هذا الحال قبل أن أنجح في صنع بضعة أكوام من الشعير. ثم نثرتها من جديد، ثم كومتها، ثم نثرتها مرة أخرى، وقلبتها رأسا على عقب.
كان هذا هو الحال عندما جاء ذلك الوابل المفاجئ من المطر، وكنا نحن الاثنان في حانة . اضطررت إلى نثرها كلها من جديد وتعريضها لمزيد من الشمس. ثم نظفت المصارف، وهدمت الأسوار الحجرية وبنيتها من جديد. قطعت حواف العشب والسرخس والعوسج. شققت الجداول. قضينا ما يقرب من شهر في الحقل معا، غير أننا كنا نذهب ونجيء من حانة في السيارة.
لم أرَ قط رجلا ألطف منه. ولم يكن غبيا أيضا. كان يتلقى مني ما بين عشرين إلى ثلاثين كلمة آيرلندية كل يوم. كان لديه الكثير من النقود. منصب رفيع مع الحكومة...
لكن ذات يوم، عندما ذهب بدوني، أخذته ابنة إلى القاعة الداخلية وخدعته...
افتقدته بشدة. بعد أسبوع من رحيله رقدت مريضا بتلك العلة التي قتلتني...
لكن، يا سيدتي مديرة مكتب البريد... يا سيدتي مديرة مكتب البريد.... كيف عرفتِ أنه لم يدفع أجرة سكنه؟ فتحتِ الخطاب الذي أرسلته أمي وراءه إلى الحكومة...
وكيف عرفتِ يا سيدتي مديرة مكتب البريد أن دار *آن جوم * رفضت مجموعتي الشعرية *النجوم الصفراء *؟...
في الحقيقة أنت لا تستحق أي مواساة. كانوا لينشروا لك منذ زمن بعيد لو أخذت بنصيحتي وكتبت من أسفل الصفحة إلى أعلى. لكن انظر إليّ، قصتي القصيرة *الشمس الغاربة* رُفضت من *آيريشمان *، والسيدة مديرة مكتب البريد عرفت بالأمر...
والسيدة مديرة مكتب البريد عرفت بأمر نصيحتي حول طريقة كسر فريق كيري في الخطاب الذي أرسلته له بعد يومين من مباراة نصف النهائي...
وكيف حدث يا سيدتي مديرة مكتب البريد أن عرفتِ بأمر ما قلته للقاضي حول نسل الأذن الواحدة عندما رفعت عليهم الدعوى القضائية؟
ويا سيدتي مديرة مكتبة البريد، كيف عرفت ابنتك، التي أصبحت مديرة لمكتب

البريد هي نفسها الآن، قبل أن أعرف أنا نفسي أنه لن يُسمح لي بدخول إنجلترا، وأن السل هو السبب؟...
فتحتِ خطابا أرسلته إلى المحامي عن . العالم كله يعرف ما كان فيه: *سنأخذه إلى برايت سيتي في سيارة. سنجعله يسكر. لو لديك بضع فتيات جميلات في المكتب لإثارته، فقد يوقع تنازلا عن الأرض لنا. يكون مغرما جدا بالبنات عندما يثمل...*
مستحيل!...
فتحتِ خطابات اعتادت سيدة في مكتب مراهنات في برايت سيتي أن ترسلها إلى الأستاذ الصغير. وكنت تحصلين على نصائح حول الخيول قبل أن يعلم بها هو نفسه...
فتحتِ خطابا أرسلته إلى تعرض عليه فيه الزواج...
مستحيل! مستحيل أن أتزوج التعس...
في الحقيقة يا سيدتي مديرة مكتب البريد، لم يكن لدي سبب كي أشعر بالامتنان لك. كنت تضعين الغلاية دائما على الموقد في الحجرة الخلفية. فتحتِ خطابا كتبه ابني لي من إنجلترا يخبرني فيه أنه تزوج من يهودية. عرفت البلد كلها بأمره، ونحن لم نذكر كلمة واحدة عنه. ولماذا كنا سنفعل؟...
فتحتِ خطابا كتبه ابني لي من إنجلترا يخبرني فيه أنه تزوج من امرأة سوداء. عرفت البلد كلها بأمره ونحن لم نقل عنه شيئا لأحد...
كتبت خطابا ، أنصحه فيه بنوعية الإعلان الذي ينبغي أن يرسله إلى شعب آيرلندا. أبقيتيه في مكتب البريد. كان عارا رهيبا...
كل الخطابات الغرامية التي كتبها ابن لابنتي، فتحتيها مسبقا. أنا نفسي لم أفتح واحدا منها قط دون أن أرى أين مزقتيه. بأمانة! ذكّرتني بالخطابات التي كنت أتلقاها قبل أعوام. كنت أجعل البوسطجي يسلمها في يدي. عطر أجنبي. ورق أجنبي. كتابة أجنبية. طوابع أجنبية. أختام بريد أجنبية كانت شِعرا في حد ذاتها: مارسيليا، بورسعيد، سنغافورة، هونولولو، باتافيا، سان فرانسيسكو... شمس. برتقال. بحار زرقاء. بشرات ذهبية. جزر مرجانية. عباءات مطرزة بالذهب. أسنان عاجية. شفاه كانت ملتهبة.... كنت أضمها إلى قلبي. كنت أقبّلها بشفتيّ. كنت أذرف عليها دمعة مالحة... كنت أفتحها. كنت أخرج *billet doux*[54]. وعندئذ، يا مديرة مكتب البريد، كنت أرى بصماتك الغبية الدبقة عليها. أف!
فتحتِ الخطاب الذي أرسلته إلى زوجتي في الديار، عندما كنت أعمل في جز عشب الوقود[55] في مدينة كيلدير. كان فيه تسعة جنيهات. احتفظتِ بها...
ولماذا لا أفعل؟ لماذا لم تسجلها؟...
ألا تظنون أن أقدم سكان المقبرة ينبغي أن يكون لديه شيء ليقوله؟ أطلب الإذن بالحديث. الإذن...
في الحقيقة يا سيدتي مديرة مكتب البريد، لا أجد سببا لشكرك أنت أو ابنتك أو الذي اعتاد معاونتك في الحجرة الخلفية. بعد أن عدت من لندن لم يكن هناك

خطاب جاءني من هناك لم تفتحيه. كانت هناك *affaire de Coeur* كما كانت لتقولها. حكيتِ للبلد كلها عنها. القس والأستاذة -زوجتي- علما بالأمر...
هذا افتراء يا أستاذ. لو كنت فوق الأرض لأقمت عليك دعوى قضائية...
عندما كتبت لي من أمريكا عن الوصية، تمكنت تلك الثرثارة من إخبار بما قالته:
لم أكتب وصيتي بعد. آمل ألا ألاقي حادثا مميتا، كما تخيلت أنه حدث لي في خطابك...
فتحتيه، يا ذات المؤخرة الجربانة. أخذتِ رشوة من .
إطلاقا يا . لم يكن خطاب الوصية هو الخطاب الذي فتحته إطلاقا؛ بل الخطاب الذي أرسله إليك المحامي في برايت سيتي، مهددا إياك بمقاضاتك خلال سبعة أيام إن لم تسددي لهولاند وشركاه ثمن المائدة المستديرة التي اشتريتيها قبلها بخمسة أو ستة أعوام...
مستحيل! لا تصدقوها، العاهرة الضئيلة الجربانة! ! يا !... هل سمعت ما قالته مديرة مكتب البريد؟ سأنفجر! سأنفجر...

٤

... سأحكي لك قصة الآن أيها الرجل الطيب: *كان [56] في آران عندما جاء القديس لزيارته هناك. أراد أن يأخذ الجزيرة كلها لنفسه.
قال : 'سأفتح محلا للمرهونات..'
فقال : 'صدق إذًا، لن تفتحه.. بل سأقول لك الآن بالآيرلندية الصريحة أن عليك أن ترحل.'
ثم تحدث إليه باللغة الشرعية القديمة للفين[57]. وتحدث إليه باللاتينية. وتحدث إليه باليونانية. وتحدث إليه بأصوات الرضع. وتحدث إليه بلغة الإسبرانتو. كان يعرف اللغات السبع للروح القدس. كان الشخص الوحيد الذي ترك له الحواريون الآخرون تلك الموهبة عندما ماتوا....
قال : 'تمام جدا، إذا لم ترحل، وفقا للسلطات الممنوحة لي، سنحل المشكلة هكذا. ستذهب إلى شرق آران وسأذهب إلى الطرف الغربي من الجزيرة عند بونجولا. وكل واحد منا سيتلو قداسا عند شروق الغد. بعد ذلك سنسير نحو أحدنا الآخر، وكل واحد منا يمكنه أن يمتلك مقدار الجزر التي يقطعها قبل أن نلتقي.'
قال بلغة الييديش: *اتفقنا.* تلا القداس وبعد ذلك سار نحو شرق آران، وهذا هو السبب في مقولة قديمة تقول: 'أن يأتيك من الشمال الغربي...'
لكن يا ، كان في قرية دوناه يقول إن لم يتلُ أي قداس على الإطلاق...
قال هذا! مهرطق...
ينبغي أن يحترس لما يقوله! ألم يتجلَ الله -سبحانه دائما أبدا!- هناك وقتها؟ كانت الشمس تصعد عندما كان يتلو القداس. فغربت ثانيةً، وأبقاها الله غاربة حتى سار قاطعا الجزيرة إلى شرق آران. وعندئذ رأى القديس الشمس وهي تشرق للمرة الأولى!...

قال : ’انصرف الآن وبسرعة أيها اليهودي. سأترك عليك أثر تشويه، في طريق عودتك لحائط المبكى: سأضربك بسوط خيل مثل الضربة التي أعطاها لك المسيح خارج المعبد. أليس لديك ذرة من خجل على الإطلاق! من يبالي، لكنك تبدو زلقا ودبقا وأنت تنسل بعيدا...‘
ولهذا لم يستقر أي يهودي في آران من وقتها...*
كانت الرواية التي اعتدت سماع تلك القصة يا بها من العجائز في قريتنا كالتالي:
عندما كان [58] - الكبير المعروف باسم ، المعروف باسم ، الصغير- يرتحلان في كافة أنحاء آيرلندا، محاولين هداية البلد...
الباتريكان. هذه هرطقة...
... كان يوما يا . لا تنكر ذلك...
... يا أستاذ، يا عزيزي، كان الفراش صلبا جدا. صلب جدا فعلا تحت مؤخرتي المسكينة يا أستاذ...
لزمت الفراش شهرا واحدا فقط عن نفسي يا يا ، وشعرت به صعبا بما فيه الكفاية...
امتلأ ظهري بالبثور تماما يا أستاذ. لم تكن هناك قطعة جلد على فخذيّ...
ولا قطعة واحدة يا ، أيها الرجل المسكين...
ولا قطعة واحدة فعلا يا عزيزي الأستاذ، وكان هناك جرح قديم في أعلى فخذيّ. كان الفراش...
دعنا ننسى الفراش الآن حتى وقت آخر. قل لي الآن يا يا ، كيف حال...؟
الأستاذة يا أستاذ. في ريعان الشباب، هكذا هي. تكسب مرتبها في المدرسة كل يوم يا أستاذ، وتعتني من الليل إلى الصباح. تنسل من المدرسة مرتين في اليوم لتراه، ويقولون إنها تنام قليلا جدا، المسكينة، جالسة على حافة الفراش تواليه بالأدوية...
العاهرة...
هل سمعت يا أستاذ أنها أحضرت ثلاثة أطباء من دبلن ليروه؟ وطبيبنا يأتي لزيارته كل يوم، لكني أرى يا أستاذ أن حال لا يتغير. إنه راقد الآن منذ وقت طويل حتى أنه لا بد يعاني من قروح الفراش...
فليطل رقاده ولا يهنأ براحة! لتحل عليه أمراض فلك نوح السبعة والثلاثون! فلتنسد كل صماماته وفتحة شرجه! فلتلتوِ قدماه وأمعاؤه! عسى أن تهلكه آلام المخاض! عسى أن يهلكه الوباء الأصفر! عسى أن يهلكه طاعون إليعازر! عسى أن تهلكه علل أيوب! عسى أن تهلكه حمى الخنازير! فلتتيبس مؤخرته! فليهلكه ما يصيب الماشية من عرج المستنقعات، والأورام، والدودة السلكية، وازدواج الجفون، ودوار الخيل! فليهلك منسحقا انسحاق ابنة ! فتلهلكه أمراض الشيخوخة التي أصابت الإلهة ! فليحل عليه العمى فلا يرى نورا، وعمى فوق ذلك! فلتهلكه حكة نساء النبي! عسى أن يصاب بتورم الركبتين! لتحل عليه الآثار الحمراء لشريطِ الذِيل! لتصبه لدغات البراغيث!...

قروح الفراش أسوأها جميعا يا عزيزي الأستاذ...
لتهلكه قروح الفراش أيضا يا يا .
إنها تؤدي طقس درب الصليب من أجله ليلا ونهارا يا أستاذ، وتزور بئر القديسة مرة كل أسبوع. وقامت بالحج إلى ضريح نوك من أجله هذا العام، والحج إلى جبل كروج باتريك، وإلى بئر القديس كولم كيلي، وإلى بئر القديسة ماري، وإلى بئر القديس أوغسطين، وإلى بئر القديس إيندا، وإلى بئر القديس بيرنان، وإلى بئر القديس كالين، وإلى بئر القديس ماك دارا، وإلى بئر القديس بودكين، وإلى فراش كونديرج، وإلى بئر القديسة بريجيد، وإلى بحيرة القديسين، وإلى بحيرة دريج...
للأسف لست حيا! كنت لأفرغ بئر القديس بريكان على اللصة[59]، على ال...
وأخبرتني يا أستاذ أنها لولا حالة العالم المضطربة لذهبت إلى مدينة لوردز.
قالت لي: *بحيرة ديرج هي أسوأهم جميعا[60] يا مارتين يا . كانت قدماي تدميان لثلاثة أيام. لكني لم أكن لأبالي بكل المعاناة لو عادت ببعض الراحة على المسكين. كنت لأزحف على يديّ وركبتيّ من هنا إلى...*
العاهرة...
قالت: *كنت مكسورة القلب بعد ..*...
آه، العاهرة... لو عرفت فقط يا يا ! لكنك لن تفهم. لا فائدة من إخبارك...
حسن، كما تشاء يا أستاذ، كان الفراش صلبا جدا...
إلى الجحيم أنت وفراشك، أرحنا قليلا منه!... آه، الأشياء التي قالتها تلك العاهرة لي يا !...
صدقني، أظن هذا يا أستاذ...
جلسنا نحن الاثنان عند الغدير. ودفق المد الرقيق يلعق الصخر العريض عند أقدامنا. وثمة نورس صغير يشجعه أبوه وأمه على القيام بأول رفرفاته، كعروس خجول تشق طريقها نحو المذبح. وظلال المساء تتحسس طريقها عند أقدام الشمس الغاربة فوق ذؤابات الموج، كطفل مُغمَّى العينين يتحسس طريقه *ليمس* الأطفال الآخرين. وصوت ضربات مجدافيّ زورق في طريق عودته من رحلة صيد. كنت أحتضنها بين ذراعيّ يا . وخصلة من ضفائرها الغزيرة تحتك بوجنتي. وذراعاها حول عنقي. وأنا ألقي الشعر: *جلين ماسون:

فوق صخر عالٍ، في مواجهة الشمس.
نمنا طوال المساء

على مرجها ومئزرها
‘*لو جئت يا حبيبي، تعال سرًا
تعال إلى الباب الذي لا يحدث صريرا
ولو سألني أبي من الهاتف الداعي
سأقول له إنها الريح في رؤوس الشجر.’*
إما هذا أو أحكي لها قصص الحب يا ...
أعلم ما تقصد يا أستاذ...

أبناء أوشناه، ديارموید وجرين، تريستان وإيزولد، توماس كوستيلو القوي وأونا ماكديرموت أوجو الجميلة، كارول أودالي وإليانور ذات الأسرار، القبلة الساخنة الحمراء، زمرة نساء...

أعلم ما تقصده يا أستاذ...

اشتريت سيارة يا بغرض واحد هو الخروج معها. تحملت ثمنها بصعوبة، لكني ظننت أنها تستحقه على أي حال. ذهبنا معا إلى السينما في برايت سيتي، وإلى الرقص في ديري داف، وإلى اجتماعات المدرسين...

فعلتما ذلك بالفعل، وذهبتما عبر طريق الجبل يا أستاذ. ذات يوم عندما كنت أحضر حمولة عربة من عشب الوقود، كانت سيارتك واقفة على جانب الطريق عند تل ستيب وكنتما أنتما الاثنان هناك في الوادي الضيق...

فلننسَ هذا الأمر حتى وقت لاحق يا يا ...

صدق إذًا، أنا أتذكر اليوم الذي حصلت فيه على استمارة المعاش. لم يعرف أحد في البيت ماذا تكون هذه بحق الشيطان. قلت: *الأستاذ الكبير هو رجلنا..* ذهبت حتى حانة وظللت هناك حتى عاد التلاميذ إلى بيوتهم. ثم تحركت. وعندما وصلت إلى بوابة المدرسة سمعت تأوهات وأنات وتنهدات من الداخل. قلت متظاهرا بحسن اللياقة : *لقد جئت متأخرا أكثر من اللازم، لقد عاد إلى البيت.* ونظرت عبر النافذة. صدقني، وأستميحك عذرا يا أستاذ، كنت تضاجعها في الداخل...

لم أكن، لم أكن يا يا .

صدقني إذًا يا أستاذ، كنت تضاجعها.. ليس هناك شيء أفضل من الحقيقة.

أحسنت يا أستاذ!

ينبغي أن تخجل من نفسك يا أستاذ.

ومن كان يظن هذا يا ؟

كان أطفالنا يذهبون إليه في المدرسة يا ...

لو أمسك به القس يا ...

كان يوم عيد العنصرة يا يا . كان اليوم عطلة لي. قلت لها بعد الغداء: *ينبغي أن تذهبي إلى ميناء روس، سيكون الخروج مفيدا لك.* وانطلقنا. تلك الليلة في ميناء روس ظننت، يا يا ، أني عرفت سر قلبها أكثر من أي وقت مضى... كان نهار الصيف الطويل يفقد ضوءه بعد طول انتظار. وكنا نحن الاثنان مستندين إلى صخرة، نتطلع إلى النجوم المتلألئة في البحر...

أعلم ما تقصده يا أستاذ...
نتطلع إلى الشموع وهي توقَد في البيوت القائمة على الألسنة البحرية عبر الخليج. نتطلع إلى الوميض الفوسفوري المنبعث من الطحالب البحرية التي خلّفها المدّ المتراجع. نتطلع إلى درب اللبانة كأنه غبار لامع ساطع وراء فم خليج جالواي. تلك الليلة، يا يا ، شعرت أني جزء من النجوم ومن الأنوار، من الوميض الفوسفوري، من درب اللبانة ومن تنهدات البحر والهواء العبقة...
أعلم ما تقصده يا أستاذ. أظن أن الأمر كان هكذا...
قالت لي، يا يا ، إن حبها لي أعمق من البحر، إنه أكثر إخلاصا وأكثر يقينا من الشروق أو الغروب، إنه أكثر دواما من المد أو الجزر، من النجوم أو التلال، لأنه موجود من قبل المد أو النجم أو التل. قالت لي إن حبها لي كان هو الأبدية ذاتها...
قالت ذلك يا أستاذ...
قالته يا يا . قالته، أقسم على ذلك!
... لكن انتظر. كنت على فراش موتي، يا يا . جاءت بعد أن أدت طقوس درب الصليب وجلست على حافة الفراش. أمسكت بيدي. قالت إنه لو حدث لي أي شيء فإن حياتها بعدي لن تكون حياة على الإطلاق، وأن موتها لن يكون موتا بالنسبة لها لو متنا معا. أقسمت ووعدت، أنها إن عاشت وقتا طال أو قصر، ستقضيه في حداد. أقسمت ووعدت أنها لن تتزوج مرة أخرى...
وعدت بكل هذا يا أستاذ!...
والله فعلت ذلك يا يا ! وبعد كل هذا، انظر كيف كانت الحية كامنة في قلبها. لم يمر عليّ سوى عام تحت التراب -عام بائس قصير مقارنة بالأبدية التي وعدتني بها- وكانت تقطع وعودا لرجل آخر، وعلى شفتيها قبلات رجل آخر، وفي قلبها حب رجل آخر. أنا، حبها الأول وزوجها، تحت التراب البارد؛ وهي في أحضان ...
في أحضان فعلا يا أستاذ! رأيتهما بنفسي... هناك أشياء كثيرة ينبغي أن يتغافل المرء عنها يا أستاذ...
والآن هو في فراشي، وهي تمنحه ما يشبعه وزيادة، وتسهر عليه ليلا ونهارا، وتحج من أجله، وتبعث إلى دبلن من أجل ثلاثة أطباء... لو كانت قد أحضرت طبيبا واحدا من دبلن لي، لشفيت...
هل تصدق ما قالته لي عنك يا أستاذ؟ قمت بزيارتها حاملا كيسا صغيرا من البطاطس بعد أسبوع من دفنك. وتحدثنا عنك. قلت: * خسارة كبيرة، ولم يكن هناك سبب كي يموت الرجل المسكين. لو لزم الفراش بعد أن أصيب بهذا البرد، واعتنى بنفسه، وشرب بضعة كؤوس من الويسكي، وأرسل إلى طبيب عندما أصابه المرض في البداية...* فقالت: *أتعلم ما حقيقة الأمر يا يا ؟* لن أنسى أبدا الكلمات التي قالتها يا أستاذ. *أتعلم ما حقيقة الأمر يا يا ؟ كل أطباء فيانا لم يكن بمقدورهم علاج الأستاذ الكبير. كان أفضل من أن يبقى في هذه الحياة...* نعم بالفعل يا أستاذ، وقالت شيئا آخر لم أسمعه من قبل قط. ربما مقولة قديما ما يا أستاذ: *من تحبه الآلهة، يموت صغيرا...*

العاهرة! العاهرة! العاهرة الحقيرة الفاسقة...*
De grâce يا أستاذ. احترس لكلامك. لا تجعل من نفسك . جاء مساعد القس إليها يوما. وكان جديدا في المكان. لم يكن يعرف أين بيت . فقالت له : *، المومس..* بأمانة!...
أنت يا ابنة متسخي الأقدام! يا كذا وكذا!... !...

٥

كان هناك مستعدا ومنتظرا وهو يقبض معاشه كل يوم جمعة. وكان الوغد يقول: *من الأفضل لك أن تضع القليل من التأمين على نفسك قريبا يا . من يدري؟ لعلك في يوم من هذه الأيام تغادر دنيانا...*

قال لي يوم جمعة في مكتب البريد: *لا يوجد شيء في هذه الخليقة لن يأخذ هذا الاستغلالي الحقير المتسلق تأمينا عليه، فيما عدا كلب الصغير، فلديه عادة التشمم حول بيت كلما مر صاعدا الدرب.*

كنت هناك أقبض المعاش مع في اليوم الذي دُفن فيه. قلت: *مندوب التأمين نفسه لم يعش طويلا..* فقال : *ها هو يرحل غربا الآن، قربة الريح. ولو صعد إلى أعلى سيثير جنون ، بثرثرته حول تلك الحادثة القديمة، ومحاولته أن يجعله يقوم بالتأمين على ملكيته من القديسين والملائكة ضد شرارات . ولو نزل إلى ، سيثير جنونه ويلحف عليه كي يقوم بالتأمين على جمراته القليلة من مياه صنابير . أفضل شيء يمكن لهما أن يفعلاه مع ذلك الطفيلي الحقير الصفيق هو أن يلعبا عليه خدعة : في كل مرة كان ينزعج فيها من قدوم قطيع إلى قطعة أرضه، كان يدفعه إلى أرض ، وقطيع إلى أرض ...*

هل سمعت ما قاله عندما مات رجل ؟ *وحق المسيح يا أولاد، من الأفضل للقديس أن يحترس لمفاتيحه الآن، وإلا سيفر بها هذا النزيل الجديد في لمح البصر...*

آها، لكن هذا لا يقارن بما قاله عندما ماتت : * يا ملاكي الجميل، سيكون عليك أنت وابنة أن تزوروا باستمرار دكان الحداد السماوي كي تصلحوا أجنحتكم، هذا إذا وافق الرب على السماح لكم بالطواف حول نفس المكان الذي ستكون فيه هي نفسها. أما أنا فلديّ فرصة ضئيلة جدا للحصول على أجنحة. لم تكن تعتبر قيمتي عالية لدرجة كافية. لكن والله يا ، أيها اليمامة المباركة، ستكون أجنحتك آمنة إلى حد كبير لو تمكنت من الحصول على جحر سلطعون صغير كمسكن إلى جوارها...*

مستحيل! الحقير إلى جواري! أعوذ بالله! آه، ماذا كنت لأفعل؟...

ما قالته السيدة مديرة مكتب البريد عن موتي كان أنها لم تتمكن من فتح خطاب واحد لأيام، لأنه كان عليها أن تهتم لأمر الكثير الكثير من البرقيات...

نُشر خبر موتي في الجريدة...

نُشر خبر موتي في جريدتين...

أنصتوا إلى هذا الخبر من جريدة ذي ريبورتر عن موتي: *كان أحد أفراد عائلة محلية قديمة وشهيرة. وقد لعب دورا بارزا في الحركة الوطنية. وكان صديقا شخصيا ...*

وهذا هو الخبر الذي كان في جريدة آيريشمان عني: *جاء من عائلة لها احترامها في المنطقة. وانضم إلى فيانا إيريان[61] وهو طفل، وبعد ذلك إلى المتطوعين

الآيرلنديين[62]. وكان صديقا مقربا من ...*
وتلا *حكاية الفرخة التي باضت على كوم الروث* ليلة دفنك أيضا.
أنت كاذب! هذه قصة مقرفة لا يمكن أن تتلى في أي ليلة دفن محترمة!....
لكن ألم أسمعه!...
أنت تكذب، لم تسمعه!...
... مشاجرة في ليلة دفنك! مشاجرة حيث لم يكن هناك أحد غير اثنين مسنين على المعاش!
وأحدهما أصم كلما اقترحت عليه الذهاب معها لزيارة المحامي بشأن الأرض.
نعم بالفعل، وكل إناء في البيت كان طافحا بالماء المقدس.
كانت هناك مشاجرة في ليلة دفني...
نعم بالتأكيد. أحس بالإهانة عندما قال له : *لقد شربتَ ما يكفي من لبن الرائب منذ أن جئتَ يا ، حتى أنك تملك بالتأكيد الآن ما يكفي بالفعل لممخضة.*
في ليلة دفني كان هناك نصفا برميل...
في ليلة دفني كان هناك ثلاثة أنصاف براميل...
كان هناك بالفعل يا ثلاثة أنصاف براميل في ليلة دفنك. تلك أمانة الله يا . كان هناك ثلاثة –ثلاثة كبار جيدون– والكثير من المياه الفوارة من أيضا... ورغم أني كنت الرجل العجوز، إلا أني شربت اثني عشر قدحا عن نفسي. وإحقاقا للحق يا ، ما كنت لأحلم بشرب هذا القدر لو علمت أن قلبي كان عليلا. قلت لنفسي يا ، عندما رأيت وفرة الجعة السوداء: *أليس من الأفضل لهذا الرجل أن يشتري مهرا بدلا من جعل هذه الأفواه الثرثارة تشرب...*
أيها الوغد!...
لم يكونوا أكثر من ذلك. تمدد بعضهم كالجثث في طريق الجميع. وسقط ابن على الفراش الذي أرقدوكِ فيك يا . لم تستطع ساقه المصابة أن تسنده...
المتسول القذر!
لم يكن هذا شيئا حتى بدأ ابن وابن في ضرب أحدهما الآخر، وكسرا المائدة المستديرة قبل أن يمكن الفصل بينهما...
يا ربي!...
ذهبت لأفصل بينهما. صدقيني إذًا، لو كنت أعرف أن قلبي عليل...
... في الحقيقة، بدا لي أنك راقدة بطريقة عادية جدا، إلا إذا خانتني عيناي...
لا بد أن عينيك خانتاك إذا لم تريا الصليبين على صدري...
وضعوا فوقي صليبين ووشاحا...
مهما كان أو لم يكن فوقي يا ، لم تكن هناك ملاءة قذرة عليّ كما كانت فوق ...
يا ربي! لا تصدقوا هذه العاهرة الحقيرة...
... صُنع تابوتك على يد النجار القصير في جورت ريبوك. وقد صنع تابوتا آخر وكان صغيرا كقفص طائر...
وأنت أيضا حصلت على تابوت من صنع نجار...

لو حدث هذا، فهو لم يُصنع على يد نجار جورت ريبوك، بل على يد نجار أكمل تدريبه للنهاية. ونال شهادة من المدرسة الفنية.
تكلف تابوتي عشرة جنيهات...
ظننت أنك حصلت على تابوت بثمان جنيهات مثل التابوت الذي حصلت عليه ...
أنت كاذبة! أنت مغفلة! حصلت على أفضل تابوت في محل ...
كانت من أرقدتني...
كانت من أرقدتني أيضا، وناحت عليّ ...
فعلا، ناحت عليك بطريقة سيئة. هناك بحة في صوت لا تنفك إلا بعد أن تشرب كأسها السابع. وعندها تبدأ في غناء *دع إرين تتذكر*...
أعتقد أن لم تحظَ بالنواح على الإطلاق، إلا إذا قامت زوجة ابنها بأداء نوبة من أجلها...
... ستة جنيهات وخمسة شلنات هي كل نقود المذبح التي جُمعت في جنازتك...
حصلت على عشرة جنيهات من نقود المذبح.
انتظروا الآن حتى أرى كم جُمع في جنازتي: 20 على 10 زائد 19 يساوي 190...
زائد 20 يساوي 210 شلن... يساوي 10 جنيهات، 10 شلنات. أليس هذا صحيحا يا أستاذ؟...
حظي بمبلغ كبير في المذبح...
...
صدقوا إذًا، كان هناك مبلغ كبير من مال المذبح في جنازة . كنت لأحظى بمبلغ كبير في جنازتي أيضا لكن أحدا لم يعلم بها، فقد مت على حين غرة. القلب، ليكن الله في عوننا! فقط لو أني لزمت الفراش لوقت طويل حتى أصاب بقروح الفراش...
كنت سأحظى بأربعة عشر جنيها كاملين، لولا أنه كان هناك شلن مضروب. كان نصف قرش فقط ملفوفا في ورقة سجائر فضية. وكان هو من لاحظه عندما تحسس النقش المنحوت على نصف القرش. وهو يقول إن هي من وضعته هناك. وقد تركت على المذابح الكثير من هذه الشلنات المضروبة. كانت تريد أن تكون حاضرة في كل مذبح، وهو ما لم تكن لتقدر عليه، المرأة المسكينة...
أيها الكاذبة الحقيرة العجفاء...
آه، أسامحك يا . لم أكن لأهتم مطلقا، لولا القس الذي قال: *سيتركون أسنانهم القديمة على المائدة من أجلي قريبا..*
كنتما أنت وابنتك يا مشغولين بـ ** راح و** جاء عندما كانت تلعب خدعة القاعة الداخلية على متعلم الآيرلندية المتحمس. لكن لم يكن هناك ذكر عندما آن الأوان لوضع شلن على مذبحي...
قيدت بعد أن شربت اثنين وأربعين قدحا، ومع ذلك لم يأت شخص واحد من ذلك البيت إلى جنازتي، رغم أنهم يعيشون في نفس القرية. لم يضعوا شلنا تقريبا على مذبحي. قالوا إنهم أصيبوا جميعا بدور برد. كان هذا كل الشكر الذي حظيت

به، رغم أنه كان قد قبض على البلطة الصغيرة. هل يمكنك أن تتخيل لو كان لا بد من تقييده مرة أخرى؟...
لم أحظ بجنازة كبيرة. كان أهل قرية دوناه قد رحلوا إلى إنجلترا، وأهل جورت ريبوك، ومرتفعات سافي...
... ما رأيك يا في ، التي لم تضع قدما في بيتي منذ اللحظة التي مات فيها أبي حتى وُضع في التابوت، بعد كل أرطال الشاي الخاص به التي شربتها...
كان ذلك في الأيام التي ذهبت فيها إلى المحامي بشأن أرض ...
هل تسمعين تلك العاهرة ، الجربانة آكلة البطاطس المحروقة؟
اضطررت إلى وضع يدي ثلاث مرات على فم ذلك العجوز فارغ الرأس هناك، عندما كان يحاول غناء *كان لدى مارتين جون مور ابنة جميلة* في جنازتك يا ...
كانت البلد بأكملها في جنازتنا، والصحفيون والمصورون و...
لسبب وجيه جدا! لأنكم أيها الناس قُتلتم بواسطة اللغم. لو متم في الفراش القديم كما فعلت، كان سيحضر قليل من الصحفيين هناك...
كان هناك *bien de monde* في الجنازة *à moi* . وجاء
Le Ministre de France من دبلن ووضع *couronne mortuaire*[63] على قبري...
كان هناك مندوب من في جنازتي وعلى كفني العلم ثلاثي الألوان...
كانت هناك برقية من في جنازتي وأطلقت الرصاصات فوق قبري...
أنت كاذب!
أنت الكاذب! كنت أول ملازم لأول سرية لأول كتيبة لأول لواء...
أنت كاذب!
ليكن الله في عوننا، دائما أبدا! من المؤسف أنهم لم يأخذوا كومة طيني هناك شرق برايت سيتي...
جاء من برايت سيتي إلى جنازتي. كان يحمل احتراما لي، وأبوه كان يحمل احتراما لأبي. كثيرا ما أخبرني بأنه يحمل احتراما لي بسبب أن والده كان يحمل احتراما لأبي...
جاء الطبيب إلى جنازتي. وبالطبع لم يكن في هذا أي شيء عجيب. فأختي لديها ابنان طبيبان في أمريكا...
قلتها للتو! لم يكن في ذلك أي شيء عجيب. كان الأمر ليغدو مخزيا تماما لو لم يجيء إلى جنازتك، بعد كل المال الذي أنفقته عليه عبر السنين؛ وأنت تلوي كاحلك في جميع أوقات النهار والليل...
حضر جنازتي...
حضر جنازتي...
حضر وأخت القس جنازتي...
أخت القس! هل كانت ترتدي البنطلون؟
من العجيب أن المحامي لم يحضر جنازة ...
عجيب بالفعل، أو أخت القس...

أو حتى ...
كان يتفحص رخص الكلاب في قرية دوناه ذلك اليوم...
لا يمكن أن يعيش كلب على التلال الموبوءة بالبراغيث في قريتكم...
... *كان هناك، مبتسما ومبتهجا،
لأن كانت ستتزوجه بعد أن ماتت ...*
أؤكد لك يا ، كنت سأحضر جنازتك ولو كان الثمن حياتي. كنت مدينا بالحضور إلى جنازتها، حتى لو على ركبتيّ. لكني لم أسمع كلمة واحدة عن الأمر حتى الليلة التي دُفنتِ فيها...
أنت ثرثار عجوز يا يا ذا الكلام المعسول. منذ متى وأنت هنا؟ لم أعرف أنك هنا على الإطلاق. الوباء...
كان هناك حشد كبير في جنازتي. قس الأبرشية، ومساعد القس، ومساعد قس بحيرة ساياد، وراهب فرانسيسكاني وأخان متدينان من برايت سيتي، وأستاذ وأستاذة مدرسة كين تير، وأستاذ وأستاذة مدرسة ويست ساياد، وأستاذ مدرسة مرتفعات سافي، والأستاذ والأستاذة المساعدة لمدرسة ليتل جلين. والبائع في كيل...
كانوا هناك بالفعل يا عزيزي الأستاذ، ومعهم . كي نعطيه حقه، كان خدوما للغاية ذلك اليوم. أحكم ربط الأحزمة على التابوت وكان من حامليه عند مغادرة البيت، وأنزله إلى القبر. صدقني، كي نوفيه حقه، كان مستعدا وقادرا. لقد خلع سترته هناك وقبض على جاروف...
اللص! الجاهل الفاسق!
... كانت هناك خمس سيارات في جنازتي...
السيارة الخاصة بذلك المهرج في بحيرة ديري، تعطلت في منتصف الطريق وعطلت جنازتك لمدة ساعة...
كان هناك ما يصل لحوالي ثلاثين سيارة في جنازة . وكان هناك حصانان يحملان تابوته...
صدق إذًا، كما تقول، كان هناك حصان يحمل تابوتي. لم تكن المرأة العجوز لتسعد قبل أن تحصل على واحد. قالت: *سترتج أحشاؤه كثيرا على أكتاف الناس أو فوق عربة قديمة...*
كان من السهل عليها يا رجل أن تأتي بالحصان من مال عشب وقودي...
ومن طحالبي البحرية المنجرفة.
... مع كل هذه الوفرة من الشراب في جنازة ، لم يكن هناك ما يكفي من الناس لحمل تابوتها إلى الكنيسة. بل وبدأوا يتصايحون ويتشاجرون فيما بينهم. وكان لا بد من إنزال الجثة على الأرض مرتين، مع الحالة التي كانوا عليها. حدث ذلك بالفعل: ألقي بها في منتصف الطريق...
مستحيل!
أنا أخبرِك بالحقيقة العارية يا عزِيزتي . لم يكن هناك غيرنا نحن الستة مِن بعد

حانة . أما البقية فدخلوا حانة أو تساقطوا على طول الطريق. فكرنا أننا قد نضطر لجعل النساء يحملن الجثة...
مستحيل! لا تصدقوه، تخاريف...
تلك هي الحقيقة العارية بلا تنميق يا . كنتِ ثقيلة كالجحيم. لم تلزمي الفراش لزمن طويل، ولم تعاني من قروح الفراش.
قال ابن عندما وصلنا درب مرتفعات سافي: *سيضطر الرجلان العجوزان إلى حملها..* كنا سعداء بوجود العجوزين يا . كان ابن نفسه يسير على عكازين وكان ابن وابن يتناوشان من جديد: وكل واحد منهما يحاول لوم الآخر على كسر المائدة المستديرة في الليلة السابقة. لا شيء أفضل من الحقيقة يا عزيزتي . صدقيني، لم أكن لأحمل نعشك على كتفيّ أنا نفسي ولا أصاحبك خطوة واحدة على الطريق لو كنت أعلم وقتها أن قلبي عليل هكذا...
كنتَ منفوخا بحساء الحلزون أيها المخرف النابح...
تريد أن تمثل دور البغل الحرون حتى الآن. فلتنج روحي من الشيطان، سواء أرادت أم لا ستذهب إلى الكنيسة وإلى القبر.. هذا ما قاله بينما يدخل هو معي ومع ابن أسفل نعشك لنحمله صاعدين الدرب إلى الكنيسة...
لم تنطق بالكذب يا حماي.. قال ابن وهو يلقي بالعكازين بعيدا ويدفع نفسه أسفل نعشك...
مستحيل دائما أبدا! ابن العاهرة حملني! حملني! ذلك الوغد ذو اللحية. طبعا كان النعش مائلا إذا كان هذا الأحدب الكسيح يحملني. مستحيل!... ! ابن ! ! يا !... لو عرفت يا كنت لأنفجر. كنت لأنفجر هناك وقتها...

٦

وتقول لي إنك لا يمكنك التأمين على المهور؟
أي وكيل تأمينات مثلي لن يفعل ذلك يا .
ألا تعتقد أنك لا تقوم بأي مخاطرة على الإطلاق بالتأمين على مهر جيد صغير. سيكون عونا كبيرا، لو حدث له أي شيء، أن نحصل على حفنة من المال...
كدت أحصل على حفنة من النقود أنا نفسي يا في مسابقة الكلمات المتقاطعة في جريدة صانداي نيوز. خمسمائة جنيه...
خمسمائة جنيه!...
نعم بالفعل يا . كان لديّ حرف واحد خاطئ...
أفهم ذلك...
كانوا يريدون كلمة من أربعة حروف تبدأ بحرف j. وقال الدليل إن معنى الكلمة *سجن*.
أفهم ذلك.
على الفور فكرت في كلمة *goal*، لكنها تبدأ بحرف g...
أفهم ذلك.
قلت: *ليست هذه..* وقضيت وقتا طويلا متأملا ومترددا. وفي النهاية كتبت كلمة *jaol*...
أفهم ذلك.
أتعرف؟ عندما ظهر الحل في الجريدة، كانت الكلمة *jail*! اللعنة على الهجاء المبسط[64] يا ! لو كان هناك مسدس في متناولي لفجرت رأسي بنفسي ساعتها. كان هذا واحدا من الأسباب التي قصَّرت عمري...
أفهم ما تعنيه الآن...
... قسما ببلوط هذا التابوت يا يا ذا الكلام المعسول، أعطيت الجنيه...
... كانت تضع تلك الابتسامة الحلوة على وجهها...
تلك الابتسامة الحلوة أثبتت شؤمها على ! لكن بكرم الله سينتهي الأمر به كما انتهى . هناك لعنة ما على مدرستنا تقضي بأن يكون الأساتذة سيئي الحظ مع زوجاتهم...
النصيحة التي أرسلتها إلى بعد فوزه بمباراة نصف النهائي في بطولة عموم آيرلندا لصالح جالواي: قلت: * يا صديقي، حتى إذا لم تستطع أن تركل الكرة في النهائي ضد كيري، فلتركل شيئا آخر! لا بد أن يكون هناك نوع ما من المساواة في ضرب الناس. سيكون الحكم منحازا لكيري على أي حال. أنت الرجل المؤهل لهذا. لديك القوة والمهارة. وفي كل مرة ستركل شيئا سأرفع صوتي بثلاث صيحات نصر لك...*
... حبيبي! عندما يأتي إلى إنجلترا!... أعتقد أنه سيدفع بإنجلترا هذه إلى أعماق الجحيم تماما: سيطيح بإنجلترا تلك الخنزيرة المنفوخة الثقيلة كما أطاحت الريح

بذلك الحمار: سيضع ألغاما وزنها مليون طن أسفل سرتها...
فلينجنا الله!...
صدق إذًا، لا يجب إدانة إنجلترا. هناك تشغيل هائل هناك. ماذا كان سيفعل أهل قرية دوناه دونها، أو أهل جورت ريبوك، أو مرتفعات سافي؟...
أو هذا المزعج العجوز هنا الذي يمتلك قطعة أرض أعلى القرية لا يمكن عزقها لتسمين الماشية...
Après la fuite de Dunkerque et le bouleversement de Juin 1940, Monsieur Churchill a dit qu'il retournerait pour libérer la France, la terre sacrée . . . [65]
... لا ينبغي أن تسمح لأي مهرطق أسود بإهانة دينك هكذا يا . آه يا إلهي، أتمنى لو كنت مكانك! كنت لأسأله هكذا يا :*هل تعلم حتى أنه يوجد إله؟ بالطبع أنت مثل بقرة أو عجل أو مثل... أو مثل جرو.* كل ما يهم الكلب أن يملأ بطنه. كما يأكل الكلب اللحم يوم جمعة[66] يأكلها هو أيضا. آه، لن يحمل نحوها أقل نفور. لكن مع ذلك ليس كل كلب يفعل هذا... كانت لديّ قطعة من اللحم باقية في البيت ذات مرة. قلت: *سأضعها جانبا حتى السبت. غدا هو يوم الصيام، لا لحوم.* وبعد وقت العشاء يوم الجمعة كنت داخلا من الحديقة بحفنة من البطاطس عندما رأيت الكاهن البروتستانتي مارا، في طريقه صاعدا الجبل لصيد الدجاج البري. قلت: *فلتبتعد بها أيها المهرطق اللعين. بالطبع أنا مدرك تماما أنك لن تجعل يوم الجمعة يمر دون لحم طازج... أنت مثل بقرة أو عجل... أو مثل جرو.* وعندما دخلت ومعي حفنة البطاطس، كان المشبك منزوعا من باب الخزانة. واختفى كل أثر للحم! قلت: *بالتأكيد قط أو كلب، عندما أمسك بك، لن تفلت بها.* أكل اللحم يوم جمعة. ألست أنا غبيا أحمق لأني لم أطردها وأغلق الباب خلفي! لحقت بهما في طريق الصعود. كلب الكاهن يلتهم اللحم، وكلبي يزوم في وجهه محاولا أن يوقفه. أمسكت بالمذراة وقلت: *من السهل معرفة كلب من أنت، بأكلك اللحم يوم الجمعة.* حاولت أن أغرس المذراة فيه حتى مقبضها. لكن الكائن القذر تمكن من الهروب. قدمت اللحم لكلبنا. عسى أن يسامحني الله! لم يكن ينبغي أن أغويه. لكنه لم يقترب منها أو يمسها. ولا حتى قطعة منها. والآن ما رأيك؟ كان يعرف أن هذا ليس صحيحا... لماذا لم تخبره بذلك يا ولا تسمح له بإهانة دينك؟ يا الله! لو كنت موجودا!...
وكيف كان لي أن أفعل ذلك؟ كلب الكاهن لم يسرق قط قطعة لحم مني...
لكن الإسبان يأكلون اللحم كل يوم جمعة في حياتهم، وهم كاثوليك.
هذا كذب، يا قربة الريح!
منحهم البابا إذنا...
هذا كذب. أنت مهرطق أسود...
... هل الأمر هكذا يا أستاذي العزيز؟ لو أنهم دهنوني بـ -ماذا تسميه يا أستاذ؟- الكحول الإيثيلي وقتها لم أكن لأصاب قط بقروح الفراش. آه يا عزيزي الأستاذ،

لم يكن لديّ أحد يقدم لي الرعاية المناسبة. المغفلون! العلم نور فعلا. الكحول الإيثيلي. من المؤسف أني لم أعرف بهذا! تقول إنه يأتي في زجاجة. تالله يا أستاذ لا بد أنها الزجاجات التي تشتريها الأستاذة من ابنة . قالوا لي إنها تشتري كمية رهيبة منها. من أجل ...
ليست هي يا يا . لا تباع قط في حانة. إنها تشربها، العاهرة. تشرب بالتأكيد. أو ربما هو من يشرب. أو هما الاثنان. يالها من طريقة لإنفاق النقود الحلال يا يا ...
أؤكد لك يا ، كنت سأحضر جنازتك ولو كان الثمن حياتي. كنت مدينا لك بالحضور إلى جنازتك يا ، حتى لو على ركبتيّ...
! يا !... هل تسمعين ذا الكلام المعسول وهو يطنطن من جديد؟ سيقلب معدتك. يا ! هل تسمعينني؟ يا ... أنت لا تولين اهتماما كبيرا في الفترة الأخيرة. هل تسمعينني يا ؟... هذا دورك في الكلام... كنت أتكلم عن ذلك الطنطان معسول الكلام. لم أعرف أنه وصل إلا مؤخرا. إنهم مجموعة من الأجلاف هنا يا . لا يخبرون المرء بأي شيء. انظري كيف أبقوا خبر وصول ذي الكلام المعسول سرا عني...
آه، أعرف أن قد وصل يا . كنت أتكلم معه. حاولوا أن يدفنوه فوقي...
عندك حق يا ، لو وضعوا صليبا فوق المرء، لأصبح من السهل تحديد قبره. ولن يمر وقت طويل قبل أن يكون صليبي جاهزا، لكنهم يقولون إن رخام كونيمارا شحيح؛ ومن الصعب الحصول على شاهد قبر مناسب لصليب هناك. يقول إنه يجب أن تكون لك واسطة هناك حتى تحصلي على حجر أصلا من كونيمارا الآن. لكنه أخبرني أنهم يعملون بسرعة على إقامة صليبي رغم ذلك...
تقولين إنه لم يفعل يا ... أن هناك الكثير من الرخام في كونيمارا حتى أنه لن ينفد أبدا! والآن يا ، هذا الشكل من التضليل لن يؤدي بك إلى أي مكان. لماذا أتقول بالكذب على الرجل الطيب؟ لا هو ولا أنا نحاول التنافس في قول الأكاذيب بما أننا محشورون في هذه الهوة معا...
تقولين إن زوجة ابني قالت ذلك يا : *يجب أن نكون أغنياء في هذه الحياة قبل أن نبدأ في شراء الصلبان.* فهمت صدقيني. كنتِ تتنصتين من الأبواب الخلفية مرة أخرى يا ، كما كنت تفعلين فوق الأرض... والآن يا ، لا فائدة من إنكار ذلك. كان من عادتك التنصت من الأبواب الخلفية. الحكاية التي رويتيها هنا عن حياتي، أين عرفتيها إلا عند بابي الخلفي؟
آه، كنتِ تنصتين إليّ وأنا أكلم نفسي أثناء سيري في الطريق! ووراء السور عندما كنت أعمل في الحقل! طيب يا ، أليس التنصت من الأبواب الخلفية عملا غير لائق مثله مثل التنصت في الطرقات وخلف الأسوار؟...
اسمعيني الآن يا ! لماذا انقلب كل من في المقبرة ضدي؟ لماذا لا يجدون أحدا غيري يلوكون سيرته؟ هذا بسبب...
تقولين إن هذا ليس بسبب عدم وجود صليب فوقي! وماذا غير ذلك؟ ماذا غير ذلك إذًا؟

أهل المقبرة لا يحبونني منذ رفضت أن أتعاون! ماذا تقصدين بأني لم أتعاون يا ؟...
فهمت الآن. أني صوَّت ضد ! ألا تعرفين في قرارة قلبك وروحك يا أنه لم يكن بمقدوري أن أفعل شيئا آخر؟ تلك الخسيسة المتسخة القدمين. هبة الله تلك للبحارة، تلك الكذا والكذا...
تقولين إنها في النهاية كانت مرشحة مقبرة الخمسة عشر شلنا. ولم تبالِ بالأقدام المتسخة أو البط أو البحارة أو الشرب خلف الأبواب المغلقة، أو أن تكون كذا وكذا يا ...
ماذا تقولين إن الأستاذ أطلق عليّ؟... *المنشقة*. أسماني *المنشقة* لأني صوَّت ضد حزب الخمسة عشر شلنا يا . لكني لم أصوت ضد حزب الخمسة عشر شلنا. صوَّت ضد ذات المؤخرة السمينة. أنت تعرفين بنفسك أن ناسنا فوق الأرض كانوا يصوتون دائما بنفس الطريقة. هي التي تغيرت. كانت العاهرة هي الخائنة. صوتت لهذا الحزب الجديد لأنها حصلت على طريق ممدود إلى بيتها...
ودعاني الأستاذ بهذا أيضا. قوليها مرة أخرى يا ... *عديمة المبادئ!*، *عديمة المبادئ* يا !... لأني تكلمت مع رغم أنها أهانتني قبل ذلك! يا إلهي الرحيم! لم أحدثها قط يا . هي من حدثتني يا . سأقول هذا للأستاذ. سأفعل ذلك فعلا، سأقولها له مباشرة. قالت: *يا ، يا ، هل تسمعينني؟ أنا ممتنة لك على منحنا صوتك. كنت امرأة شجاعة...*
أنا حتى لم أتظاهر يا بسماعي لصوتها ذي النغمة السقيمة. ولو رددت عليها أصلا كنت سأقول لها: *أنت أيتها البغي المنفوخة، أنا لم أصوت لك أو أو لحزب الجنيه، بل صوتت ضد الكذا والكذا، ...*
قال إني *مرتدة* لأني تكلمت مع ... محاولة تعويضها... بعد التشهير بها منذ جئت إلى المقبرة... يا ربي الرحيم القدير، يا ! أني تحدثت إلى !... ما هذا يا ؟... أسماني هكذا. الأستاذ! لا بد أنه كان يقصد يا . ومن غيرها؟...
أسماني كذا وكذا يا ؟ كذا وكذا! سأنفجر! سأنفجر! سأنفجر...

54 الرسالة الغرامية
55 خطة حكومية للتوظيف في قطع وتوزيع عشب الوقود خلال الحرب العالمية الثانية *من هوامش الترجمة إلى الإنجليزية *
56 محاكاة ساخرة لحكاية فلكلورية مشهورة في كونيمارا وكذلك في جزر آران، تُحكى عادة فيما يتعلق بقيام القديسين إندا وبريكان بتقسيم أكبر ثلاث جزر من جزر آران بينهما. *من هوامش الترجمة إلى الإنجليزية *
57 الفين Féne الجنس السلتي السائد في آيرلندا القديمة. *من هوامش الترجمة إلى الإنجليزية *
58 هناك نظرية بأن قديسين يحملان اسم باتريك هما من قاما بتنصير آيرلندا. *من هوامش الترجمة إلى الإنجليزية *
59 كان إفراغ بئر القديس بريكان يُعتبر طريقة لوضع اللعنة على شخص ما. *من هوامش الترجمة إلى الإنجليزية *
60 كانت طقوس التوبة المرتبطة بالحج إلى بحيرة ديرج في دونيجال قاسية جدا. *من هوامش الترجمة إلى الإنجليزية *
61 حركة شباب وطنية موازية لحركة الكشافة *من هوامش الترجمة إلى الإنجليزية *
62 منظمة حربية مكرسة للقتال من أجل استقلال آيرلندا. *من هوامش الترجمة إلى الإنجليزية *
63 كثير من الناس... الخاصة بي... الوزير الفرنسي... إكليل الجنازة
64 إعادة تشكيل الهجاء للغة الآيرلندية، ١٩٤٨. *من هوامش الترجمة إلى الإنجليزية *
65 بعد الهروب من دنكيرك وانتفاضة يونيو ١٩٤٠، قال السيد تشرشل إنه سيعود لتحرير فرنسا، الأرض المقدسة...
66 كان من عادة الكاثوليك الامتناع عن أكل اللحم يوم الجمعة. *من هوامش الترجمة إلى الإنجليزية *

الفاصلة السابعة
الطين المسبوك
١
أنا نفير المقبرة. فليُسمع صوتي! لا بد أن يُسمع
هنا في المقبرة يوجد المخطوط الذي تشكل كلماته الغامضة نسيج أحلام الجنس البشري؛ والذي يشكل مداده الباهت النضال الجسور للجنس البشري؛ والذي تشكل أوراقه الذابلة عصورا من هباء الجنس البشري...
فوق الأرض يشكل البر والبحر والسماء مخطوطا نضرا مزخرفا. كل طوق هو انحناءة مهيبة. كل درب هو خط لوني. كل حقل ذرة هو خطاب ذهبي. كل قمة جبل مضاء بنور الشمس وكل خليج متعرج محاط بالأرض ومليء بالأشرعة البيضاء هما جملة مركبة من الجمال. كل سحابة هي نقطة تليين[67] بهية على الحروف الكبيرة الأرجوانية للقمم العالية. قوس قزح هو فاصلة منقوطة بين نصف رباعية شعرية في السماء ونصفها الآخر في الأرض. لأن مهمة هذا الناسخ هي نشر إنجيل الجمال في مخطوط الأرض والبحر والسماء...
لكن الأشجار المتساقطة على قمة الجبل هي بالفعل جملة ناقصة. والجرف المطل على الشاطئ المنحدر هو نقطة سوداء. وهناك عند الأفق ينتهي الحرف غير المكتمل ببقعة من الحبر...
يجف اللون في الفرشاة وتشعر يد الناسخ بتشنج الكتابة...
المقبرة تطالب بمستحقاتها... أنا نفير المقبرة. فليُسمع صوتي! لا بد أن يُسمع...
٢
من أنت؟... أقول من أنت؟... هل أنت أصم أم ماذا؟ أم أبكم... من أنت؟ فليأخذ الشيطان روحك العفنة، من أنت؟...
لا أعرف...
بحق كل ما هو مقدس! ! لماذا تتصرف بهذا الخجل يا ؟ أنا ...
. أنت . والآن إذًا.. . ، إذًا...
نعم . لا حاجة لك كي تعيد وتزيد فيها. كيف حالهم هناك في الأعلى؟
كيف حالهم هناك في الأعلى؟ هناك في الأعلى. هناك في الأعلى فعلا...
لماذا لا تستطيع الرد على شخص يتحدث إليك يا ؟ كيف حالهم هناك في الأعلى؟
بعضهم بخير. وبعضهم ليسوا بخير...
يالك من جالب بارع للأخبار! من بخير ومن ليس بخير؟
رجل حكيم من يمكنه قول ذلك يا . رجل حكيم من يمكنه قول ذلك يا . رجل حكيم من يمكنه قول من بخير ومن ليس بخير. رجل حكيم، صدقيني...
بما أنك كنت تعيش في القرية المجاورة، ألا تعرف إن كان ابننا وزوجته بخير أو

ليسوا بخير؟...
فعلا يا كنت أعيش في القرية المجاورة. في القرية المجاورة فعلا. لا كذب في كلامك لكني كنت في القرية المجاورة فعلا...
هيا يا رجل، فلتتمتع بقليل من النباهة. ليس عليك أن تكون خجولا هنا، ليس أكثر مما كنت عندما كنت فوق الأرض. من بخير ومن ليس بخير؟...
مريضتان معظم الوقت. صدقيني، قد يكونان حتى في حالة سيئة...
يالها من قصة جيدة تلك التي لديك! أنا لا أتذكر وقتا لم تكونا فيه غير مريضتين، إلا عندما كانت هناك جثث يجب إرقادها أو النواح عليها. إنه الوقت المناسب لهما كي لا تكونا بخير في هذه المرحلة. هل هما على أبواب الموت؟... هل تسمعني؟ هل على أبواب الموت؟...
بعض الناس يقولون إنهما ستتجاوزان المرض. وآخرون يقولون إنهما لن تتمكنا. رجل حكيم من يمكنه قول ذلك...
؟... قلت.. كيف حاله؟... هل أصبت بالروماتيزم في لسانك؟...
. الآن. نعم بالفعل، . يقول البعض إنه ليس بخير. يقول البعض إنه ليس بخير بالتأكيد. لعله كذلك. لعله كذلك بالفعل... لكن أشياء كثيرة تقال ليس فيها ذرة من صدق. أشياء كثيرة، صدقيني. ربما هو ليس بخير على الإطلاق...
هلا تكف عن سخافتك وتخبرني إن كان ملازما الفراش...
لا أعرف يا . لا أعرف، صدقيني. إلا إذا أردت أن أكذب عليك...
إلا إذا أردت أن تكذب عليّ! وكأنها ستغدو كذبتك الأولى! وكيف حال ؟... كيف حال العاهرة؟
. نعم بالفعل. ، بالفعل. . ...
نعم، نعم. . سألتك كيف حالها؟...
يقول البعض إنها ليست بخير. يقول البعض إنها ليست بخير، بالتأكيد...
لكن أهي كذلك؟ أم أنه المزيد من ألاعيبها؟...
يقول البعض إنها كذلك. يقولون، بالقطع. لعلها كذلك، صدقيني. لعلها كذلك، دون شك. لكن أشياء كثيرة تقال...
اللعنة على فمك الخالي من الأسنان! لا بد أنك سمعت إن كانت قادرة على الدخول والخروج من البيت، أو أنها طريحة الفراش...
طريحة الفراش. لعلها كذلك، صدقيني. صدقيني إذًا، لعلها كذلك...
يا يسوع، يا مريم، يا يوسف!... اسمعني يا . كيف حال أختنا في أمريكا؟
أختك التي في أمريكا. . إنها في أمريكا بالفعل. في أمريكا، هذا صحيح...
لكن كيف حالها؟
لا أعرف. صدقيني يا لا أعرف...
آه، بربك الآن، هذا شيء سخيف، لا بد أنك سمعت بعض الحديث يدور عنها. ربما لم تكن بخير...
بعض الناس يقولون إنها ليست بخير. يقولون هذا بالتأكيد. من الممكن...

من يقول هذا؟
أقسم أني لم لأكن لأخبرك بكلمة كاذبة واحدة يا ، لكني فقط لا أعرف. لا أعرف فعلا. ربما ليس هناك من خطب بها...
من سيحصل على مالها؟... من سيحصل على مال ؟
مال ؟...
نعم، ومن غيرها؟ مال ... من سيحصل على مال ؟...
لا أعرف وحق الشيطان يا ...
هل كتبت وصية؟ هل كتبت أختنا وصية بعد؟ ألا تملك بالفعل دليلا لما يحدث؟...
يا إلهي، لا أعرف هذا يا . رجل حكيم من يمكنه قول...
لكن ماذا يقول أهل قريتنا عن هذا، أو أهل قريتكم؟... هل قالوا إن سيحصل عليه؟ أم أن ستحصل عليه؟
بعضهم يقولون إن ستحصل عليه. وبعضهم يقولون إن سيحصل عليه. أشياء كثيرة تقال دون أن تكون بها ذرة من حقيقة. أشياء كثيرة بالفعل. عن نفسي لا أعرف أيهما سيحصل عليه. رجل حكيم من يمكنه قول...
أنت أيها المعتوه الأبكم عديم الأسنان! كل شخص غيرك كان لديه شيء ليقوله قبل أن تأتي. ماذا عن ؟... . هل تسمعني؟...
أسمعك يا كاترينا. أسمعك بلا مشاكل. . أقسم بكل ما هو مقدس أن هناك شخصا بهذا الاسم، بالتأكيد يوجد. لا شك في وجود ...
أين هو الآن؟
في قريتكم يا . وأين سيكون في غيرها؟ في قريتكم بالقطع. كنت أظن أنك تعرفين جيدا أين يكون يا . كان في قريتكم طوال حياته، على ما أعتقد، أم أني مخطئ؟
عسى أن يصبوا الصمغ المغلي على ابتسامتك العريضة! كان سؤالي لك هو أين هو الآن؟... أين الآن؟
ليأخذني الشيطان لو كنت أعرف أين هو الآن يا ، إلا إذا كذبت عليك. لو كنت أعرف أي وقت من اليوم هو، لكني لا أعرف. لا أعرف فعلا. لعله...
لكن قبل أن تموت أين كان؟
في قريتكم يا . اعتاد أن يكون في قريتكم بالتأكيد. في قريتكم بالفعل.
لكن أي بيت؟...
صدقيني إذًا، لا أعرف هذا يا ...
لكنك تعرف إن كان قد غادر بيته بسبب رشح السقف أو شيء آخر...
بعضهم يقولون إنه في بيت . وبعضهم يقولون إنه في بيت . أشياء كثيرة تقال دون...
لكنه ليس في بيته؟... هل تسمعني؟ ليس في بيته؟...
في بيته؟ في بيته... في بيته... صدقيني إذًا، يمكنه كذلك بالفعل. يمكنه بالفعل. فقط شخص حكيم من يمكنه قول...

أيها المعتوه السخيف، لأنك هكذا فعلا يا ! من يملك أرض ؟
أرض ؟ صدقي إذًا، هو يملك أرضا. يملك أرضا بالقطع. بالفعل يملك أرضا. يملك أرضا...
لكن من يملك أرضه الآن؟ هل مازال نفسه يملكها، أم يملكها ، أم تملكها ؟...
، ، ؟ نعم الآن، ، ...
كف عن تمثيل دور الخنزير واخبرني فقط من يملك أرض !...
البعض يقول إن هو من يملكها. والبعض يقول إن من تملكها. أشياء كثيرة تقال دون ذرة...
لكنك متأكد من أن نفسه لا يملك الأرض؟... أنت متأكد يا أن نفسه لا يملك الأرض؟...
نفسه، إن كان يملك الأرض؟ صدقيني إذًا، يمكنه أن يملك، فيمكنه ذلك. رجل حكيم من يستطيع قول من يملك أرض ...
أيها الخراء عديم النفع! يالها من هدية حظيت بها: ! كومة من المرض! لقد جلبك الوباء إلى هنا. لولا ذلك لما جئت إلا بعد أن تتعفن. في الحقيقة، لم يكن أحد ليقتلك بسبب لسانك على أي حال! يالك من كنز للمقبرة أيها الزبالة حمراء الشعر! اغرب عن وجهي! أف!...

٣

...سقطت من فوق كومة من الشعير...
مهرة بيضاء الوجه...
عسى أن يأخذك الشيطان أنت وأشعارك السقيمة! ألا يمكنك أن تفهم أن لديّ ما يكفيني من هموم وأنا لا أعرف إن كانت المرأة العجوز في البيت قد منحت الحيازة للابن الأكبر...
... كانت لديّ قطعة أرض في أعلى القرية...
... *كانت لدى مارتين جون مور ابنة
وكانت عريضة المنكبين كأي رجل...*
Monsieur Churchill a dit qu'il retournerait pour libérer la France, la … terre sacrée. Mon ami, the French Gaullistes and les Américains and les Anglais will capture *la France.* That is *promis by Messieurs Churchill et Roosevelt* . . . That is a *prophétie . . . Prophétie* . . . Prophecy, *je crois en Irlandais* . . .[68]
نحن نقول عليها *تنبؤ* في سهول شرق جالواي الجميلة. تلك هي الآيرلندية القديمة الصحيحة.
أوه! اسمعها مرة أخرى!...
جرى التنبؤ دائما بأن الوادي سيغدو عاليا كالتل.[69] أذكر الوقت الذي كان فيه الناس يخشون من لمس قبعاتهم تحية لحشم وخدم الإيرل، ناهيك عن الإيرل نفسه. أما الآن، فالناس هم من يتوقعون من الإيرل أن يلمس قبعته تحية لهم.
أنا نفسي رأيته ذات يوم ينحني .
العاهرة! القذرة الحقيرة المغرورة! كان من عادتها أن تعطيه الجوارب والدجاج بلا مقابل، لكي يمدوا طريقا إليها. لم يكن هناك غبار على ذلك الرجل. وكانت تعرف أن ذلك سيفيده أيضا، لأن الصيد...
ورأيته ذات يوم ينحني ...
الإيرل شخص مثقف، ...
بأمانة! أمانة مؤخرتك يا ذات القدمين النتنتين...
كانت في النبوءة *بيضة خبيثة*. تلك هي اللغم الذي قتلنا...
أن مسيخا دجالا سيأتي قبل نهاية العالم وأن ثلث الناس سيتبعونه. أعتقد فعلا أننا قريبون من هذا الآن. ومع الحالة التي عليها العالم الآن: الناس الذين يعيشون على الإعانة يلتهمون اللحم كل جمعة بنهم كأي مهرطق أسود...
... قبل أن تأتي نهاية العالم، سيكون هناك طحان في مكان ما جنوب البلاد له كعبان في إحدى قدميه. سيُسمى . كثيرا ما سمعت هذا يقال. كنت أتحدث إلى ، بعد وقت قصير من مجيئه إلى مدرستنا. وذكرت الأمر له. فقال: *صدقني إذًا، ذلك الرجل يعيش في البلدة التي جئت منها.* وأخبرني باسم المكان أيضا، فقط

لو تمكنت من تذكره! في مكان ما جنوب البلاد على أي حال. قال: *أقسم بروحي أنه كذلك، أعرفه جيدا، وليست هناك كلمة كاذبة في تلك القصة: لديه كعبان في إحدى قدميه. وهو طحان، واسمه ...*
... أن كل إنسان سيتوجب عليه أن يغمس خبزه في عرق جبينه. ألا يفعلون ذلك؟
إطلاقا! انظر إلى وهو يغمسه في عرق جبين ، وهل تظن أن ابن ، الذي تمكن من الحصول على مئات الجنيهات، يغمسه في عرق جبينه هو؟ يغمسه دائما أبدا في عرق . وقريبا جدا ستغمس خبزها في عرق ...
مستحيل! عسى ألا تعيش لترى ذلك!...
... أن رجلا يُدعى [70] سيحكم آيرلندا. وألا يحدث هذا؟
تلك ليست نبوءة على الإطلاق...
أنت كاذب! تلك نبوءة بحذافيرها...
لا تصدق نبوءة إلا إذا كان معك الكتاب الصحيح. هناك كتاب واحد فقط صحيح...
ذلك هو الكتاب الذي لديّ: النبوءات الصحيحة للقديس كولم كيلي.
انتظروا الآن. دعوني أتحدث. أنا كاتب. النبوءات الصحيحة للقديس كولم كيلي كتاب كُتب لخداع الجمهور...
أنت كاذب، أيها التافه العجوز!
هو كذلك بالفعل، وكاذب وقح!
أنا كاتب...
حتى لو كنت قد كتبت ما يملأ السماء كلها وأكثر، أنت تكذب. رجل مقدس مثل يكتب كتابا لخداع الجمهور!...
بالضبط! رجل مقدس. أنت تهين الدين. أنت مهرطق. لا عجب أن اقترب مجيء المسيخ الدجال فعلا. هل تعلم أصلا أن هناك إله؟
أقدم ساكن في المقبرة هنا. أطلب الإذن بالكلام...
رجل واحد فقط لديه النبوءة الصحيحة الآن. في قرية دوناه...
يالها من مصادفة! ابن عمك شخصيا...
في قرية دوناه لديه إياها أيضا...
يبدو أن الأنبياء هاجروا إلى بساتين قرية دوناه الفيحاء، وأصبحت الآن أرضهم المقدسة...
على الأقل يمكن العثور على النبوءة الصحيحة هناك، وهو ما لا يمكن أن يقال عن تلال قريتك الموبوءة بالبراغيث...
ابن قريتنا نبي عظيم. كنت لأقضي حياتي كلها منصتا إليه. يتكلم كلاما معقولا جدا، وكثير مما قاله تحقق بالفعل...
النبوءة الكاذبة ابن مرتفعات سافي.
ليست نبوءة كاذبة على الإطلاق. إنها النبوءة الحقيقية والخالصة ، آخر نبوءة قام بها. لكن كثيرا ما اعتاد أن يقول إن ثلثها فقط ما سيتحقق، لأن ترك ثلثي النبوءة

خاطئا...
أنت كاذب! رجل مقدس مثل ...
آه! لا تندهشوا إن رأيتم المسيخ الدجال مقبلا في أي لحظة الآن!
فلينجكم الله أنتم خاصتكم! في قريتنا لدينا نبوءة ...
ولدينا نبوءة في قريتنا...
نبوءة هي النبوءة التي لدينا في قريتنا...
سمعت نبوءة من رجل من ويست هيدلاند...
كان لدى رجل من قريتنا نبوءة . لكنه في أمريكا الآن...
كانت نبوءة شائعة جدا في منطقتنا. الرجل الذي كان يعرفها تزوج في لوخ سايد. كان يقول إن كان رجلا مقدسا. وعاش في بلاد جويس[71]...
كان لدى خالي نبوءة . وكان يسميها **...
هناك رجل مازال يعيش في قريتنا لديه نبوءة ...
... أنه سيكون هناك *طريق فوق كل أخدود ولغة إنجليزية في كل كوخ*. وها هي تتحقق! من جورت ريبوك تعرف الكثير من الإنجليزية، وليس هناك من درب يؤدي إلى أرض بلا جسر فوقه...
... أن الرومان سيتزوجون المهرطقين. ألم يتزوج أبناء هؤلاء الموجودين هنا من طليانية ويهودية وسوداء!...
احترسوا لأنفسكم الآن! لن يمر وقت طويل قبل أن تروا مسيخا دجالا. الزواج من الهراطقة... هل يعرفون حتى أن هناك ربًا؟...
ابني يعرف مثلك تماما أن هناك ربا، حتى لو تزوج من طليانية...
أن الرجل العجوز سيُقلب في الفراش ثلاث مرات...
من المؤسف يا عزيزتي أني لم أقلب من وقت لآخر. لو حدث لي هذا، ما كانت مؤخرتي المسكينة لتمتلئ بكل هذه القروح...
... أن جالواي ستفوز ببطولة عموم آيرلندا عام 1941...
في عام 1941؟ ربما في عام آخر؟...
إطلاقا. إطلاقا. ولماذا في عام آخر؟ 1941. ماذا غيره؟ أتريد أن تعارض النبوءة؟
هذه حرب الأجنبيين. كانت في النبوءة: *في العام السادس عشر ستكون آيرلندا حمراء بالدماء...* وأليست هي كذلك هذا العام؟ كانت هناك حرب في دبلن وشرق جالواي في عيد الفصح...
استيقظ يا رجل. كان هذا منذ ثلاثين عاما، أو قريبا جدا من هذا...
ماذا تقصد بمنذ ثلاثين عاما؟ كان القتال في عيد الفصح وأنا مت قرب عيد سيدتنا...
استيقظ يا رجل. أنت تظن أنك جئت إلى هنا هذا العام فقط...
هو محق بشأن العام السادس عشر...
يا ربي! اسمعني يا ابن . تحل بأوقية من العقل. لم يقل هذا قط...

إذا لم يقلها، فقد قالها . وما لديه هي نبوءة . عمي يمتلكها أيضا: *في العام السادس عشر بعد الثلاثين
ستكون آيرلندا حمراء بالدماء.
وفي العام السابع عشر ستتساءل النساء: 'رباه أين ذهب كل الرجال؟'*
نساء قرية دوناه وجورت ريبوك ومرتفعات سافي وجلين بولي وبحيرة ديري وشاناكيل يسألن ذلك السؤال بالفعل. كيف سيكون حالهن في رأيك بعد بضع سنوات، عندما لا يتبقى حتى رجل واحد؟
سمعت عمي يقول إنه في نبوءة أن امرأة وابنتها ستقفان فوق جسر بحيري ديري وستريان رجلا يقترب قادما من الشرق. سيكون أسود ولكنهما لن تجدا غضاضة في ذلك. ستندفعان كلاهما نحوه كالكلاب وستمسكان به. سيكون الرجل ممتلئا بالخوف. لكن المرأتين ستهاجم إحداهما الأخرى بعدها، وكل واحدة منهما تقول إنه ملكها. سيتمكن الرجل من الهروب بجلده وسط كل هذه الفوضى. ذلك هو الوقت الذي سيكون فيه الرجال نادرين!
لا عجب في ذلك، عندما يتزوجون الطلاينة واليهود والسود...
منذ أن وصلت الأخبار إلى الديار انطلق الرجال كلهم إلى إنجلترا. أظن أن *خريف النساء الباكيات* كما كان عمي يسميه قد اقترب كثيرا الآن. لن تتمكن نساء جورت ريبوك من الزواج، ولا نساء قرية دوناه أو مرتفعات سافي. أليس ذلك هو السبب في أني أردت بشدة أن أذهب إلى إنجلترا أنا نفسي؟ كانت النساء لتمزقنني إربا بينهن... كنت سأغدو مثل ...
اسمع هنا يا ابن ، أنت وعمك قد شوهتما سمعة نساء آيرلندا...
ألا يفعل هذا كل لحظة من اليوم؟!
اسمع هنا يا ابن ، أنت وعمك قد أهنتما الدين. مهرطقان أسودان...
الجميع يقولون إن هؤلاء الذين يغادرون البلاد هم أفضل الرجال. والسبب في ذلك كما أعتقد أننا نقترب من المسيخ الدجال ونهاية العالم، ولو تصادف أن كان الطريق الهابط إلى الجحيم موجودا في هذا الجزء من البلاد لن تكون هناك نهاية لعدد الأوغاد الذين يفدون علينا من برايت سيتي، من دبلن، وبالطبع من كافة أنحاء إنجلترا. أخشى على أخواتنا...
امسك لسانك يا ابن المزعج!...
امسك لسانك يا مزعج!...
يا ربي! أعتقد أنه لن يمر وقت طويل قبل أن تلقى إنجلترا كلها في الجحيم. ...
تقول نبوءة إن زوجة ابنها ستكون هنا في ولادتها التالية...
يا ربي!
كنت لأومن بالنبوءات أنا نفسي. لم أكن لأرغب في أي سوء تفاهم حول هذا. لا أقول إني أؤمن بأي نبوءة معينة، لكن يمكنني فهم أن الناس يمكن أن تكون لديهم تلك الموهبة. هناك مواهب لا يعرف العلم المادي شيئا عنها لأنها لا يمكن إثباتها بالتجربة. الشاعر يشبه النبي في نواح كثيرة. كان الرومان يطلقون على

الشاعر: *Vates*؛ أي الشخص الذي يمتلك رؤية أو بصيرة. ناقشت هذه النقطة في *النجم الهادي* في مجموعتي الشعرية *النجوم الذهبية*...
فليخوزقك الشيطان! كان الشيء الوحيد الذي فعلته فوق الأرض هو قصائدك عديمة النفع...
امسك لسانك أيها المزعج. كان من الصعب عليك أن تفعل أي شيء طيب فوق الأرض، حيث لم يربِ أبوك وأمك أي شيء طيب فيك. سمحا لك بالمكوث في البيت ترعى الجمرات وتحلم أحلام اليقظة، بينما قتلا أنفسهما كدًا...
... قيل في النبوءة إن الأجانب سينزلون على شاطئ ويست هيدلاند، وسينطلقون متوجهين شرقا...
إذًا سيكون هناك الكثير من الرجال لنساء جورت ريبوك وقرية دوناه ومرتفعات سافي...
أنت تهين الدين...
ثمة قائد كبير لهم سيهبط إلى النهر عند جسر بحيرة ديري ليسقي حصانه. وسيطلق عليه رجل آيرلندي النار وسيُقتل الحصان...
سيذهب ذلك القائد الكبير على الفور للبحث عن حصان آخر! هل تعتقد أنه لو رأى مهرا كبيرا جيدا سيسرقه؟...
تلك حرب الأجنبيين. كنت هناك عند غور المستنقع أرص طبقات عشب الوقود لتجف بعد تقطيعها عندما مر بي وقال: *هل سمعت آخر الأخبار؟*
قلت: *لم أسمع شيئا.*
قال: *هاجم القيصر بالأمس البلجيك المساكين..*
قلت: *إنهم يستحقون الكثير من الشفقة. هل تعتقد أنها حرب الأجنبيين؟*
استيقظ يا رجل. تلك الحرب انتهت منذ زمن بعيد...
... قال منذ يومين إن هذه قد تكون الحرب العالمية، بما أن النساء متقلبات هكذا...
قال هذا أيضا. قال: *أقسم بالله يا عزيزي هذه نهاية العالم، مع الطريقة التي فقد الناس فيها طبيعتهم الطيبة. انظر إلى كوخي الصغير المليء بالشقوق في السقف...*
عندما بدأ وكيل التأمينات عمله هنا لم يترك بيتا دخله دون أن يقول إنها حرب النبوءة. كان يقول: *الآن أو لا سبيل أبدا، يجب أن تقوم بالقليل من التأمين على نفسك. لا خوف منهم لو قتلوا شخصا مؤمنا عليه، لو أنهم لو فعلوا ذلك سيضطرون لدفع أموال أكثر من اللازم عند نهاية الحرب. كل ما عليكم فعله هو حمل ورقة التأمين معكم طوال الوقت، وإظهارها لو...*
آه! ألم يخدعني ذلك الفاشل؟...
ألعاب المهنة...
نفسها قالت منذ بضعة أيام إنها لا بد وأن تكون حرب القارات. قالت: *رخام كونيمارا شحيح، وجاء في النبوءة أنه عندما يشح رخام كونيمارا ستكونون

قريبين جدا من نهاية العالم.*
يا ربي! رخام كونيمارا. رخام كونيمارا. سأنفجر! سأنفجر!...

٤

... الصبر يا . الصبر...
اسمح لي بإنهاء قصتي يا صاحبي الطيب: *وضعت بيضة! وضعت بيضة! حمراء ساخنة على كوم الروث...*
نعم يا . رغم أنه لا يوجد فيها أي براعة فنية، إلا أني أعتقد أن بها معنى ما عميقا وغامضا. هكذا دائما القصص التي من هذه النوعية. أتعرف ما قاله فريزر في *الغصن الذهبي *... أستميحك عذرا يا . نسيت أنك لم تكن تستطيع القراءة... والآن يا ، اسمح لي أن أتكلم... يا ، اسمح لي أن أتكلم. أنا كاتب...
بأمانة يا . فشلت. لو كانت قد سارت على خطايا أنا أو على خطى ابنتي لما فشلت. لكنها سارت على خطى آل وآل . فشلت راهبات الدير تماما في وضع أي شيء في رأسها. أتصدقين يا أنها بدأت تقول لمعلماتها يا *مومس* ويا *عاهرة*!... بأمانة الله يا ، لم يستطيعوا تنظيف فمها من الكلام القذر. ماذا تنتظرين بعد سماعها لها منذ أن ولدت، وعيشها في نفس البيت مع ...
يا ربي! ...
تظاهري أنك لا تسمعينها يا يا عزيزتي. ألا ترين بنفسك الآن أن كان *مقدورا عليها أن تُبتلى..* كما يقول في رواية القبلة الحمراء الساخنة؟... أنت على حق يا . هو ابن خال . لا عجب أنه سيصبح قسا يا . كان محاطا بمقدار طيب من الثقافة منذ وُلد. كان من عادة القس أن يتردد على البيت كلما جاء لصيد الدجاج البري. وكان صائدو الدجاج البري والطيور من برايت سيتي ودبلن ومن إنجلترا يجيئون هناك بانتظام أيضا. بالطبع هي الجدة وهو مازال معها. امرأة مثقفة...
آه!... آه!...
أمه، ابنة ، كانت في أمريكا وقابلت أناسا مثقفين هناك. أمريكا مكان عظيم للثقافة يا . واعتاد الجد، ، أن يزور البيت من وقت لآخر، ورغم أنك قد لا تعتقدين في ذلك، إلا أن رجل مثقف على طريقته... هو كما تقولين يا ، لكن على الأقل كان لديه ما يكفي من الثقافة كي لا يتزوج . بأمانة...
آه!... آه!... أنت يا خلية البراغيث...
تظاهري أنك لا تسمعينها على الإطلاق يا ...
بالطبع يا ... ومع ذلك، أليس عجيبا كم يمكن أن تختلف أسرتان!... حفيدي في جورت ريبوك ابن خال آخر : وهو الشاب الذي يتحدث عنه . سيكون ضابط صف على سفينة يا . يالحظه! مارسيليا، بورسعيد، سنغافورة، باتافيا، سان فرانسيسكو... الشمس. البرتقال. البحار الزرقاء...
لكن البحر سيكون خطرا جدا بما أن الحرب بدأت...
البطل لا يتجنب قط تحدي الخطر كما قال في رواية رجلان وزمرة نساء. سعيدة، سعيدة حياة البحار يا . وعليه ثياب رومانسية جميلة هي مشتهى قلب كل امرأة.

قلت لك من قبل يا ، أنا ريفية عتيقة الطراز عن نفسي...
الرومانسية يا ، الرومانسية... لقد سقطت رأسا على عقب في حبه يا . بأمانة! لكن لا تقولي كلمة عن هذا. أنت تعرفين يا العزيزة أنك صديقتي. ستحب أن يكون لديها شيء تثرثر حوله. وبما أنها لا تملك أي نوع من الثقافة فستتخذ موقفا غير راقٍ على الإطلاق من أمور مثل هذه...
تظاهري أنك لا تسمعيها على الإطلاق يا ...
بالطبع يا . سقطت رأسا على عقب في حبه يا . كان أشبه بتمثال برونزي جديد تماما نُفخت فيه الحياة. كان بؤبؤ عينه مثل ومضة نجم على بحيرة جبلية في ليلة مثلجة. كان شعره مثل الحرير الأسود... لكن شفتيه يا . شفتاه... كانتا مشتعلتين. مشتعلتان يا . مشتعلتان من القبلة الحمراء الساخنة نفسها...
والقصص التي حكاها لي عن البلاد الأجنبية والموانئ. عن البحار المضطربة والعاصفة المندفعة تلقي بالزبد الأبيض على رؤوس الأشرعة. عن مصبات الأنهار الرملية اللامعة، في حنايا الألسن البحرية المشجرة. عن الذرى المكسوة بالثلج والمكنوسة بالريح. عن المروج المنقوعة في الشمس على حواف الغابات المظلمة... عن الطيور الأجنبية والأسماك الغريبة والحيوانات البرية. عن القبائل التي تتعامل بالحجارة كنقود، وعن قبائل أخرى تخوض الحروب للاستيلاء على الزوجات...
هذا كلام مثقف بما فيه الكفاية يا ...
عن قبائل تعبد الشيطان، وعن آلهة تشتهي الفتيات الحلابات...
هذا كلام مثقف أيضا يا ...
وعن مغامرات قام بها هو نفسه في مارسيليا وبورسعيد وسنغافورة...
أظنها مغامرات مثقفة...
آه! كنت لأمنحه آخر قطرة من دم قلبي يا ! كنت لأذهب معه كعبدة إلى مارسيليا، إلى بورسعيد، إلى سنغافورة...
لكنكما افترقتما في النهاية بعد كل هذا...
لم يكن أحدنا قد عرف الآخر إلا لفترة قصيرة وقتها. شجار عادي بين عاشقين حقيقيين يا . كان هذا كل شيء. كان يجلس إلى جواري على الأريكة. وقال: *أنت جميلة يا ، ضفائرك أكثر تألقا من شروق الشمس على ذرى جبال آيسلندا المتوجة بالثلج.* بأمانة قال هذا يا . قال: *عيناك يا أكثر لمعانا من النجم الشمالي وهو يلوح عند الأفق للبحَّار وهو يعبر خط الاستواء.* بأمانة قالها يا . قال: *وجهك أجمل يا من الأمواج المتوجة بالبياض على شطآن هاواي الناعمة.* بأمانة قال هذا يا . قال: *جسدك الرشيق أفخم يا من نخلة تطل على أسوار قصر الحريم في جاوة.* بأمانة يا قال هذا. قال: *جسدك الأبيض كالثلج أرق من الفنار الذي يرشد البحارة إلى ميناء برايت سيتي والذي يذكرني بالحضن الحبيب لجميلتي .* بأمانة، قال هذا يا . وعانقني يا . وكانت شفتاه مشتعلتين... مشتعلتين... قال: *ساقاكِ البديعتان أكثر تناسقا يا من جسر القمر الفضي فوق

خليج سان فرانسيسكو.* وأمسك بسمانة ساقي...
أمسك بسمانة ساقك يا . والآن دورك!...
بأمانة فعل ذلك يا . قلت: *De grâce لا تمسك سمانتي.* فقال: *انحناءة سمَّانتيكِ أجمل يا من دوران النوارس في أعقاب سفينة.* وأمسك بسمانتي مرة أخرى. قلت: * De grâceاترك سمانتيّ في حالهما!* فقال: سمانتا ساقيك أجمل يا من درب اللبانة، وهو مستلق على ظهره في بحار الجنوب الغاضبة.* قلت: * De grâce سيكون عليك أن تترك سمانتيّ ساقيّ في حالهما.* وأمسكت بكتاب كنت أقرأ فيه من فوق حافة النافذة وصفعته بحافته على رسغه...
لكنك أخبرتيني يا أنك ضربتيه بمقبض وعاء، كما فعلت بالضبط...
! !...
لكن هذا هو ما أخبرتيني به يا ...
De grâce يا ...
وأنه سحب سكينا يا واندفع اندفاعة مفاجئة ليطعنك؛ وبعد ذلك اعتذر وقال إنها كانت عادة في بلده أن يمسك المرء بسمانة ساق الشخص الآخر كعلامة على الصداقة...
De grâce يا . De grâce...
وأنكما التقيتما مرة أخرى بعد ذلك، وأنه في كل مرة كانت سفينته تصل فيها إلى برايت سيتي لم يكن يرفع إصبعه عن أنفه قبل أن يبحث عنك دون إبطاء...
De grâce يا . *يرفع إصبعه عن أنفه* تلك عبارة غير راقية إطلاقا...
لكن هذه بالضبط الطريقة التي وصفتِ بها الأمر أنت نفسك يا . وقلتِ إنه اعتاد أن يكتب إليك من سان فرانسيسكو وهونولولو وباتافيا وسنغافورة وبورسعيد ومارسيليا. وأنك كنتِ في الحضيض لوقت طويل عندما لم تتلقي خطابا منه، حتى أخبرك بحار أنه مات وشبع موتا بعد أن طُعن بسكين في حانة صغيرة في مارسيليا...
أف! أف! . أنت تعرفين كم أنا حساسة. سيزعجني كثيرا لو سمع أي أحد بتلك القصة. بأمانة سأنزعج يا . أنت صديقتي يا . ما قلتيه منذ قليل سيضفي عليّ سمعة فظيعة. أنه جذب سكينا! أن أفعل شيئا غير حضاري لدرجة أن أضرب أحدا بمقبض وعاء! أف!
هذا ما أخبرتيني به منذ زمن لا بأس به يا ، لكنك وقتها لم يكن لديك هذا القدر من الثقافة الذي تمتلكينه الآن...
إممم يا . يتطلب الأمر ريفية فظة مثل كي تفعل شيئا كهذا. سمعتِ وهي تقول إنها ألقت بماء مغلي على . لا بد أنها امرأة شكسة فعلا. بأمانة!...
إنه لمن المؤسف تماما أنه لم يدفن السكين حتى مقبضه فيكِ يا فضلات البحارة. أين قلتِ إنه جلس بجوارك؟ آه يا ربي الأعلى، لم يكن لدى الرجل التعس عقل كي يقوم بما هو أهل له. من السهل معرفة أنه كان سيُطعن في

النهاية لو جلس مع نسل متسخي الأقدام. لقد تلقى هدية جيدة بمفارقته لك، فعلا: يا عش القمل...
تظاهري أنك لم تسمعيها على الإطلاق يا ...
والآن يا ، لخاطر الله اسمعني. أنا أصرخ فيك طوال الساعة الماضية وأنت لا تولينني اهتماما أكثر مما يمكن أن توليه لبيضة ضفدع. لماذا لا تثق بي؟ ألم نكن أقرب المعارف فوق الأرض؟...
أقرب المعارف يا . أقرب...
قل لي إذًا يا . هل في حالة سيئة؟...
؟ الآن. . بالفعل. صدقني، هناك مثل هذا الرجل يا أستاذ. يوجد بالقطع...
يا الله! عسى أن تأتي الشياطين والعفاريت والسبعة وثلاثون مليون جني الذين كانوا حاضرين حول فراش موت البابا السادس وتأخذ إلى الجحيم معها! ألا أعرف أنه موجود؟ هل تعتقد يا أني لا أعرف أن موجود؟ هل هو في حالة سيئة ذلك الجاهل الحقير الذي يكسو الرغام شفتيه؟...
بعض الناس يقولون إنه كذلك، وبعض الناس يقولون إنه ليس كذلك. أشياء كثيرة تقال دون أن تكون فيها ذرة من حقيقة. لكن لعله في حالة سيئة. لعله كذلك، صدقني. لعله، بالتأكيد. رجل حكيم...
أتضرع إليك يا ، أن تخبرني إن كان في حالة سيئة...
آه! لعله كذلك يا أستاذ. لعله كذلك بالفعل. يمكن أن يكون كذلك يا أستاذ. يمكن بالتأكيد. آه، بالطبع لن أعرف عن نفسي...
أتوسل إليك باسم العادة الأصيلة لثرثرة الجيران، أن تخبرني إن كان في حالة سيئة... أيها الرجل الطيب ... سأحبك إلى الأبد يا ... أنت تفاحتي الذهبية يا ، لكن اخبرني هل في حالة سيئة، أم أنه من المحتمل أن يموت قريبا؟
رجل حكيم...
أتوسل إليك يا ، كرجل تزوج من امرأة -كما كنت أنا نفسي- أن تخبرني إن كان في حالة سيئة...
لعله كذلك...
يا كنز دنياي، يا بياض عيني، يا عون عمري، يا !... هل تؤمن بالملكية الخاصة على الإطلاق؟... باسم حق كل إنسان في دوام الأساس الطبيعي للزواج، أتوسل إليك يا أن تخبرني إن كان في حالة سيئة...
لو كان لديّ شيء أقوله يا أستاذ لأخبرتك به قبل أي شخص آخر، لكن لا شيء لديّ لأقوله. ينبغي على المرء أن يبقي فمه مغلقا في مكان كهذا يا أستاذ. ليس هذا مكانا للثرثرة. حتى القبور لها آذان...
فلتحل عليك سبعة آلاف لعنة الليلة والغد ولعام من الغد، أيها الشيوعي، أيها الفاشي، أيها النازي، أيها المهرطق، أيها المسيخ الدجال ذو الشعر الأحمر، أيها التعبير الصحيح عن الدم السوقي، أيها البقايا العفنة لمعازيم مائدة ريفية، يا أثر المرض، يا فضلات الذباب واليرقات ودود الأرض، أيها الحقير عديم الحياة الذي

أخاف الموت نفسه حتى اضطر لإرسال مرض سيء إليك، أيها المخلوق التافه، أيها الجلف الفاشل، أيها الوغد الأحمر...
De grâce يا أستاذ. تحكم في نفسك. تذكر أنك رجل مهذب مسيحي مثقف. لو ظللت على هذا الحال ستغدو قادرا عما قريب على الاستمرار في مباراة سجالية مع تلك الهمجية ...
أستاذ، يا أستاذ، رد عليها. أنت تملك التعليم يا أستاذ. رد عليها. رد على ...
تظاهر أنك لا تسمع الكذا والكذا على الإطلاق يا أستاذ...
الكذا والكذا! الكذا والكذا! تدعوني بالكذا والكذا! سأنفجر! سأنـ...

٥

... زجاجة فاسدة إذًا، زجاجة فاسدة. زجاجة فاسدة...
في مرة أخرى رأيتهما هما الاثنين على سطح البيت: ابن ابن ...
هل تعتقدين أني لا أعرف؟
... فعلا يا ، لو كلفني الأمر دم قلبي كنت لأحضر جنازتك. كنت مدينا بالحضور لجنازة ...
ذو الكلام المعسول يطنطن من جديد، أوليس كذلك؟ يعلم الله أني أواجه صعوبة في سماع أي قصة هنا. تلك الدودة، لعنها الله! لم يناسبها مكان غير ثقب أذني لتدخل فيه! جاءت مباشرة من قبر . هذا القبر يعج بالدود. كانت معتادة على هذا بالطبع. فقد كان لديها مسكن قذر فوق الأرض أيضا. التراب على الأرضيات تكوم عاليا كصاري سفينة، وطبقة من الوسخ على كل قطعة أثاث تحت السقف. لا عجب أنها الآن في محيطها الطبيعي في الطين. ناهيك عنها هي نفسها. كان بمقدورك أن تزرع البطاطس في أذنيها، ولم تنظف حذاءها قط قبل أن تذهب إلى القداس. كان بمقدورك أن تميز لطخات التربة الصفراء من البالوعة خارج منزلها، والتي كانت تتركها في أثرها طوال الطريق الصاعد إلى الكنيسة. ولم تكن تستريح إلا بعد أن تحشر نفسها إلى جوار المذبح أمام العاهرة الحقيرة. لو كانت تزوجت لكانا زوجين متوافقين تماما. فهو لم يغتسل قط، إلا إذا كانت القابلة قد غسلته عندما وُلد. يقولون إن النظافة فضيلة، لكني لست واثقة تماما من ذلك. إذ يبدو أن الناس القذرة تتكاثر وتزدهر أيضا. لقد حافظت على بيتي نظيفا طوال حياتي. لم تمر ليلة سبت في العام دون أن أغسل وأدعك كل شيء داخل الحوائط الأربعة للبيت. حتى عندما لم يكن بمقدوري الوقوف كنت أفعل هذا أيضا. وكل ما جنيته من هذا هو تقصير عمري.
ما هذا؟ أي نوع من الضجيج ذاك؟ رغم أن أذنيّ مسدودتان، إلا أنه مازال بمقدوره أن يمر إليهما... جثة أخرى. الوباء... التابوت يبدو أشبه بقفص دجاج قديم. هذا هو كل ما في الأمر. سيلقون بأي فاشل عجوز فوقي الآن...
من أنت؟... اللعنة عليك، هلا رفعت صوتك؟ أذناي مسدودتان... قالوا إنهم سيضعونك في هذا القبر إلى جوار أمك؟ ومع ذلك أنا لا أميز صوتك. لكنك امرأة. امرأة شابة... كنت في الثانية والعشرين فقط. أخشى أنك لا بد ضللت الطريق في *أرض الحيرة*[72]. لو تمكنت من قلب كفنك من الداخل إلى الخارج، قد تجدين طريقك. كل بناتي متن منذ زمن بعيد... لماذا لا ترفعين صوتك وتقولين لي من أنت؟!... هل أنا بحاجة إلى أي مساعدة روحية؟ أي نوع من المساعدات الروحية تتحدثين عنه؟... ما المساعدة الروحية؟...
ابنة ؟ عمك! إنه لغباء شديد منك أن تحاولي وتتطفلي على نفس القبر الذي أنا فيه. لديّ من أمثالك ما هو أكثر من اللازم حولي هنا. أنا لست حتى قريبة لك من بعيد. اذهبي إلى أمك هناك. سمعتها تولول منذ قليل. كنت عائدة إلى البيت من

جنازتها عندما أصابني ما عجل بموتي. كان المطر يهطل من قلب السماء طوال اليوم...
أف! ابتعدي عني! وباء التلال المنخفضة[73]. ابقي بعيدا، أو ليعينك الله. كان بيت عمك مكانا غير مضياف للزائرين.
ماذا قلت الآن؟... كنت تعلمين حق العلم كم كان مكانا غير مضياف!... اختلفتِ معه؟... لم تقتربي من بيته طوال العام الماضي؟ لم تخسري الشيء الكثير يا أختي العزيزة... يمكنك أن تقوليها مرة أخرى يا أختي العزيزة. أليس هذا ما قلته منذ قليل؟ لم يرش هذا الإنسان قطرة من ماء على جسده منذ وُلد... أتعلمين؟ أنت محقة في هذا: كان أبوك رجلا نظيفا جدا. لم يكن ليخطر ببال أحد أنه قريب لهذا الوغد الآخر. اعتني أبوك بأمك. كان رجلا رقيقا وطيبا جدا... زرتِ منذ حوالي العام... سألتيه إن كان بمقدورك أن تقدمي له مساعدة روحية؟ آه، لقد أسأت لنفسك تماما بعرض أي نوع من المساعدة على ذلك البائس القبيح... آه، فهمت، ذهبت إلى هناك لصالح *فيلق مريم *[74]... عندك حق، لعله لم يتلُ صلاة واحدة منذ اليوم الذي انزلق فيه إلى العالم... أهذا ما قاله لك؟... قال لك أن تبتلعي مساعدتك الروحية!... وأخبرك أن الفيلق عبارة عن ثلة من الحمير! هذا الرجل الذي لا يخشى الله ولا مريم العذراء...
البائس مريض أخيرا. فليأخذه الشيطان، لقد آن أوانه... أهذا ما قاله؟ : *أعتقد أني سأقوم بجولة هناك في أي يوم من الآن... وأضمن لك هذا القدر: ستكون هناك مشاجرات في تلك الحفر... لو كانت بغلة ...* هل أنت واثقة أنه لم يكمل ما كان يقوله؟...
ألم أخبرك بالفعل أني لا أريد... ماذا تسمينها؟... مساعدة روحية... تتحدث عن بناء بيت جديد بسقف من الإردواز؟... يكسرون الصخر من أجله. يا ربي! هذا ما قالته الحدباء الحقيرة: أنه يجب عليهم القيام بذلك، بما أن الطريق الجديد يُمد الآن حتى البيت. آه، العاهرة الحقيرة!... *وأنه سيكون هناك قس في البيت قريبا، ليكن الله في عوننا.* آه من تلك المومس!... ساقاها تخذلاها؟ سيكون خيرا لها لو لم تتمكن من السير على الطريق الجديد... الأشياء التي لا تعرفينها الآن، ستعرفين كل شيء عنها في غضون أسبوع. لكنهم كانوا خائفين جميعا من الاقتراب من بيتك.
ماذا قلتِ؟... أن مريض جدا. ذلك هو مرض الموت الآن. إنجيل القديس يوحنا. ستحصل وابنة على كومة أخرى من المال... لم تسمعي أي شيء عن إنجيل القديس يوحنا... لم تعرفي أن كان بحاجة لمساعدة روحية. هو بحاجة لكل مساعدة يمكنه الحصول عليها الآن، الرجل المسكين...
تقولين إن ذا الساق السوداء جرى مسحه بالزيت... في حالة سيئة جدا... لا تتحركان خارج البيت على الإطلاق الآن. لن تقوما بإرقاد أو ندب أي جثة أخرى من الآن فصاعدا، إذًا...
وضعوا الصليب فوق قبر منذ بضعة أيام... وفوق أيضا. بالطبع، لم يمر وقت

طويل على ذلك الفاشل الأحمر هنا... هذا ما سمعتيه: أن نصحت ألا يضع صليبا من رخام كونيمارا فوقي... ستعرفين كل شيء عن الأمر خلال أسبوع. شكرا جزيلا!... آه، فلتتأكدي يا أختي العزيزة أن هذا حقيقي. حري بها أن تقول هذا -تلك العاهرة- وابنة وابنة سيحثانها على ذلك... قال: *لو كنت مكان ، لمنحت هذه الشمطاء الضئيلة الثرثارة ما يكفيها من رخام كونيمارا... كنت لأنبش جثتها من تلك الحفرة... وألقي بها داخل كونيمارا... كنت لأضعها على أعلى قمة من الحجر هناك... مثل الرجل الموجود على العمود الكبير في دبلن...* هذا مخيف فعلا، رغم أنه على حافة الموت، إلا أن أنفاس الله لا تزين فمه... اسمعي، أقول لك، لا أريد ولا أحتاج أيا من مساعداتك الروحية...
ابنة وابنة يتحدثن سويا من جديد؟ من السهل معرفة ذلك. يا الله! وكأنه لم تحدث أي معركة بينهن أصلا، فقط ذلك النمام ابن يتفوه بالأكاذيب... صدقت يا أختي العزيزة. معركة بقرات بلا قرون. كلهن فَشَلة.... ستعرفين المزيد في غضون أسبوع...
إذًا وصل خطاب؟... لم تقل لمن ستترك المال... أوه، وكتبت أيضا... ألم تكن العاهرة الوقحة تكتب لبيت ، وهي لا صلة لها ولا علاقة به!... قالت فعلا إنها في حالة سيئة... وأنها قد كتبت وصيتها. يا ربي!... وأنها قد أعدت ضريحا في مقبرة بوسطن. ضريح! مثل الذي لدى الإيرل. ضريح فوق أختنا . خيبها الله! ألم يكن بمقدورها أن تصنع شيئا أكثر تواضعا من ضريح!... وضعت مالا في أحد البنوك كي تضمن الصيانة الدائمة للضريح. يا الله، الآن... وخصصت مالا للقداسات! ألفان ونصف من الجنيهات من أجل القداسات! ألفان ونصف من الجنيهات! لم تعد الوصية تساوي الكثير الآن. وستشفط عائلة في أمريكا بقيتها. في الحقيقة، لم يعد يهمني الأمر. لا بد أن نصيب سيكون ضئيلا الآن. لن تغني *إليانور ذات الأسرار* بعد الآن، وهي صاعدة في طريقها مارة ببيتنا...
تظنين أن لم يرد بخطاب على . إنه مغفل حقيقي إذا لم يفعل!... هلا توقفتِ عن إزعاجي حول كيف ستعرفين المزيد في غضون أسبوع! ماذا يعود عليّ بالنفع مما ستعرفيه في غضون أسبوع؟... لا يكتب خطابات لأي أحد الآن... مشغول جدا... ماذا قلتِ إنه يفعل؟... يدرس النموذج. هذا كلام غريب فعلا... يراهن على خيول السبق. أوه، أنت لست جادة في حديثك! لا يفعل شيئا في المدرسة غير القراءة عنها... انقلب القس ضده. يا إلهي! كنت أظن أنهما الاثنان يخرجان للتمشية سويا. أم أن هذا لم يكن صحيحا؟ لا ينبغي للمرء أن يصدق كلمة واحدة يسمعها في هذا المكان... ألقى عظة عنه... بالطبع سيعرف أي شخص من كان يتحدث عنه دون ذكر اسمه أو لقبه... قال: *يضيعون وقتهم ومالهم على المقامرة، والتسكع مع النساء السكيرات في برايت سيتي... سمعت عن رجل من هذه الأبرشية شرب اثنين وأربعين قدحا، وعن نساء نهمات يمكنهن أن يجرعن برميلا صغيرا من البراندي دون أن يضطررن لوضع البودرة على أنوفهن بعدها...* يا ربي لو عرف بأمر !... هناك كلام يدور عن أنه سيتخلص من ... آه، ها

نحن نبدأ من جديد! ستعرفين المزيد في غضون أسبوع... ستعرفين أشياء في غضون أسبوع، بالفعل يا أختاه، آه!...
رباه! نسي أن يرسل الخطابات الأمريكية التي كتبها ... وجدتها زوجة محشورة في بعض الملابس القديمة التي تركها خلفه عندما غير مسكنه... لا أصدق هذا! أخبرت بكل ما كان في الخطابات...
هناك شكل ما من النحس لدى : لماذا لم يأخذ الخطابات بنفسه ويضعها في صندوق البريد؟ هل تظنين أني كنت لأترك أصلا خطاباتي خلفي مع ، أو مع ؟ المعلمون أشخاص غريبون. كان واضحا دوما لي أن لديهم في أذهانهم مشاغل أكثر من خطاباتي. ألم أرَ الأستاذ القديم بينما كان يكتب لي وهو يتحرك كالمكوك من المنضدة إلى النافذة ليحاول أن يلمح الأستاذة وهي تخطر على الطريق!...
تقولين إن الأستاذة لم تكن لتكتب خطابا لأي شخص أيضا؟... مشغولة أكثر من اللازم برعاية ، العاهرة اللصة! آه، فقط لو كان قد أخذ بنصيحتي وذهب إلى المحامي، لما كان عليه أن يعتمد على أي أحد. ذلك هو الرجل الذي لم يكن ليستغرق وقتا طويلا في كتابة خطاب قوي مقابل سبعة شلنات وستة بنسات. لكن ابنة لن تتحمل فراق حتى نصف قرش... سمعتِ أن كان خائر العزم بشأن الوصية؟... هذا مزيد من خداع . بالطبع لا تعتقدين أن لديها موانع من خداع ابني في الوقت الذي تقوم فيه بخداع زوجها نفسه... * هذا صار بخير منذ ماتت أمه.* هذا ما سيقوله ... هلا توقفت عن الحديث عن مساعداتك الروحية!...
ستعود إلى المعهد من جديد؟ ستستمر على نحو طيب هذه المرة. أوه! هي لم تعاد إلى البيت في المرة الماضية؛ بل عادت من نفسها. المسكينة شعرت بالحنين إلى الديار! لا تعرفين ماذا ستكون؟... معلمة كما أظن... هذا هو كل ما سمعتيه عنها؟...
لديه الكثير من الماشية في الأرض. ليزده الله قوة!...
غادر بيته؟... السقف الراشح جعله يرحل... كان ينبغي أن يجعله يرحل منذ زمن بعيد. هذا ما قاله: *أقسم بالله أن القطرة القذرة كانت تصفعني أحيانا في فمي، وبعد ذلك في عيني، مهما كان المكان الذي أنقل فيه السرير من البيت. أعتقد أني سأذهب لأحتك بعلية القوم لما تبقى من حياتي*... جاء إلى بيت لليلتين وبعد ذلك انتقل بشكل دائم إلى بيت ؟ إذًا فقد تُركت الأرض ... لا تعرفين إن كان قد وقَّع تنازلا عنها لها أم لا. فقط المحامي من يمكن أن يعرف هذا!... لا يهمني إطلاقا ما ستعرفيه أكثر في غضون أسبوع بالضبط! بل يهمني ما تعرفيه الآن!...
قال إن: * أطيب بكثير من . أفضل أن أبقى في بيت حيث سأحتك بعلية القوم. لا أحد من علية القوم يقترب من بيت .* ستكون رأس الصغيرة كرأس السمكة متعة للناظرين بالنسبة لعلية القوم فعلا!... *علية القوم لديهم أفضل التبغ ولديهم نساء جميلات من حولهم.* قريبا ستملأ هذه العاهرة الحقيرة بطنه بالنساء. ولو شعرِت بأي أعراض مرض تنتابها ستأتي بإنجيل القديس يوحنا من

القس وسيكون أول من يخرج من الباب. من المؤسف أنه لا توجد روح طيبة مازالت حية فوق الأرض لتحذر ذلك البائس المسكين! كم تغير العالم! الحقير يحتك بعلية القوم...
لورد جاء لصيد السمك في أرض كل يوم هذا العام. تمكن من الوصول بسيارته حتى باب بيتها... والقس يأتي بسيارته إلى باب بيتها أيضا... رباه! لورد أخذ تلك الشمطاء الشعثاء معه في سيارته... أخذها لجولة في ميناء هيدلاند لتشم الهواء. إن لديه احتراما قليلا لسيارته كي يقل فيها مومسات مثلها...
وأخت القس ذهبت إلى هناك لصيد الطيور أيضا. أكانت ترتدي بنطلونا أم فستانا إذًا؟... بنطلون... هي ولورد كانا يصيدان معا. أليس من الغريب أن القس لم يوقفهما! أظن أن لورد نفسه مهرطق أسود. كان هناك كلام كثير حول أنها ستتزوج من معلم بحيرة ديري... آه! ها قد عدنا! ستعرفين بالضبط في غضون أسبوع! سيكون علينا أن نحصل لك على إذن بالعودة فوق الأرض من جديد لمدة أسبوع...
تعتقدين أن الزواج قد أُلغي؟ كنت أظن أن معلم بحيرة ديري رجل محترم وأنه لم يلمس قطرة شراب... ماذا قلت؟ أذناي مسدودتان... أنها تصاحب باستمرار ابن ؟ أن أخت القس تصاحب باستمرار ابن ! والله إنه لعالم غريب!...
ابن حذر لورد كي لا يذهب للصيد معها بعد ذلك إلا إذا كان هو نفسه معهما... ابن سمعه يقول هذا له...
ما هذا؟ أين أنت؟... إنهم يحملونك بعيدا... يعرفون أن هذا ليس قبرك... حظا سعيدا لك يا صديقتي! رغم أنك قريبة إلا أنه كان من الطيب الحديث معك. لست مثل ذلك الفاشل عديم النفع، ...

٦

... كنت أعطي كلمة مقابل كل قدح لمتعلم الآيرلندية المتحمس...
... كثيرا ما أخبرني الجزار الكبير أنه يكن احتراما كبيرا لي بسبب الاحترام الذي كان يكنه والده لوالدي...
... وراهنت حتى آخر شلن معي...
أتساءل إن كان راهن حتى آخر شلن معه الآن...
C'est l'histoire des poules, n'est-ce pas?[75]
... بأمانة يا . عقلي في حالة كسل بالغة في الفترة الأخيرة. أنا في حاجة للثقافة مثلما يحتاج كوز الذرة لضوء الشمس. وليس هناك أي ثقافة على الإطلاق هنا الآن. ينبغي أن يخجل من نفسه. عندما ينزل امرء إلى القبر ينبغي عليه أن يترك تفاهات الحياة العقيمة فوق الأرض خلفه ويستخدم وقته لتطوير عقله. كثيرا ما أقول هذا للأستاذ لكن بلا فائدة. لا يستطيع الحديث الآن إلا عن . لا بد من عمل شيء لإنقاذه. بأمانة يا . نحن لا نملك الكثير من الأشخاص المثقفين حتى نتمكن من تحمل كلفة الاستغناء عن أي واحد منهم. لا بد من منعه من محاكاة شتيمة وسباب . كلمات مثل *مومس* و*عاهرة* و*وجه المخاط* على شفتيه دائما الآن. لكاترينا تأثير سيء عليه. هذه المرأة مكانها هناك في قفار مقبرة النصف جنيه...
يا الجربانة...
تظاهري أنك لا تسمعينها على الإطلاق يا ...
بالطبع يا . أنوي المضي قدما بالاعتماد على نفسي وإنشاء جماعة ثقافية في هذا المكان. أعتقد أنه يمكن عمل الكثير لتحسين عقول الناس هنا ومنح مشاعرهم الثقافية اتساعا وأفقا. ستجري مناقشة مجموعة واسعة من الموضوعات، من المسائل السياسية إلى الاتصالات والاقتصاد والعلم والتعلم والتعليم وما إلى ذلك. لكنها ستناقَش بأسلوب صحيح وأكاديمي، بغض النظر عن الجنس أو العرق أو الدين. لن يُمنع أي شخص مقبول في هذا الجماعة من التعبير عن آرائه، والمؤهل الوحيد للعضوية سيكون حب الثقافة...
هل تعتقدين أني لسبب ما كنت أفكر في الثقافة عندما أمسكت بمقبض الوعاء وضربت به...
De grâce يا . *الرب يغفر الخطايا الكبيرة، لكن نحن من لا نستطيع أن نغفر لأنفسنا الخطايا الصغيرة.* كما قالت لمدام عندما كانتا تتقاتلان حول . سنسعى لبث المعلومات عن جوانب الحياة الأخرى -الشؤون الخارجية على وجه الخصوص- وبقيامنا بهذا نمنح مجموعات مختلفة من الناس فهما لبعضهم البعض. سنعقد بانتظام نقاشات ومحاضرات وسهرات وطلبات استجواب وجلسات حوار ودورية محترمة وندوة ومناقشة ومدرسة صيفية وعطلات نهاية أسبوع وطلب معلومات من أجل مناطق النصف جنيه. ستكون هذه الجماعة

عونا عظيما لقضية الثقافة والسلام واسعي النطاق. هذا النوع من الجماعات يُسمى بالروتاري. والأشخاص المثقفون مثل الإيرل يكونون مشتركين في الروتاري...
والبحَّارة...
تظاهري أنك لا تسمعينها على الإطلاق يا ...
بالطبع يا . سأفعل. لكن هذا مثال جيد على نوعية الآراء التي يجب محوها عن طريق الضوء الساطع للروتاري. ليست الشخص الوحيد الذي لديه عقلية كهذه. لو كانت، لما اهتم المرء، لكن هذا التصور شائع إلى حد كبير. البحارة جماعة مثيرة للاهتمام. فقط العقل الضيق غير المثقف هو من ينتقدهم...
لولا تلك السكاكين التي يحملونها يا ...
De grâce . هذا تصور آخر لا بد من محوه...
من أيضا سيكون في الروتاري يا ؟
لست متأكدة تماما بعد. أنت يا . الأستاذ الكبير. . ...
الشاعر...
ليخوزقه الشيطان، ذلك الشقي الصفيق...
... لكنك لم تقرئي *النجوم الذهبية * يا ؟
ممنوع الاستثناءات الجهنمية أيها الرجل العجوز! لن تُقبل. بأمانة! أنت منحط!...
ينبغي السماح بالانضمام للجماعة. لقد ذهبت إلى السينما مرة في برايت سيتي...
صدقوا إذًا، لقد ذهبت إلى هناك مع الفتى، في المرة التي اشترينا فيها المهر...
انتظروا الآن. أنا كاتب...
لا يمكن السماح لك بالدخول. لو انضممت ستمزق المقبرة نصفين. فقد أهنت .
... لا فائدة من قرائتها. ولن أستمع إلى قصيدتك غروب الشمس. بأمانة! لن أسمعها... لا فائدة من الضغط عليّ: لن أستمع. لديّ عقل ليبرالي جدا، لكن مع ذلك ثمة مستوى ما من اللياقة يجب الحفاظ عليه... أنا امرأة... لن أستمع. بأمانة!... لن تُقبل. كتابتك جويسية الطابع... لن تغير رأيي. لن أستمع لغروب الشمس. لديك ذهن منحط كي تكتب شيئا كهذا... وتعمل الآن على حلم الديناصور... لن أستمع. حلم الديناصور. هراء جويسي[76] فعلا. أنت عينة منحطة جدا من البشر... لن تُقبل حتى تحفظ كل كلمة من الإحدى وستين عظة عن ظهر قلب...
أقترح قبول الرجل الفرنسي. إنه متحمس للآيرلندية. وهو يتعلم اللغة بسرعة شديدة...
إنه يكتب أطروحة عن الحروف الساكنة الخارجة من ثنايا الأنياب في لهجة أهل النصف جنيه. ويقول إن لثتهم صارت ثلمة الآن بدرجة كافية للقيام بدراسة شاملة لأصواتهم...
يعتقد المعهد أنه قد تعلم الآيرلندية أكثرِ من اللازم -من النوع الذي لم يصبح ميتا

خلال الفترة المحددة- وهناك شك في أن بعض كلماته *ايرلندية إحيائية*، عليه أن ينسى كل مقطع قبل أن يكون مؤهلا للقيام بالدراسة على نحو صحيح.
كما ينوي أن يجمع ويحفظ كل الفلكلور الضائع حتى تتمكن الأجيال القادمة من الجثامين الغايلية من معرفة نوعية الحياة التي كانت في جمهورية الجثامين الغايلية في الماضي. ويقول إنه لا يوجد حكاء قصص تقليدي مثل في روسيا الآن، ولن يكون هناك مثيل له مرة أخرى. ويعتقد أنه سيكون من السهل إنشاء متحف فلكلور للمقبرة وأنه لن تكون هناك صعوبة في الحصول على منحة للقيام بهذا...
آه! لكن ألم يكن ذلك الشخص البدين يحارب ضد ...
فليُقبل...
أشكركم جميعا، *mes amis! Merci beaucoup...*[77]
ضد الروتاري...
لو كان، فلتذهبوا أنتم والروتاري خاصتكم إلى الجحيم!...
... رجل شرب اثنين وأربعين قدحا! في الحقيقة لن تُقبل، ولا في *مدمنو الكحول المجهولون * ولا في *ماونت ميلاري *[78]. لن تُقبل في أي مكان غير *السكارى المحدودون*...
صدقوا إذًا، شربت اثنين وأربعين قدحا!...
لكن كان من عادتها شرب ضعف هذا القدر في الخفاء...
اخرس أيها الشقي الحقير!
بالطبع من المستحيل أن تقبلي أي شخص من نسل ذوي الأذن الواحدة. لو فعلتِ، ستُطعني...
... كيف يمكن أن تُقبل في الروتاري وأنت لا تعرف جداول الضرب؟...
لكني أعرفها. اسمع. اثناشر في واحد تساوي اثنا عشر. اثنا عشر في اثنين...
... كيف لك أن تُقبل وأنت رجل قتل نفسه كي يذهب لرؤية ؟ كانت هذه ميتة غير مثقفة تماما...
سيُقبل بائع الكتب. لقد تعامل مع آلاف الكتب...
ووكيل التأمين. فقد اعتاد على حل الكلمات المتقاطعة...
ذو الكلام المعسول. كان مرتاد جنازات جيدا...
... ولماذا لا تُقبل؟ أليس ابنك متزوجا من سوداء! والسود جنس مثقف، نوعا ما. على الأقل هم أكثر ثقافة من الطلاينة الذين تزوج ابنك منهم...
ينبغي قبول . لديها مائدة مستديرة في البيت...
وخزانة ...
وهي تعرف المحامي جيدا...
وابنة ابنها ستكون معلمة...
وينبغي قبول ابنة . كانت في . وهي تقدم المساعدة الروحية للناس...
من السهل معرفة ذلك، مع كل ثرثرتها! لم تتوقف عن الكلام منذ أن ألقت

مرساتها هنا...
أنت تهين...
لو هذا هو الحال، فينبغي قبول مديرة مكتب البريد. فقد كانت مسؤولة المعلومات والتحريات في ، ولا يمكن أن تكون إلا محشوة تماما بالثقافة بعد كل ما قرأته...
أيضا. كان ابنها وكيل عريف بحرية في الفيلق، وكان لديها مؤسسة ائتمانية هي نفسها...
. وضعت امرأته العجوز نعشه في سيارة نقل الموتى خوفا من أن تهتز أمعاؤه المسكينة...
فليكن كما تقول...
كان كل من في بيت في الفيلق...
وابنه يخرج مع أخت القس...
أهل بيته كلهم سرقوا عشبي...
ومطرقتي...
أنتم تهينون الدين. أنتم مهرطقون سود...
ستُقبل. كان الجزار الكبير في جنازتك، أليس كذلك؟...
سيكون عضوا جيدا في الروتاري. إنه صديق للثقافة.
. لقد ذهب إلى دبلن...
. فهي تقابل الكثير من ناس الروتاري. لورد ...
أطلب الإذن بالحديث. الإذن...
سيلقي المحاضرة الأولى للروتاري. *قلبي*...
ثم : *تسليف النقود*...
: *سهول شرق جالواي الجميلة*...
: *قروح الفراش*...
ثم الأستاذ الكبير: **...
والرجل الذي هناك: *الوسيلة المباشرة لالتواء الكاحل*...
: *جمال *...
آه! البائس ذو القدمين المسطحتين...
ثم ...
لن أقول شيئا، لن أفعل بالفعل. لا شيء...
ستلقي محاضرة عن أنبياء قرية دوناه...
وأنت، ستكون محاضرتك عن تلال قريتكم الموبوءة بالبراغيث...
... بأمانة يا ، لم يمر يوم قط دون أن أكون حريصة على الثقافة. كل من يقول لك إني بدأت هنا هو شخص متحامل، أؤكد لك. عندما كنت فتاة صغيرة في برايت سيتي، وبمجرد عودتي إلى البيت من الدير وانتهائي من عشائي كنت أخرج على الفور مرة أخرى بحِثا عن النشاط الثقافي. كان هذا عندما قابلت البحَّار...

لم تخبريني قط يا أنك كنت تحضرين دروسا في الدير...
De grâce يا . كثيرا ما أخبرتك، لكنك نسيتِ. لا بد أن تدركي أني كنت أضع اللمسات الأخيرة لتعليمي في برايت سيتي، وكنت مقيمة عند قريبة لي، أرملة اسمها ...
أنت كاذبة لعينة يا . لم تكن قريبة لك. كنت خادمة عندها. كان من العجب العجاب أن تسمح لك ولمخزونك من البراغيث بالدخول إلى بيتها أصلا. لكن بمجرد أن علمت بأمر تسكعك مع البحارة جلدتك بعود من نبات القراص على مؤخرتك وأعادتك إلى جورت ريبوك، جورت ريبوك أرض البط والبرك والبراغيث والأقدام النتنة. لم أكن لأهتم، لكن أن تقول إنها كانت تذهب إلى المدرسة في برايت سيتي...
تظاهري أنك لا تسمعيها على الإطلاق...
يا خبر يا ، هذا القطاع لا حق له في الكلام إطلاقا. راقدة هناك دون صليب أو نقش فوقها، كخطاب مرسل دون عنوان...
كوني شاكرة لأخيك العبيط يا ...
ابنك في الديار ولا يستطيع تحمل أن يدفع التأمين الذي قمت به على . وبمجرد أن عرف بذلك، غادر بيتك وذهب إلى ...
آه! آه!...
سواء آه أو أوه، تلك هي الحقيقة. لقد ترك ابنك أرضه ، وكل الماشية في حيازتك الآن هي ماشية مستأجرة من ...
أوه! أوه! أوه!...
ولو تمادى أكثر من ذلك في الطريق الذي يسير فيه، سيضطر إلى بيع الأرض. لا يستحق الرجل زوجة إذا لم يستطع التكفل بالحفاظ عليها. لقد أعطيته ابنتي لأني لم أرد أن أكون عقبة في سبيل حب جدير بالشفقة. وكان ذلك هو السبب الوحيد لحصوله عليها. كنت دائما رومانسية. لكن سواء كنت رومانسية أو لا، لو عرفت فعلا ما كنت مقبلة عليه، لو عرفت فعلا ما كانت ابنتي مقبلة عليه...
... ما هذا؟... جثة أخرى... جثة جديدة... لن أقبل بأي تعامل معك في هذا القبر. قبر الميت قلعته. يوجد هنا احترام للملكية الخاصة...
ابتعد عني! وحق بلوط هذا التابوت، لن تنزل فوقي. سأنضم إلى الروتاري...
... السلام هو ما أريده، وليس الصحبة. سأنضم إلى الروتاري...
... ستؤذيني. وأنا بالفعل لديّ قروح فراش...
قلبي عليل...
... ابتعد خارج هذا القبر. لن أخبرك بأي شيء. للقبور آذان. ألا تعتقد أنه من السهل عليك تمييزنا جميعا؟ لدينا صلبان فوقنا. ومع ذلك، فقد حفروا قبرك وتمادوا في الاقتراب نحوي. آه! فلتذهب هناك نحو . هناك قرب !...
إنها تحب الترحيب بكل جثة جديدة. ستمنحك الكثير من الثرثرة...
إنهم يلقون فوقها بأي شخص لا يستطيعون العثور على مكان له في المقبرة...

لا بد أنك قد وطأت على أرض التيه حتى أنك لم تذهب إليها. لا صليب فوقها...
ولن تُقبل في الروتاري...
يا ! يا ! يا ! يا ! يا ! يا ! يا ! يا ! لديه شيء يقوله! سأنفجر!

67 في الخط الآيرلندي القديم نقطة التليين أو الإضعاف dot of lenition هي نقطة توضع فوق حرف ساكن لتشير إلى تليين الصوت. *من هوامش الترجمة إلى الإنجليزية *
68 قال السيد تشرشل إنه سيعود لتحرير فرنسا، الأرض المقدسة. يا صديقي، سيستولي الديجوليون الفرنسيون والأمريكان والإنجليز على فرنسا. هذا وعد من السيدين تشرشل وروزفلت... هذه نبوءة... نبوءة... نبوءة، أنا مؤمن بالآيرلنديين.
69 من مجموعة نبوءات غامضة منسوبة إلى القديس كولم كيلي وانتشرت على نطاق موسع في كتب وروايات شفاهية. *من هوامش الترجمة إلى الإنجليزية *
70 ترجمته الحرفية هواء الشيطان وبالآيرلندية: Dúil Aeir الهواء باعتباره واحدا من العناصر الأساسية الأربعة، والاسم له وقع يشبه وقع اسم دي فاليرا السياسي الآيرلندي الذي تولى رئاسة الوزراء والجمهورية. *من هوامش الترجمة إلى الإنجليزية *
71 منطقة جبلية في شمال شرق كونيمارا، استعمرها في العصور الوسطى الجويسيون الويلزيون-النورمانديون. *من هوامش الترجمة إلى الإنجليزية *
72 *أرض التيه* قطعة من الأرض يقال إنها تجعلك تضل طريقك لو وطأتها. والعلاج هو أن تقلب معطفك من الداخل إلى الخارج. *من هوامش الترجمة إلى الإنجليزية *
73 تفشي التيفود في قرية سبيدال... د. تشارلز ماكون، الذي يشغل مؤقتا منصب المسؤول الطبي للمقاطعة... يسعى للتغلب على تفشي الوباء...* *آيريش تايمز، ١٤ نوفمبر ١٩٤٢ *. *من هوامش الترجمة إلى الإنجليزية *
74 منظمة كاثوليكية علمانية تأسست عام ١٩٢١. *من هوامش الترجمة إلى الإنجليزية *
75 هذه قصة الدجاج، أليس كذلك؟
76 سمع أوكاين هذه العبارة في حافلة في دبلن، عندما كانت رواية طين المقابر تُنشر مسلسلة في جريدة آيريش برس: *هذا الشخص المدعو أوكاين. إنه أخرق حقيقي. هراء جويسي -نسبة لجيمس جويس-. *من هوامش الترجمة إلى الإنجليزية *
77 يا أصدقائي، شكرا جزيلا...
78 دير سيسترسياني في مقاطعة ووترفورد. *من هوامش الترجمة إلى الإنجليزية *

الفاصلة الثامنة
الطين المحروق
١
أنا نفير المقبرة. فليُسمع صوتي. لا بد أن يُسمع...
التراب الأحمر المحروث غير مرحب بحواشيه من الثلج. وقلب الطين حامض الطعم. لأن هذا هو مرج الدموع...
حُلة الربيع الجديدة يجري تفصيلها كي تزين سطح الأرض. والسيقان الصغيرة الرقيقة للذرة التي تأخر نضجها، والابتسامة الخضراء الباهتة التي تتقافز في كل أنحاء الطين العاري؛ هما الخيط العريض في هذه الحُلة. وأشعة الشمس -مثل الذهب الخالص على أكتاف السحب- هي حواشيها. وأزرارها هي عناقيد أزهار الربيع في أذرع السياجات المرحبة، وفي ثنايا كل سور، وفي ظل كل جرف. بطانتها هي أغنية الحب التي تشدو بها القُبَّرة، تنساب نحو الحارث من القبة الزرقاء عبر ضباب أبريل الخفيف، والأيكة التي صارت قيثارة رقيقة مع الأغنية المرافقة من طيور الشحرور. أما الوثبات المرحة للصبي الذي نال مكافأة عثوره على حمل وليد فوق المرتفعات الوعرة، والنغمة البهيجة للمراكبي الذي يرفع شراعه وسط رغاء المويجات المرحبة، فهي خيوط الأمل التي تخيط جمال العين والقلب الزائل وتربطه بالمجد الأبدي، وهو الناحية المقلوبة من هذا الرداء الفاني المكون من الأرض والبحر والسماء...
لكن الخيوط التي يمررها الحائك عبر عين إبرته هي الآن قوس قزح شاحب. ومقصات العاصفة تمزق الأزرار. القماش يلوكه المنجل القاطع بسلاسة. والحاشية الذهبية تتهرأ في الحقل حيث تتساقط بذور الذرة من رؤوسها...
العاصفة السحرية تهدر في الحظيرة وتكتسح كل قرن ذرة وحزمة شعير وقشرة تبن بقوا من حصاد العام الماضي.
ثمة رجفة في أغنية الفتاة الحلابة بينما تعود من مرعى الصيف. فهي تعرف أن القطيع سينتقل قريبا إلى مكان الحلب القديم قرب البيت...
لأن الربيع والصيف قد انسلا بعيدا خلسة. اختزنهما السنجاب في جحره أسفل الشجرة. لقد اختفيا على أجنحة العصافير ونور الشمس...
أنا نفير المقبرة. فليُسمع صوتي! لا بد أن يُسمع...

٢

... *هو-هو-رو، يا ، بأحزمتك وأمتعتك
حبيبتي في كومة الشعير...*
ما هذا؟ ذو الساق السوداء، أقسم أنه هو، وهو يغني لنفسه. مرحبا بك يا !
هو-هو-رو، يا ، بأحزمتك وأمتعتك...
أقسم أنك بخير ومَرِح كما أنت، يا صديقي الطيب أسود الساق...
قسما بدموع وجروح المسيح، من يخاطبني؟
. ...
وحق دموع وجروح المسيح، . سنكون جارين مرة أخرى إذًا...
إنهم لا يدفنونك في المكان الصحيح يا .
وحق دموع وجروح المسيح يا ، بالطبع لا يهم المرء أين ستلقى كومة عظامه.
هو-هو-رو، يا ...
يبدو أن الموت لم يزعجك كثيرا يا . ماذا كان سبب موتك؟
وحق دموع وجروح المسيح يا ، ألم تسمعي أن الجواد لا يمكنه الحفاظ على سرعته للأبد، كما قال عن...
آه! ذلك السليط المتبجح!
لم يكن هناك سبب على الإطلاق، غير أني رقدت دون أثر من حياة. وحق دموع وجروح المسيح، لكن أليس هذا سببا كافيا؟! *هو-هو-رو...*
كيف يبدون الآن هناك بالأعلى يا ؟...
وحق دموع وجروح المسيح يا ، تماما كما رأيتيهم دائما. يكسبون واحدا ويخسرون واحدا ويبقى واحد بين بين. أليس هكذا تكون الأمور وهكذا يجب أن تكون، مثل بندقية تُحشى وبعد ذلك تُطلق، كما قال ...
آه، صدِّق إذًا، هو مطلق النار، فعلا...
لم يخرج من بيته يا ، منذ ذهب لرؤية بعد دهن جسده بالزيت[79]. أقعده الحزن بعد ...
كانا متوافقين تماما، النحس أحمر الشعر والبائس القبيح ذو الأنف السيال...
كنت أنصت إليه تلك الليلة وهو ينصح هناك في الحجرة. قال: *وحق دموع وجروح المسيح، إذا كنت ستقوم بجولة هناك، يا ، وإذا قابلتها في جولاتك، فاحرص ألا تخبرها بشيء. إذا لم تكن قد تغيرت كثيرا، ستبحث عن النميمة...*
لكن من هي يا ؟
وحق دموع وجروح المسيح يا ، لا يصح لي ولا يليق بي أن أجيب على سؤال كهذا...
آه! ، لخاطر الرب، لا تجعل من نفسك . هذا هو مسلكه منذ جاء إلى طين المقابر...
وحق دموع وجروح المسيح، إذا كانت هناك مشكلات ستحدث، فلتحدث

المشكلات. أنت. ومن غيرك يا ؟
أنا يا ؟ أنا أبحث عن النميمة! إنه كاذب لعين. فم هذا الرجل الكبير سيظل يدخله في مشكلات حتى يضع الموت قفله على لسانه...
أرى أن هذا لن يكون بعد وقت طويل من الآن يا .
مرحبا به بحق الشيطان...
وحق دموع وجروح المسيح، ألا تعرفين أنه رجل محتضر إذ لم يملك الشجاعة لحضور جنازة ؟!...
رباه! جنازة ! جنازة ! ! ! أنت تنطق بالأكاذيب يا ابن الساق السوداء...
وحق دموع وجروح المسيح، أليس هو هنا منذ ثلاثة أسابيع!
رباه! وويلاه دائما أبدا! هنا طوال هذه الفترة ولم تخبرني والآخرون. آه! لقد انقلب هذا المكان رأسا على عقب بيد يا . خمن ماذا تخطط له الآن؟... روتاري!...
وحق دموع وجروح المسيح، روتاري! *هو-هو-رو، يا ، بأحزمتك وأمتعتك...*
! ! هنا! من السهل معرفة أنه لم يكن ليعيش طويلا. إنجيل القديس يوحنا...
وحق دموع وجروح المسيح، إنجيل القديس يوحنا يا !...
إنجيل القديس يوحنا، تجلبه تلك العاهرة بالتملق من القس، وماذا غير ذلك؟ ! !
في المقبرة طوال الأسابيع الثلاثة الماضية وأنا لم أعرف. هؤلاء المغفلون لن يخبروا أحدا بشيء، خاصة منذ تلك الانتخابات اللعينة. الأبله القحبة النحس كلهم تكوموا في قبر واحد معي. ! ...
وحق دموع وجروح المسيح يا ، بالطبع لا يهم المرء -إلا إذا كان يريد أن يجعل من نفسه أحمق بشأن هذا!- من سيشاركه قبره. *هو-هو-رو، يا ...*
أراهن أن كانت في أفضل حالات زهوها يوم الجنازة! تتأنق وتتألق دون أقل أثر من شفقة على المخلوق المسكين الذي أرقدته رقدة الموت. دفنته في أرض الجنيه بالطبع؟...
في قبر إلى جوار ...
تلك العاهرة، . جاك المسكين بجواره بضاعة فاسدة. تلك الغانية سليطة اللسان ستفتري عليه. لكن ماذا يهم ذات الشعر الملبد غير أن تلقي به في أي حفرة قديمة...
وحق دموع وجروح المسيح يا ، لقد أتت له بقبر جاف ولطيف إلى جوار ، واستأجرت عربة لنقل الموتى، وكان هناك الكثير من كل شيء في ليلة الدفن وفي الجنازة، غير أنها لم تدع أحدا يشرب حتى الثمالة، وأقامت قداسا كبيرا له، مثل ذلك الذي أقيم ، كان هناك أربعة أو خمسة قساوسة ينشدون، وفي الشرفة بالأعلى كان الإيرل ولورد وصياد الطيور الآخر ذاك الذي يأتي هناك... وحق دموع وجروح المسيح، ماذا كان يمكنها أن تفعل غير ذلك؟...
مازالت مغرمة جدا بالقساوسة واللوردات. لكني سأجازف بأي رهان على أنها لم تذرف ولو دمعة واحدة على الرجل المسكين. رباه! هي وابنة لم تباليا إلا

بالتخلص من الرجل المسكين بعيدا عن البيت، بعيدا عن طريقهما...
وحق دموع وجروح المسيح يا ، هي وابنة ناحتا عليه بالدموع. والجميع يقولون إنهم لم يسمعوا قط نواحا أفضل من ذلك من ...
! ظننت أن هذه المتسولة طريحة الفراش الآن...
وحق دموع وجروح المسيح، هي كذلك أيضا! ألم يقل عنها وعن : *لقد دهن القس هؤلاء الثلاثة بمقدار كبير من الزيت حتى أنه لن تبقى لنا قطرة واحدة عندما نحتاجه...*؟
في الحقيقة، لا يستحق هذا البائس القبيح أي زيت! جاءت إلى ؟...
وحق دموع وجروح المسيح، ألم ترسل سيارة لتحضرها هي ؟ لكن قررت أن تمشي...
أنعشتها رائحة الجثة، وماذا أيضا؟...
قالت وهي ترقد : *وحق دموع وجروح المسيح، لو كنت سأُحمل غدا على أعمدة النعش أنا نفسي لما أمكنني غير القدوم، باعتبار من طلب مني المجيء على وجه الخصوص.*
المتسولة! الحقيرة! ذهبتا إلى لكنهما لا تذهبان إلى الناس المحترمين إطلاقا. لم أكن لأغبط على هذا، الرجل المسكين، لولا تلك العاهرة الحقيرة الشعثاء الأخرى. ! ...
لن يمر وقت طويل قبل أن يتوجب على أحدهم أن ينوح على نفسها. وحق دموع وجروح المسيح، ألم تسقط في طريق عودتها للبيت من جنازة ، وألم يضطروا لإرسالها بالسيارة إلى البيت مرة أخرى؟...
سكرانة! كما كانت غالبا...
مرضت. ولم تنهض من وقتها. *هو-هو-رو، يا ، بأحزمتك وأمتعتك...*
هل لدى نفسها أي نية في القدوم هنا؟
تقول إنها ليست بخير. لكن وحق دموع وجروح المسيح على أي حال، جاءت لتعودني، وأعتقد أني لم أرها قط تبدو شابة هكذا.
هذا لأنها فرحة بالتخلص من . ! ...
وحق دموع وجروح المسيح يا ، أليس من السهل عليها، مع وجود سيارة تحت مؤخرتها، أن تذهب إلى أي مكان تريده؟...
في سيارة لورد . أليس لديها قليل من الحياء أو الخجل فتخرج هكذا رفقة رجل آخر! !...
وحق دموع وجروح المسيح، ليست مضطرة لذلك يا . لديها سيارة خاصة بها!
سيارة خاصة بها!
ندمي الوحيد فيما يتعلق بمفارقة الحياة هو أني لم أحظ بركوبة فيها. وعدتني هي أن يأخذاني إلى أي مكان في البلد أريده، لكن وحق دموع وجروح المسيح، رقدت دون أثر من حياة باقية!...
رباه! لا يمكن ان تكون تلك السيارة ملكها، يا ابن الساقِ السوداء!...

ملكها وملك ابنها . وحق دموع وجروح المسيح يا ، ألم تسمعي أنها اشترت سيارة ؟
آه! لم تفعل! لم تفعل! يا يا ...
وحق دموع وجروح المسيح يا ، فعلتها. ليس صالحا للعمل الشاق بسبب ساقه. لن يتمكن قط من تحمل أي إجهاد عليها، رغم أنك لن تلاحظي أي عرج في مشيته. وهو يكسب مالا كثيرا بالسيارة، حيث يأخذ الناس إلى الأماكن في سرعة.
أظن أنه لا نهاية للضوضاء التي تصنعها بها وهي مارة ببيتنا. ألست محظوظة لأني لست حية يا ؟...
وحق دموع وجروح المسيح، وهي ترتدي قبعة في أي يوم تسافر فيه بعيدا عن البيت!...
آه! ! يا يا ! قبعة...
قبعة فاخرة كالقبعة التي ترتديها زوجة الإيرل...
أنا مقتنعة تماما يا أنها قد شفطت بعض المال من ...
وحق دموع وجروح المسيح يا ، بالطبع فعلت، ومنذ أربعة شهور! ألفا جنيه!
ألفا جنيه! ألفا جنيه يا يا !...
ألفا جنيه يا ! وحق دموع وجروح المسيح، وبهذه الطريقة اشترت السيارة، وستضع نافذة كبيرة فاخرة في الكنيسة!...
لديها سبب وجيه لتبدي امتنانها للقس. لكني أقسم على الكتاب المقدس يا ، أن لم تكن لترفع مخالبها عن مالها إلا بعد موتها!...
وحق دموع وجروح المسيح، ألم تمت منذ فترة طويلة! حصلت على ألف قبل موتها، وألف أخرى بعده. ولديها بضع مئات باقية لم تحصل عليها بعد، وستضعها في البنك هناك لتنفق منها على الفتى الذي سيغدو قسا...
رباه! ما سيحصل عليه ابني لن يغطي راحة يده...
بعض الناس يقولون إنه سيحصل على الكثير، لكن لن يكون بمقدار ما حصلت عليه . وحق دموع وجروح المسيح، إنه متسامح للغاية حتى أنه لا يتساءل عن الأمر!...
لقد خدعته .
هو-هو-رو، يا ، بأحزمتك وأمتعتك...
آه! يا ربي الرحيم القدير! وصية . المسكين، مثل عصاة محترقة ملقاة في الزبالة، وابنها بقي حيا بفضل إنجيل القديس يوحنا. طريق جديد صاعد إلى بيتها. ابن ابنها سيكون قسا. العاهرة تبني بيتا بسقف من الإردواز. سيارة. أرض . ...
وحق دموع وجروح المسيح يا ، لا يملك أحد أرض .
لكن أليس هو مقيما في بيت ؟
لا وحق دموع وجروح المسيح، ليس لوقت طويل. إنه في بيت ابنك ، وماشية في أرضه. لم يعجبه علية القوم الذين يترددون على بِيت . قال : *أقسمِ بالله أنهم

ليسوا في نصف الكرم الذي من المفترض بهم أن يكونوا عليه. لم أتمكن من النوم ولو غمضة عين هناك. سيارات تهدر في الخارج ليلا ونهارا، تقطيع ودق وطَرق من الصباح إلى المساء. ألم يفلسوا ببيوتهم ذات السقوف الإردوازية! بالله انظر إليّ، وليس هناك بقعة جافة من أجل الفراش في كوخي، حيث تصفعني قطرة المطر بين فمي وعيني...*
لم ينطق بكلمة كاذبة وحق الشيطان في حق البيوت ذات السقوف الإردوازية...
تركت له مائتي جنيه في وصيتها، وحق دموع وجروح المسيح، وبالطبع لم يرفع خطمه من الشراب من وقتها. وبيت بعيد جدا عن الحانات بالنسبة له...
الفاشل عديم النفع، ...
فاشل عديم النفع بالفعل. تلك هي الحقيقة الصادقة يا . فاشل عديم النفع بالفعل. وحق دموع وجروح المسيح، ألم أقل هذا كثيرا أنا نفسي؟ أنه فاشل عديم النفع. أي رجل يغادر بيت بطريقة غاضبة لأنه لم يُسمح له بركوب السيارة...
لكن يا ، ألم يكن هو في نفس مستوى الرعاع الذين سُمح لهم بركوبها؟...
وحق دموع وجروح المسيح يا ، عندما حصلت على السيارة في البداية، قلما كان يخرج منها أصلا. يتنسم الهواء في أرجاء الريف كل يوم وعلى وجهه تلك الابتسامة السخيفة -إلى برايت سيتي، إلى جانب البحيرة، إلى مرفأ هيدلاند- هو ...
البائس القبيح...
وحق دموع وجروح المسيح، لم يكن بمقدور ابن أن يدخل السيارة دون أن يكون الاثنان جالسين قرب فخذه. كان يحاول أن يكسب القليل من المال، ولم يكن من المناسب له أن يجد خياليّ المآتة العجوزين هذين يعششان في سيارته. يقول البعض إن هذا كان هو السبب وراء صحة المتداعية – أنه حُرم من السيارة. على الأقل في هذا الوقت تقريبا بدأ يلزم بيته...
عليه لعنة الله في كل حال، ألم يأت أوانه! الأخرق في سيارة! ياله من منظر رائع!
وحق دموع وجروح المسيح يا ، الم يكن منظرا رائعا مثله مثل منظر في السيارة! استأجر ابن ذات ليلة ابن كي يأخذه هو وأخت القس إلى الرقص في برايت سيتي. كان قد عاد إلى بيته للتو من حانة ، وحق جروح ودموع المسيح، ماذا تظنين غير أنه جلس داخل السيارة! وقال: *سأذهب إلى الرقص أيضا. أقسم بالله، ستكون هناك نساء جميلات.*
البصباص العجوز...
كان ينفخ ويدخن كالمجنون، وحق دموع وجروح المسيح، بصق بصقة كبيرة! لم يقل أحد شيئا يا ، لكني سمعت أن قال بعد ذلك إن أخت القس اضطرت لتغيير بنطلونها قبل الذهاب إلى الرقص...
تستحق هذا، تلك العاهرة الصفيقة، لركوبها سيارة الفضولية...

طلب ابن من أن يذهب إلى البيت، فقال: *والله لن أفعل...*
فلينعم عليه الله بالعمر والصحة!...
طلبت منه ابنة أن يدخل، فقال: *والله لأذهب إلى الرقص...*
فعل خيرا، ألا يولي اهتماما لابنة القبيح...
وحق دموع وجروح المسيح، ألم يمسك به ابن من مؤخرته ويلقي به رأسا على عقب في الطريق ويناوله ركلتين مدويتين! وحق دموع وجروح المسيح، ألم يمض إلى بيت ابنك ، للتوّ والحين، وهو مقيم هناك من ساعتها!...
تلك صفعة حقيقية في وجه ! سيترك الأرض كلها الآن ...
وحق دموع وجروح المسيح يا ، لا أحد يعرف لمن سيترك قطعة الأرض. عندما كانا يخرجان للتجول بالسيارة معا، اعتاد أن يضغط عليه كي يوقع تنازلا عنها لابنته، لكن بلا فائدة!
هذا هو ما يليق بذلك البائس القبيح وبالعاهرة ذات الشعر الملبد ! لكن ألم تسمع أي شيء عن أي صليب يا ؟
الصلبان. وحق دموع وجروح المسيح لا حديث في البلدة عن شيء غير الصلبان. صليب ، صليب ، صليب ، صليب الذي لم ينتهِ بعد... وحق دموع وجروح المسيح يا ، ماذا يهم في هذا الكون كله إن كان الشخص سيملك صليبا أم لا! *هو-هو-رو، يا ...*
لن تقول هذا يا ، عندما تكون قد قضيت فترة هنا تستمع إلى . كنت لتظن أنها أم الإيرل. لكنك لم تسمع أن سيضع فوقي صليبا قريبا؟
هو يخرجان كثيرا في السيارة، منذ دُفن . ثمة أمور حول الصلبان أو الوصايا...
أوه! لن يفعل ما هو خير له، بتجواله مع تلك العاهرة المداهنة...
وحق دموع وجروح المسيح يا ، تسير أموره بخير، بارك الله فيه! لم يمتلك قط مثل هذا القطيع في أرضه من قبل. وقد باع دفعتين من الخنازير قريبا جدا: خنازير كبيرة ضخمة لحمها ساخن كالأرغفة الخارجة من الفرن. وحق دموع وجروح المسيح، يذهب اثنان من أولاده إلى المعهد...
اثنان؟
اثنان. نعم. البنت الكبرى والتي تليها...
فليحفظهما الرب!...
والثالثة ستذهب في الخريف كما يقولون. وحق دموع وجروح المسيح، أليس هذا ما قاله !... *هو-هو-رو، يا ، بأحزمتك وأمتعتك...*
ماذا قال خط الفقر والقبح؟
هو-هو-رو، يا ، بأحزمتك وأمتعتك...
لكن ماذا قال يا ؟
وحق دموع وجروح المسيح، كانت تلك زلة لسان يا ! *هو-هو-رو...*
لكن ما الضرر يا ؟ أنت تعرف أني لن أكون قادرة على ردها له. بارك الله فيك يا ، قل لي. سيكون هذا خيرا لي.

وحق دموع وجروح المسيح، لن يفعل هذا أي خير يا ، أي خير على الإطلاق. *هو-هو-رو، يا ...*
سيكون هذا خيرا لي يا . لن تصدق الخير الذي يجلبه مجرد خبر صغير للمرء هنا. الناس في هذه المقبرة لا يخبروك بأي شيء، حتى لو كان ذلك سيعيدهم إلى الحياة من جديد. ، على سبيل المثال، الموجود في المقبرة طوال الثلاثة أسابيع الماضية. ! ...
هو-هو-رو- يا ...
آه، قل لي. أيها الرجل الطيب، يا ذا الساق السوداء!... بسرعة الآن. هؤلاء الناس فوقنا سيكتشفون سريعا أن هذا هو القبر الخطأ...
وحق دموع وجروح المسيح يا ، لا يصنع فارقا مع الشخص أي قبر سيلقون فيه عظامه العجوز...
آه! قل لي يا ، ماذا قال بريان المنفوخ؟...
إذا كانت ستحدث مشكلات، فلتحدث المشكلات يا . قال: *كل شيء يسير جيدا مع منذ أن ترك أمه تلك الدمية المتطفلة في تلك الحفرة في المقبرة. كان ينبغي منذ زمن بعيد بعيد أن يلقي قدرا مقلوبا فوقها، ويضع تحته جمرة حمراء ويتركها تموت كقطة في الدخان...*
لقد كسحوك مرة أخرى يا الوغد ذا الساق السوداء!... ! !... !...

٣

... لقد تحطم قلبي عندما سمعت أن جراف شبي[80] قد أُغرق. وبعدها بأسبوع جئت إلى هنا...
تمكن اللغم بالكاد من قتلنا. لولا ذلك، لتمكن من الفوز بدور ورقة الخمسة الرابحة...
... أن يطعنني عبر حافة كبدي. كانت الضربة الغادرة دائما سمة أساسية لنسل ذوي الأذن الواحدة...
برد أصابني من العرق والنوم في العراء، عندما قدت الدراجة إلى دبلن لأرى ...
... سقطت من فوق كومة من الشعير وكسرت فخذي...
من المؤسف أنك لم تكسر لسانك أيضا!...
ألم يكن هذا طريقا طويلا قطعته ساقاك؟ على كومة من الشعير!
أراهن أنك لن تسقط من فوق كومة من الشعير مرة أخرى. يمكنك التأكد أن هذا لن يحدث...
لو لم تسقط من فوق كومة من الشعير لمت بطريقة أخرى. ربما رفسك حصان، أو خذلتك ساقاك...
أو يعطيك صاحبك زجاجة فاسدة...
أو لا تعطيك زوجة ابنك ما يكفي كي تأكل، بعد أن فقدت معاشك لأنك ادخرت مالا في البنك.
يمكنك أن تتأكد أنك كنت ستموت على أي حال...
السقوط شيء سيء...
لو كنت قد سقطت في النار كما حدث لي...
القلب...
قروح الفراش. لو كنت قد دُهنت بالكحول الإيثيلي...
أنت يا الجبانة! كنت سبب موتي. بسبب نقص السجائر...
وقهوتك يا القبيحة...
صدِّق إذًا، كما قلت، كان سبب موتي...
وحق دموع وجروح المسيح، لم يكن هناك سبب لموتي على الإطلاق. لكني رقدت، ولم يبق بي أثر من حياة...
كان سبب موت ...
الحب المثير للرثاء. ظن أنه لو مات لن ترى الأستاذة أن الحياة تستحق العيش بدونه...
لا، بل ظن أنه سيظلم لو بقي حيا أكثر من ذلك...
إطلاقا، كانت من استنزلت عليه لعنة بعد أن كتب لها خطابا إلى . قالت: *عسى ألا تنزل أي جثة المقابر قبل ذلك الشخص! وهو يذهب من المائدة إلى النافذة...*

سبب موت أن استبدلته بإنجيل القديس يوحنا...
اخرس أيها الشقي الحقير!
صحيح. صحيح. أتت العاهرة الحقيرة بإنجيل القديس يوحنا من القس...
... الخزي هو ما سبب موتك. بزواج ابنك من سوداء في إنجلترا...
كان ليغدو ضعف خزيك لو تزوج من طليانية كما فعل ابنك. منذ ذلك اليوم فصاعدا، خاب سعيك. رأيتك تسير في الطريق ذات يوم فقلت لنفسي: *هذا الرجل هالك، إنه أشبه برجل ميت يمشي. منذ جاءه نبأ زواج ابنه من طليانية وهو في حال منحدر. خزي خالص. ولا عجب...*
... مات ذلك الرجل من شرق البلدة مكسور القلب بعد فقدنا للسوق الإنجليزي...
... أما ذاك الشخص فمات ساخطا بعد قضاء شهر كامل دون أن يلتوي كاحله...
قال إن مات نادما لأنه لم يتمكن من شق حمار نصفين بالقَدُوم عندما وجده يلتهم الشعير في حقله...
ظننت أنه كان حمار ...
فليخوزقه الشيطان، كان حمار ، لكني كنت أفضل لو كانت ابنته بدلا من الحمار!...
ماتت ابنة من...
وباء التل الأدنى...
لا خوف من هذا. لكن بمجرد أن أصابها الوباء لم يقترب أحد من بيتها غير الطبيب، لذا لم تتمكن من سماع أي شائعات...
أنت تهين الدين. أنت مهرطق أسود...
... كان ينقص مندوب التأمين حرف واحد كي يفوز بمسابقة الكلمات المتقاطعة. وهذا ما عجَّل بموته...
كان سبب موت طول لسانه...
ما سبب موتي؟ ما سبب موتي، أهو ذلك؟ ما سبب موتي؟ رجل حكيم من يمكنه قول...
مات من الندم لأنه لم يسمع بخبر جنازة ...
صدق إذًا، كما تقول، كان سبب موتي هو الأمعاء...
آه! أتسمعونه؟ الأمعاء بالفعل! الأمعاء! آه! كان انتقام الرب هو سبب موتك يا . أنت سرقت عشبي...
... الضيق من أنه لم يُعين كبير المحققين...
... انتقام الرب يا . كنت تخلط الويسكي بالماء...
لقد سُرقتُ في بيتك يا ...
وأنا كذلك...
عدالة الله يا . تشرب اثنين وأربعين قدحا!...
قلت: *لا يمكن لأحد أبدا أن يقول إني متبجح. فقد وقفت بين الرجل الغاضب

والبلطة الصغيرة! ولم أكتف فقط بصلاة التوبة، بل كنت قد بدأت في القسم الثاني من قانون الإيمان الرسولي عندما جاءت الفتاة الصغيرة إلى البيت بحثا عني. أقول لكم يا عائلة ، لعلكم تشكرون نجوم سعدكم لأني كنت قد شربت اثنين وأربعين قدحا...*
... كان انتقام الرب منك يا مندوب التأمين، لأنك خدعت ...
رباه! لم يفعل. لم يفعل...
الحق يا أني فعلت ولم أفعل. ألعاب المهنة...
... لأن دار آن جوم لم تقبل مجموعتي الشعرية *النجوم الذهبية *...
من الأفضل أن تكون ميتا عن أن تكون حيا، أيها الشقي الوقح. هناك وحدك في البيت قرب الموقد، تصلي للرماد: *آه أيها الرماد المقدس!... آه أيها الدم المتخثر الذي سال كي تدفأ أحشائي!...*
إنه مهرطق أسود...
لم تكن جريدة آيريشمان راغبة في نشر *الشمس الغاربة *. ولم يكن هناك أحد في البلدات الست ليسمعني وأنا أقرأها...
عدالة الرب بالتأكيد! أنت قلت إن قام بنبوءة كي يضلل الناس...
... لا عجب أنك مت. سمعت الطبيب يقول إنه لا أحد يمكنه البقاء بصحة طيبة في تلك الحقول الموبوءة بالقراص في قرية دوناه...
أخبرني القس أن تسع عشرة أسرة كانت تدفع له في تلال قريتك الموبوءة بالبراغيث منذ عشرين عاما، لكن الآن...
كانت جنازة سبب موتي. نهضت من فراشي لأذهب وأنوح عليه. وسقطت في طريق عودتي للبيت. وبدأت أتعرق. كان العرق يتصبب مني من ساعتها حتى انتهيت...
وكانت جنازة سبب موتي أيضا. بدأت أتورم بعدها...
رباه! لا عجب، بعد الطريقة التي حشوت بطنك بها. قولي لي يا أيتها المتسولة، منذ متى وأنت هنا، وأنت يا الحقيرة؟...
وحق دموع وجروح المسيح يا ، توفينا جميعا تقريبا معا. رحلت قبل ستة أيام من ، وقبل عشرة أيام من ...
سيعلمهما هذا أن تبقيا في فراشهما المرة القادمة! لماذا رغبتا في الذهاب إلى ذات الشعر الملبد؟ الفضول. لم تكن لديهما نصف هذه الرغبة في المجيء إلى الناس المحترمين...
لن يبقى أحد الآن كي يُرقد أو ينوح على أو ...
آه! هذا أفضل لوجه العاهرة!...
... كان انتقام الرب بالتأكيد هو سبب موت . بأمانة...
أنت كاذبة لعينة يا ...
أنزل انتقامه عليها لسرقة ، ولسرقة شاي والد ، وبطاطس وحلزونات ...
إطلاقا يا ، كان إنجيل القديس يوحنا الذي استعارته من القس من أجل ابنتك.

أرسلوا إلى حتفها بدلا منها. لولا ذلك، لكانت ابنتك هنا في تلك الولادة. كانت مريضة طوال حياتها حتى ماتت . لكن بعد ذلك بدأت صحتها تزدهر...
رباه! لم تنطق بكلمة كذب واحدة! أقسم بالكتاب المقدس، لم يخطر هذا ببالي قط!
... الميتة التي تستحقها هي جعلها تشرب قهوتها...
... أو تلبس قباقيبها.
الميتة التي تستحقها يا ، هي جعلك تشرب أقداحا من الجعة السوداء حتى تخرج من منخريك وعينيك وأذنيك ومن تحت أظافرك وفي إبطيك وأسفل حاجبيك وبين أصابع قدميك وفي تجاويف مؤخرة ركبتيك وفي كوعيك وفي جذور شعرك حتى تتعرق سبعة أنواع من الجعة السوداء...
... أنسب ميتة لك أن تحيا حتى ترى كيري تهزم جالواي في نهائي بطولة آيرلندا عام 1941. وأغنية *وردة مقاطعة ترالي* تُعزف على مؤخرة ...
... الميتة التي تستحقها أنت وكل واحد من نسل عائلتك ذوي الأذن الواحدة الخائنين هي جعلكم...
جعلهم يصيحون: *يحيا *...
... لا، لكن الميتة التي يستحقها ...
أن تتركوه لي حتى أحشر واحدة من بوصات التسقيف خاصتي في حلقه، لتدخل في بلعومه ومنه إلى أحشائه...
أن تتركوه لي حتى أكسره بالمطرقة التي سرقها مني...
سأفصل بكل سرور وسرعة رأسه بمنجلي...
ليس بسرور أكبر من سروري لو شنقته بحبلي...
... ؟ تغرقوه في خمره عديم القيمة المخلوط بالماء...
... ؟ اجعلوه ينتظر بحلقه الظامئ حتى ينتهي المتعلم المتحمس للآيرلندية من قراءة *الدرس*...
... فليخوزقه الشيطان بأشعاره التافهة! يموت هذا الشقي الوقح، هذا الفاشل، بعدم إعطائه شيئا يأكله إلا *رماده المقدس*...
الميتة التي تفضلها هي أن تطهر نفسها، خاصة قدميها...
اخرس أيها الشقي...
... الكاتب، أليس كذلك؟ لقد أهان ، هذا الجرو التافه. أن يُجبَر على القيام برحلات حج عدد ما قامت به الأستاذة من أجل ...
أن تُحشَر الإحدى وستون عظة في حلقه...
أن يستتاب على الملأ من هرطقته وإهانته ، ويُجبَر على طلب الغفران عن كل ما كتبه، عن كل الفتيات البريئات اللاتي ضللن الطريق بسبب كتاباته الشريرة، عن كل الأزواج الكثيرين الذين افترقوا، عن كل العائلات السعيدة التي فرق بينها، عن كونه المبشر بالمسيخ الدجال. وبعد ذلك يجري حرمانه كنسيا وحرقه على الخازوق. لا شيء أقل من هذا سيعطي المهرطقين درسا...

... تلك هي الميتة التي يودها ...
ذلك الوغد اللص! الميتة التي أفضلها لذلك الجاهل المتبجح...
مديرة مكتب البريد! منعها من قراءة خطابات أي شخص آخر، بل خطاباتها هي لمدة أسبوع...
فعلا، أسبوع دون نميمة كان السبب في موت ابنة ...
يقولون إن الأستاذة قالت إن سبب موت كان...
أنه كان أفضل من أن يبقى في هذا العالم...
صدقوا إذًا، قالتها. لن أنسى قط ما قالت: *من تحبه الآلهة...*
آه! العاهرة! القحبة القذرة! السافلة!...
De grâce يا أستاذ. أنت تتحدث مثل !
ألا تذكرون أني أقدم سكان المقبرة! أطلب الإذن بالحديث...
... الصغيرة! أن تبعدوها عن الجثث...
لا بد أنك تمزح! حتى الفيلق الألماني في أفريقيا لا يمكنه فعل ذلك إذا شمت رائحتها...
الميتة التي كان يفضلها ...
ميتة القطة السارقة تحت القدر!...
أن يجعلها تقف خارج بيتها، وتمر مرتدية قبعتها المزهرة أمامها في سيارتها، وعلى وجهها ابتسامة كهلال صغير بينما تنظر نحو ، وتطلق بوق السيارة بعزم شديد...
آه! دعوني وحدي! دعوني وحدي! سأنفجر...
ألم أقل هذا!
سأنفجر! سأنفجر!

٤

... *أتأتي معي إلى البـ-بيت: هناك بر-راح أسفل شـ-شالي
آه، لماذا لا يا ...*
Écoutez-*moi,mes amis. Les études celtiques..*[81] سنعقد ندوة الآن.
ندوة يا شباب! مرحى! يا ، يا معسول الحديث، يا يا ! ندوة...
ندوة يا !...
لن أقول شيئا. لاشيء...
أليس من المؤسف أن ليس هنا! كان ليغدو الرجل المناسب للندوة...
نتيجة اكتشافاتي فيما يتعلق بلهجة أهل النصف جنيه. أخشى أنها لن تكون ندوة لائقة. فاللغة الوحيدة التي يمكن أن تقام بها أي ندوة لا يمكن الحديث بها بسرعة كافية مني أو منكم أيها الناس...
بسرعة كافية؟
بسرعة، *mes amis*. المؤهل الأول لأي ندوة هو السرعة. عليّ أن أقول، يا أصدقائي الآيرلنديين، أني محبط بشدة من بحثي...
آه، فليكن الله في عوننا، أيها الرجل المسكين!...
mes amis، لا يمكن القيام ببحث موسع في أي لغة يتحدثها عدد كبير من الناس، مثل الإنجليزية أو الروسية...
لديّ شك كبير في أنه مهرطق أسود...
من الممكن فقط -ومن الجدير بالاهتمام فقط- القيام ببحث في لهجة يعرفها شخصان، أو ثلاثة على أقصى حد. ينبغي أن تكون هناك ثلاثة مصادر لرذاذ الشيخوخة مصاحبة لكل كلمة.
... كان يوما يا . لا تنكر ذلك...
لا يستحق الأمر البحث في كلام شخص إلا إذا كانت كل كلمة من كلامه تخرج وحدها كغراب على الرمال...
ثمانية على ثمانية تساوي واحد، ستة عشر على ثمانية تساوي اثنين...
... هذه الندوة فرصة أرسلتها السماء لي كي أقرأ الشمس الغاربة...
Pas du tout! convenable...[82] هذه الندوة
لن أستمع إلى الشمس الغاربة. بأمانة!...
انتظر الآن يا صديقي الفرنسي الطيب! سأحكي لك قصة...
اسمع مسيو . هذه ندوة. ليست محاضرة جامعية عن الأدب الآيرلندي...
سأحكي لكم القصة. ورحمة روحي لأحكيها! *القط الذي ارتكب فعلا قبيحا على الملاءات البيضاء لنصف[83] من آيرلندا كله...*
... *كان ابنة
وكانت عريضة مثل...*
... *عند دبلن العزيزة الباسلة قابل ذا الفخذين الهائلين. قال : 'إياك أن تتقدم

أكثر من هذا، لقد عدت للتو من قلب دبلن بعد أن ارتكبت ذلك الفعل القبيح الصغير على كل الملاءات البيضاء هناك. ومن الآن فصاعدا ستُسمى دبلن ذات البركة السوداء. وقد تركت تلك القطعة الظاهرة من الأذى -سلسلة تلال ريدي[84]- في طريق قدومي، وقبل ذلك تركت لطخة صغيرة من الأذى على تلك الملاءات الجميلة التي تغطي نصف آيرلندا الخاص بموغ*... نصف موغ، يا صاحبي الطيب، من : القط الكبير بالآيرلندية القديمة...
Ce n'est pas vrai![85] الكلمة الصحيحة: ماثكات. ماتو[86]. الحجم الكبير. السمانتان الكبيرتان.
جاست[87] كانت الكلمة المستخدمة بمعنى قطة أنثى في الآيرلندية القديمة الصحيحة...
Gaiste[88] *Mais non*! تعني أنشوطة، أحبولة، فخ، مصيدة، بطارية مدفعية، وسيلة راحة. قال وعباءته تتمزق من عليه: *آه أنا في فخ ابن عاهرة..*[89]
في البريتانية الحديثة: gast: امرأة لديها عربة جر تحوي أشياء مقدسة تبيعها لجمع المال من أجل الفقراء وقت الباردون في ليون.[90] وفي لهجة جوينيد[91]... سيكون عليّ أن أرجع إلى ملاحظاتي حول هذا يا . لكن الفرضية سليمة: في الآيرلندية القديمة في كلمة Gast يكون حرف S صامتا، فتُنطق *Gât*: مثل Cat: ومثلها *Pangur Bán*[92]*: Paintéar:: Panther* : قطة كبيرة سمينة ذكية ذات معرفة وثقافة...
انتظر الآن يا صاحبي الطيب، وسأخبرك كيف تمزقت العباءة من فوق ...
، في قريتنا يقول إنه فقدها فقط...
في قريتكم! ليس معتادا أن يقول رجل من قريتكم أي شيء محترم...
... أقسم ببلوط هذا التابوت يا ، أعطيت الجنيه...
... معطف كبير من الفراء عليها يا ، مثل ذلك الذي اعتادت أن ترتديه حتى اضطرت إلى التخلص منه بعد كل البقع التي لحقت به في بيت ...
أنت كاذبة لعينة يا ...
السلام والهدوء هو ما أريده. توقفي عن الإساءة إليّ يا ...
... هل يمكنني تقديم أي مساعدة روحية إليك يا معسول الكلام؟...
... يا أستاذ؟ وحق دموع وجروح المسيح، لو كان أحد سيموت فسيموت هو. لو كان سيموت، وحق دموع وجروح المسيح يا أستاذ، سيرقد دون أثر من حياة فيه...
... ألم يمت المهر الصغير!
ألم تمت المهرة الصغيرة!
حدث ذلك منذ أيام كثيرة، لكن أخبرني بأن المهر الصغير مات مؤخرا فقط...
مرت أيام كثيرة منذ اشتريتها بالفعل. كانت عظيمة! اشتريتها في سوق القديس بارتلوميو. لم يكن يزعجها أن تحمل طنا ونصف صاعدة أي تل. امتلكتها عامين بالضبط...

بمجرد أن أخبرني أن المهر مات، قلت: *قتله المطر الغزير. لم ينته الفتى من وضع السقف فوق الإسطبل، وترك المهر وقتا أطول من اللازم في العراء.*
فقال لي: *وحق دموع وجروح المسيح، لم يحدث هذا على الإطلاق..*
كان ذلك قرب موعد عيد القديس بارتلوميو، من بين كل أيام السنة. كنت أنقل المهرة الصغيرة هابطا إلى الحقل الجديد قرب البيت. وكانت قد قضمت ومضغت نصف نباتات القرية طوال الطريق حتى صارت الحقول عارية! قابلت وابنها عند تل المرج، في طريقهما صاعدين إلى البيت. قال : *هل أجد معك عود كبريت؟* فقلت: *والله ممكن..* فقال: *إلى أين أنت ذاهب بهذه المهرة الصغيرة، بارك الله لك فيها[93]؟* فقلت: *أنقلها إلى الحقل الجديد...*
قلت: *الدودة السلكية إذًا..* فقال : *وحق دموع وجروح المسيح، إطلاقا..*...
قالت : *إنها مهرة صغيرة جميلة، بارك الله فيك وفيها..* فقال : *كان يمكن أن تكون كذلك لولا حالتها.* قلت: *حالتها! لا يزعجها أن تحمل طنا ونصف صاعدة أي تل...*
قلت: *السعال..* فقال : *وحق دموع وجروح المسيح، السعال! إطلاقا...*
قال : *هل لديك أي نية لأخذها إلى سوق القديس بارتلوميو، بارك الله فيها؟*
فقلت: *والله لا أعرف حقيقةً، أنا بين نارين. أكره أن أفارقها. إنها مهرة عظيمة صغيرة. لكني لا أملك الكثير من العلف هذا الشتاء.*
قلت: *الديدان..* فقال ابن : *وحق دموع وجروح المسيح...*
قالت : *كم ستطلب مقابلا لها، بارك الله فيها؟* فقلت: *والله لو أخذتها إلى السوق لطلبت ثلاثة وعشرين جنيها..* فقال : *ماذا تقول؟! ثلاثة وعشرون جنيها!* ويمم وجهه صاعدا الدرب. قالت : *أتقبل ستة عشر جنيها؟* فقلت: *في الحقيقة يا لا أقبل..* قالت: *سبعة عشر جنيها..* فهتف : *ماذا تقصدين بسبعة عشر جنيها! هيا بنا!* وانطلقت الأم خلفه، لكنها ظلت تلتفت ناظرة إلى المهرة الصغيرة بيضاء الوجه...
قال: *ماذا تقصد بالديدان؟ وحق دموع وجروح المسيح، لم يكن به من الديدان ما يزيد عما بي! ألم يشقوا بطنه!...*
جاءت من خلف سياج الحقول الصغيرة، أرضها، وسألت: *ماذا كانت تقول هذه العاهرة؟* فقلت: *عرضت عليّ سبعة عشر جنيها مقابل المهرة بيضاء الوجه. صدقيني، كنت لأتركها لها مقابل عشرين، أو حتى تسعة عشر. كنت لأعطيها لها بسعر أقل جنيها مما كنت لآخذه من أي رجل من خارج القرية. كان ليبهج قلبي أن أراها تمر من أمامي كل يوم. أظن، من الطريقة التي أعجبتها بها، أنها أو ابنها سيهبطان إليّ مرة أخرى قبل الصباح. لن يجعلاني آخذها إلى السوق.* فقالت : *رباه، تلك العاهرة! ستهلك مهرتك بيضاء الوجه بصعود هذه الدروب الصخرية المنحدرة. لو اشترتها فعلا، عسى ألا يكون لها حظ معها!...*
قلت: *لا أعرف ما سبب موت المهر، لم يكن بسبب علة في القلب، أليس كذلك؟!...*

صدقني إذًا يا ، قالت لي: *اذهب إلى السوق بمهرتك بيضاء الوجه، واحصل على الثمن المناسب لها، ولا تأبه لحديث هذه العاهرة المعسول...*
قال : *وحق دموع وجروح المسيح، أي سبب كان لموته غير أنه رقد ومات؟...*
قالت مرة أخرى: *اذهب إلى السوق بمهرتك بيضاء الوجه..*. ولم ألاحظ قط أنها لم تقل: *بارك الله فيها* لولا الطريقة المسعورة التي كانت تنظر بها للمهرة...
إنها ضربة هائلة للفتى المسكين أن مات المهر. سيكون عليه أن يفعل الكثير كي يحصل على زوجة الآن.
ذلك المساء كانت المهرة تلهث وتسعل. في الصباح التالي مع آذان الديك نزل ابن إليّ. وذهبنا نحن الاثنان إلى الحقل الجديد. كانت خسارة رهيبة يا ! كانت متمددة هناك دون حراك من أذنها إلى ذيلها.
بالضبط كما كان المهر...
قلت: *هذا هو الأمر؛ العين الشريرة.*
فعلا، يقولون إن لها عين شريرة. لم أكن لأشتري مهرا وهي حية...
رباه! كانت العاهرة من نظرت لها بعينها الشريرة.
مرت بي دون أن تقول: *بارك الله فيك* وقبل أن أضع حفنتين أخرتين من الشعير على الكومة سقطت من فوقها...
صدق إذَا، لم تقل لي *بارك الله فيك* والتوى كاحلي في اليوم نفسه...
بالطبع، لم يشهد الأستاذ الكبير يوما واحدا بصحته منذ أن كتب الخطاب لها. لعنة...
لا يمكن أن تكون قد ألقت بنظرتها الشريرة على المحامي؛ لأنه مازال حيا...
لا تصدقهم يا ! !...
... ألم تسمعي يا بأن قد رحل مرة أخرى؟... فعلها بالفعل، منذ أسبوعين...
رباه!
لم يتمكن من النوم ولو طرفة عين في بيت ابن مع نخر الخنازير من الليل إلى الصباح. ولدت الخنزيرة عددا من الخنازير الصغيرة وأتوا بها إلى داخل البيت.
قال: *وكأنه كان ينقصهم الخنازير! انظر إليّ أنا الذي لم أمتلك خنزيرة قط! سأمضي إلى بيت لا يوجد فيه نخر خنازير وحيث تعلو رأسي حجارة من الإردواز.* وفي طريق صعوده إلى بيت طرد قطيع من قطعة أرضه...
... ذلك الأحمق العجوز المغرور، هذا عهدي ...
... سيكون خزيا أكبر لك، كما تقول، لو كان ابنك قد تزوج طليانية. هؤلاء السود لطيفون جدا. ألم تر الأسود الذي كان كبيرا للخدم عند الإيرل منذ زمن بعيد؟
صدِّق إذًا، كان يمكن لهذا الأسود نفسه أن يغدو سريع الغضب أيضا...
أحيانا، كما تقول، كان يمكن أن يغدو سريع الغضب. طيب، أنا لا أعرف ماذا سيفعل ولدي في البيت، عسى أن يرشده الله لما فيه خيره. طلبت منه أخت إلقس أن يتزوجها. وهما مترافقان دائما منذ فترة إلى الآن...

أليس هذا ما حدث لابني في إنجلترا أيضا! كان يرافق تلك السوداء لفترة لا بأس بها، وطلبت منه أن يتزوجها. وهل تعرف؟ ذهب المغفل وتزوجها!
وحق المسيح، كما تقول، هكذا تسير الأمور. سمعت أن زوجتي العجوز سعيدة في البيت -أعتقد أن هو اسمها- لكني لو كنت حيا لقلت لابني: *احترس لنفسك الآن. ماذا تستطيع هذه الفتاة الصغيرة أن تفعله في بيت ريفي؟ أتعتقد أنها تستطيع أن تفرد طبقة من العشب أو تحمل سلة من الطحالب؟...*
أليس هذا ما كتبته بالضبط لابني في إنجلترا! قلت: *لقد ارتبطت بالقحبة المناسبة هناك، لو جرؤت أن تعود إلى الديار في يوم من الأيام، فيالها من جماعة بهية المنظر ستأتي بها إلى الريف متعلقة بأذيالك: سوداء، وحفنة من السود الصغار يجرون حول القرية. ستنتشر سمعتك في كافة أنحاء آيرلندا. سيأتي الناس من كل فج بعيد وقريب ليتفرجوا عليهم. ألا تعرف أنها لن تستطيع أن تجمع العلف من أرض أو شاطئ؟ فلم ير أحد قطعة من طحلب أو عشب وقود في الأرض التي جاءت منها...*
ليس هناك مبرر للحماقة، كما تقول. لم يكن هناك سبيل كي تجعل صاحبنا يستمع إلى صوت العقل. كان دائما... ما هذا الذي كانت تسميه ؟...
أبله؟... حقير؟... وغد؟
لا، إطلاقا. لم يكن وغدا قط. لقد ربيته فتى أمينا حسن السلوك، وليس فقط لأني أقول هذا. لكن لماذا لا أتذكر الآن الكلمة التي كانت تقولها ؟...
أدونيس!...
صدق إذًا كما تقول، ذلك هو. أخذته إلى برايت سيتي ووضع خاتم الزفاف حول إصبعها. وقد أدفأ هذا سويداء قلب امرأتي العجوز...
وقد ابتهجت امرأتي العجوز بشدة أيضا! اعتقدت أن الزنجية نوع ما من الهوانم حتى أخبرتها أنها تحمل نفس لون بشرة كبير خدم الإيرل. وعندما سمعت هذا، كان لا بد أن نرسل للقس حتى يأتي...
هكذا تسير الأمور، كما تقول. كان القس يحاول أن يجعل تتزوج معلم مدرسة بحيرة ديري، لكن صدقني إذًا، قالت له بصراحة، ودون أن ينعقد لسانها، أنها لن تتزوجه. قالت: *هذا النكرة البائس متزوج بالفعل من المَدرسة، ولماذا يريد أن يتزوجني إذًا؟ أنا لا يعجبني معلم بحيرة ديري. بالتأكيد لا حياة فيه ولا حيوية! إنه شيء واهن عنين...*
كان ابني شيئا واهنا عنينا، على أي حال. ألم يكن معوزا عاجزا لدرجة أن يذهب ويتزوج سوداء في لندن، حيث يوجد من الناس ما يساوي الموجودين في آيرلندا كلها؟... سمعت أن شعرها أجعد ككلب البحر...
الحماقة، كما تقول. قالت : *لن أتزوج ذلك الشيء العنين من بحيرة ديري. لدى ابن دراجة بخارية. وهو صياد طيور، وصياد سمك، وعازف كمان، وراقص من الدرجة الأولى. وعندما يتأنق يكون متعة للعين. وقد هدد بإطلاق النار على اللورد لو رآه في صحبتي مرة أخرى. وبيته رائع كأنه فيلاّ -قالت فيلاّ، قسما

بروحي- وهي جيدة الفرش والزينة. وكلما زرتها يتطهر قلبي من أدرانه...*
من السهل عليك أن تزهو ببيتك المزين يا . المزين...
بفضل طحالبي المنجرفة...
... بأمانة يا . كل كلمة مما أخبرتك به هي الحقيقة. لم تسدد قط أي شيء: ثمن المائدة المستديرة، أو جنيه ...
أنت كاذبة لعينة...
وابنها مثلها أيضا يا . مازال ثمن تابوتها لم يُسدَد لمحل ، وكذلك ثمن الشراب الذي قُدم في ليلة دفنها وفي جنازتها من محل ...
أنت كاذبة لعينة يا ...
ألا يطالبون ابنها بثمنها كل يوم وآخر؟ بأمانة. لذلك فإن متضايقان منها هنا.
رباه! ، ...
ولا أقل القليل من تكاليف دفنها جرى دفعه يا ، إلا ما دفعه ابني من جورت ريبوك مقابل التبغ والنشوق...
آه! يا يا نور البحارة الهادي! لا تصدقها يا ...
سيعاقبنا الرب...
دفعت مقابل قبرها هنا أيضا، بدافع الخجل الصرف...
آه! العاهرة، لم تفعل، لم تفعل. لا تصدق ذات الفخذين النتنين ابنة جورت ريبوك! لا تصدقها يا ! سأنفجر! سأنفجر! سأنفجر!...

٥

... كنت أنا من أرقدكم جميعا يا أصحابي وأهلي وجيراني الأعزاء...
كنت عظيمة يا ، إحقاقا للحق...
لم أقبل قط جنيها أو شلنا أو بنسا من أي أحد. أرسل إليّ الإيرل عندما ماتت أمه. وعندما انتهيت منها قال: *كم تطلبين؟ ستحصلين على كل ما تسألين...*
كنت ستُرسَلين إلى السجن بقية حياتك يا ، لو حاولت فقط أن تضعي إصبعا عليها، أو حتى تقتربي من الحجرة التي أُرقدت فيها...
كنت أنا من أرقد ...
لم تفعلي يا الصغيرة، بل ممرضتان من برايت سيتي، بزيهما الرسمي وقبعتيهما البيضاوين. قال الناس إنهما كانتا راهبتين...
كنت أنا من أرقد الرجل الفرنسي...
لو كنت قد وضعت يدا عليه يا ، لأرسلوكِ إلى السجن لقيامك بانتهاك حياد آيرلندا في زمن الحرب...
كنت أنا من أرقد ...
تلك كذبة لعينة. ما كانت بناتي ليسمحن لك بتنسم مقدار قسط من هواء يكفي منخرا واحدا في الحجرة التي أُرقدت فيها. ولماذا سيفعلن؟ حتى تشرعي في جسِّي وتقليبي!...
حتى مشاهدة جثة كانت بالقسط يا ...
...
في الحقيقة لم تكن أنت يا . كنت أعمل هناك بجوار بيته، في حقلنا على جانب الطريق. وناداني ، قال: *صاحبك في طريقه إلى مكتب الرسائل الضالة..*.
عبرنا أنا وأنت يا الباب في نفس اللحظة بالضبط. صعدنا إلى الطابق العلوي وتلونا مجموعة كبيرة من الصلوات مع الأستاذة . قالت الأستاذة وغصة في حلقها: *لقد انتهى الأستاذ المسكين. بديهي. فقد كان أفضل من أن يبقى في هذه الحياة.*
آه! العاهرة!...
وتوجهت يا ، وفردت يدك كي تغلقي عينيه. لكن الأستاذة أوقفتك وقالت: *سأفعل كل ما يجب فعله تجاه ، الرجل المسكين..*
آه! المومس الحقيرة المتبجحة!
والآن يا أستاذ، تذكر أن قد رآكما في المدرسة...
صدق إذًا، لا شيء أفضل من الحقيقة يا أستاذ...
قالت: *انزلي إلى المطبخ واستريحي يا ..* وطلبت مني ومن أن نذهب كي نأكل ونشرب وندخن التبغ. وقالت : *لا تقتصد في شيء من المال، لا يمكنني أن أضن بشيء على ، الرجل المسكين...*
بمالي! آه!

وعندما عدنا كنت مازلت في المطبخ يا . وصعد بيلي إلى الأستاذة التي كانت تنشج بالبكاء في الطابق العلوي...
آه! الشحاذ! الجاهل الحقير اللعوب!
وعندما نزل تحدثت إليه يا قائلة: *هذه المرأة المسكينة في الأعلى لا بد أنها مرهقة. سأصعد وأساعدها في غسله.* فقال : *استريحي هنا يا ، الأستاذة في حالة أسى كبيرة على حتى أنه من الأفضل لها أن تبقى وحدها لفترة.* وأخرج موسى من خزانة وأمسكت بالمشحذ الجلدي من أجله كي يسنه.
موسي ومشحذي! كانا موضوعين في أعلى الخزانة. كم كان يعرف جيدا أين يجدهما، اللص...
كنتِ تتقافزين في أرجاء المطبخ يا ، تماما ككلب مليء بالبراغيث...
تماما كما كانت عندما جاءت إلى بيت ...
اخرس أيها الشقي الحقير...
قلتِ: *لا بد أن أصعد وأجعله قائما على جنبه بينما تحلق ذقنك..* فقال : *ستفعل الأستاذة ذلك، يمكنك أن تستريحي هنا يا ...*
آه! الاثنان الأجربان!...
لا تعره انتباها يا أستاذنا الكبير. كنت أنا من أرقدك. وكنت جثة بهية المنظر، بارك الله فيك! هذا ما قلته للأستاذة عندما انتهينا من تزيينك. قلت: *لا لوم عليك يا أستاذة.. لقد صار جثمانا جميلا، ليرحمه الله، لكن هذا هو المتوقع: رجل طيب مثل الأستاذ الكبير...*
صدقي إذًا يا ، لا يهم كيف يُرقدون أمثالنا، لكن يبدو لي أنك كنت مستعدة أكثر من اللازم لتحسس جثمان معلم...
... قضيت خمسة أيام أراقب حالتك يا رجل الجانب الشرقي من القرية؛ صاعدة هابطة إلى منزلك لأراك: صاعدة هابطة إلى التل الصغير لأطل على بيتك وأرى إن كانت هناك أي علامة على موتك. كنت تهذي في نومك، وكانت الشكوى الوحيدة التي تخرج منك تتعلق بقطعة أرض في أعلى القرية كانت هي الأفضل لتسمين الماشية. بدا لي أنك لا تفضل الرحيل إطلاقا إذا لم تستطع أن تأخذها معك...
وثرثرة لا تنتهي من ذلك الانتهازي عن السوق الإنجليزي...
... كنت أنا من أرقدتك بالفعل يا ، ومع ذلك كنت كارها جدا للرحيل. كنت بالقطع تمر بسكرات الموت. وفي كل مرة كنت أوشك فيها على إغلاق عينيك، كنت تصحو مرة أخرى. جست زوجتك نبضك وقالت: *لقد انتهى، ليرحمه الله!* وقال الذي دخل للتوّ: *يا إلهي! لتنعم روحه بالهدوء والإبحار الطيب! لقد حصل على حق عبوره أخيرا. والله كنت أظن أنه لن يبحر قبل أن يأخذ ابنة معه على المركب.*
فقلت أنا نفسي: *عسى أن يكون فراشه منيرا في الجنة الليلة!* وأمرت بإعداد حوض من الماء. لكنك صحوتِ في هذهِ اللحظة ذاتها! وقلت: *تأكدي أن لِن

يحصل على الحيازة الكبيرة. أفضل أن أراها والرياح تذروها، إلا إذا تزوج امرأة أخرى غير ابنة ...* ورفعت جسدك قليلا وقلت لزوجتك: *لو وضع الابن الأكبر يديه على الأرض، أقسم بكل شياطين الجحيم أن شبحي سيكون في ذيل ثوبك ليلا ونهارا! أليس من المؤسف أني لم أذهب إلى محامٍ وأكتب وصية واضحة!...*
ثم نهضت مرة ثالثة وقلت: *ذلك الجاروف الذي استعارته ابنة ، وقت بشائر البطاطس، فليذهب أحدكم ويسترده، لأنهم لا يملكون الأمانة الكافية لإعادته من أنفسهم. فليخوزقهم الشيطان! وتأكدي من إقامة دعوى على لتركه حميره تقتحم حقل شعيرنا. وإذا لم تحصلي على تعويض يرضيك في المحكمة، ففي المرة التالية التي تمسكين بها داخل سورنا، دقي مسامير حدوة الحصان في حوافرها. عسى أن يخوزقه الشيطان هو وحميره! لا تتهاوني ولا تتكاسلي أكثر من اللازم في النهوض قبل الفجر وابقي عينيك ساهرتين على عشبنا، ولو أمسكت ...*
ظننت أن المرأة العجوز هي من كانت تسرقه...
كلهم سيئون لا فرق بين أحدهم والآخر، هو وامرأته العجوز وأبناؤهم الأربعة.
... كنت على وشك أن تسلم روحك عندما دخلتُ. ركعت بينما كانت الابتهالات تتلى. حتى في تلك المرحلة كنت مازلت تهمهم. ظللت تقول: *..* فقلت التي كانت راكعة إلى جواري: *كم يتذكر الرجل المسكين جيدا ! كانا دائما صديقين حميمين.* فقالت : *فليمنحك الله قليلا من العقل يا . إنه يقول بلاك بلاك بلاك[94]! الابن..*
سمعت يا كيت أن آخر تحذير أعطته لابنها كان...
أن يدفنها في مقبرة الجنيه...
أن يضع صليبا من رخام كونيمارا فوقها...
رباه!
أن يذهب إلى ويجعله يكتب خطابا قويا بشأن وصية ...
أن يترك بيت يسقط...
أن يسمم ...
رباه! لا تصدقه يا ...
أن يطلق ابنة إن لم تمت في ولادتها القادمة...
أنت تهين الدين أيها الشقي الحقير. سيكون المسيخ الدجال قريبا هنا...
آه! كان هناك هرج ومرج في كافة أنحاء القرية على الفور: *لقد سقط من فوق كومة الشعير.*
لقد سقط من فوق كومة الشعير.
صاحبكم سقط من فوق كومة الشعير.
ذهبت إلى بيتك على الفور. كنت متأكدة أني سأجد جثة جديدة تماما في انتظاري هناك. وبدلا من ذلك وجدتك أنت نفسك هناك مثل برميل فارغ تحكي للجميع كيف انزلقت قدمك اليسرى.

قسما بروحي يا ، انكسر فخذي نصفين.
وما الفائدة التي استفدتها أنا من هذا؟ ظننت أني سأجد جثة جديدة في انتظاري...
لكني مت يا ...
... لم أر قط برميلا كبيرا فارغا يرقد في فراش قلقا كما كنت. كنت تضع ساقا على الأرض...
عرفت يا أني أموت، وكنت أحاول أن أنهض وأذهب إلى قاتلي وأقتله. *اشرب ملء ملعقتين من هذه الزجاجة...*
وحق دموع وجروح المسيح، على أي حال...
تفحصتُ حلقك وقلت: *أين العظمة التي خنقتها؟* فقالت أختك: *أخرجها الطبيب.* فقلت: *عسى أن تكون رحمة الله غامرة! لا ينبغي لأحد أن يكون نهما. لو لم تكن هذه المرأة نهمة هكذا في أكل طعامها لما كنا نقوم بإرقادها الآن...* فقالت أختك: *لم تذق نسيلة من لحم منذ عيد القديس مارتين[95]..*
وحق دموع وجروح المسيح، ألم يقل إنها كانت ستظل حية تلعب اليوم لو لم تطارد كلب وتطرده خارج البيت قبل وقت العشاء؟ قال: *كان مسعورا من الجوع، حتى أنه كان من السهل عليه أن يقفز على قصبتها الهوائية ويستخرج العظمة التي خنقتها...*
آه! الحقير!
... كان الوقت صيفا، وكان العرق متخثرا في جلدك. قالت أمي: *لم يكن من الممكن أن يفوح إلا برائحة العرق. كان ابني المسكين صبيا أحمق، وهو ما يبدو عليه الآن جليا. أن يبتلي نفسه بالذهاب إلى دبلن على دراجة قديمة، والنوم في العراء في الليلة ذاتها! آمل ألا يتخذها الرب بينة ضده...*
آه! لو ظللت حيا بعد ذلك اليوم شهرا واحدا لرأيت يهزم كيري...
في عام 1941، أليس كذلك؟ لو كان...
... لقد شيبتني أنا . دعكناك وفركناك، ودعكناك وفركناك، لكن بلا فائدة. قلت في النهاية : *هذه البقع ليست قذارة على الإطلاق.* فقالت : *هناك خمس أو ست منها..* فقالت ابنتك: *إنها شعارات لا بد أنها تتعلق ..* ألست الآن بالمرأة النسَّاية لأني لا أستطيع تذكر ما أسمتها...
وشم.
صلبان معقوفة...
تلك هي الكلمة، وحق كل ما هو مقدس. لقد أهدرنا ثلاثة قدور من الماء المغلي فوقك، وأربعة أرطال من الصابون، وعلبتين من مسحوق رينسو، وقطعة كبيرة من صابون ، ودلوين من الرمل، لكننا لم نستطع إزالتها. ليس مهما، لكنك لم تُبدِ أقل قدر من الامتنان بعد كل العناء الذي جلبته لنا...
كنت لأجلب عليكما المزيد من العناء، لولا الطراد جراف شبي، لأني كنت سأوشم كل جزء صغير في جسدي. كان يستحق هذا وأكثر.

قالت : *يا الله! فليذهب إلى السعير! اتركيها..* فقلت: *لا يمكن أن يُترك ليمضي بهذه الحالة. أليس مجدورا كخطاب ضال مليء بالأختام! ضعي قدرا آخر من الماء على النار، باسم الله.* وتصادف أن دخل في تلك اللحظة ذاتها وقال: *يبدو لي أنكما تريدان أن تسلقا الرجل المسكين كخنزير ميت...*
آه! كان هو من يستحق السلق، وكان ليغدو مسلوقا قبيحا كما هو!
... تماما مثل الشخص الآخر، استنفدت طاقتي في غسلك. لم يكن هناك جزء مهما صغر في جسدك دون أن يتغطي بالحبر. قلت: *هذا الرجل أشبه بامرء تركوه منقوعا في حوض من الحبر..* فقالت أختك: *لعله كان كذلك. فالحبر هو ما قتله. كان يمتصه في رئتيه من الصباح إلى المساء ومن المساء إلى الصباح...*
أصيب بشد الكتابة العضلي، كما قال...
أيا كان ما أصابه، فقد جلبه لنفسه. كان مهرطقا أسود. لم يكن ينبغي السماح بدخوله إلى الأرض المكرسة إطلاقا. من العجيب أن الله لم يجعل منه عبرة...
... تنسمتُ رائحته بمجرد دخولي عليك الحجرة. فقلت لزوجة : *هل انسكبت جعة سوداء أو شيء كهذا هنا؟* فقالت: *لا علم لي.*
ولا عجب: رجل اعتاد أن يشرب اثنين وأربعين قدحا...
لم تكن هناك قطرة من شراب في جوفي يوم مت. ولا حتى مقدار قطرة بحق الشيطان!...
الحق ما تقول. لم يكن هناك شيء. كانت تلك واحدة من حيل ، النمامة القذرة. كانت تتوق لشراب، عندما قالت هذا لزوجة ...
... كانت تلك هي عِلتي يا . قهوة . لقد عفَّنت أحشائي...
... كانت ساقاك جافتين كالخشب اليابس، وبهما كدمات سوداء، وتصدران صريرا كبقرة مريضة بعرج المستنقع...
قباقيب بالتأكيد...
أظن أنه لم يكن بمقدورك أن تذهبي بعيدا إلى جورت ريبوك يا . لو كنت قد رأيت قدميّ ، التي لم ترتد قبقابا قط! هذا بالطبع إن صدقنا كلام ...
اخرس أيها الشقي الحقير...
... في اللحظة التي وصلت فيها إلى الباب شممت رائحة بطاطس محروقة يا .
قلت: *أبعدوا هذه البطاطس المحروقة حتى يتم إعداد الميتة.* فقال : *لا توجد بطاطس في الرماد. وكنت أتمنى لو لم يوجد أي منها منذ الصباح أيضا. لقد أكلت بطاطس محروقة أكثر من اللازم. كانت ثقيلة للغاية على معدتها. لقد صنعت صخرة من الرماد في جوفها...*
وحق دموع وجروح المسيح إنها لقصة! لقد تمددت فقط، دون أثر من حياة باقية...
... لقد تركوك وقتا أطول من اللازم وجعلوا جسدك يبرد. وهناك رقدت، كتلة متيبسة، وأربعة منا يعملون عليك دِون جدوى. قال : *دعوا أحدهم يذهب ويأتي

بمطرقة زوجك وسترين كيف سأفرد ركبتيه...* فقال : *وحق دموع وجروح المسيح، ألم يسرقها منه !...*
كان هو من سرقها بالفعل. مطرقة جميلة...
... سلة البطاطس التي جلبتَها من الحقل العمومي تركت أثرها على عرض ظهرك يا ...
عندما كنت أريحها عن كاهلي داخل البيت، انزلق الحزام وسقطت السلة مائلة. شعرت بألم خفيف في جنبي. وبدأت الخزانة في الرقص. ذهبت الساعة من الحائط إلى المدخنة، وذهبت المدخنة إلى الباب، والمُهر الذي كان أمامي مباشرة في المرعى ارتفع في الهواء وهبط الدرب ومنه إلى الطريق. قلت: **المهر!* وتوجهت نحو الباب لألحق به. القلب...
شممت رائحة الفراش منك على الفور يا ...
صدِّق إذًا، كانت قروح الفراش هي ما أنهت عليّ...
لا يرضيني أن أنشر هذا يا شاعر، لكنك كنت مغطى بطبقة من القذارة من قمة رأسك إلى أخمص قدميك...
... إنها *رماده المقدس* ليخوزقه الشيطان، ذلك الشقي الوقح! لم يغتسل قط...
أزلناها عنك أنا وعمتك، حتى لم يبق إلا بقعة على فخذك. لم نستطع إزالتها. قلت لعمتك: *القذارة ملتصقة به كالكلابات هنا. نحتاج إلى دلاء من الماء المغلي والرمل.* وكانت أمك قد خرجت لتبحث عن أكفان. وجاءت في تلك اللحظة ذاتها فقالت: *هذه شامة. في كل مرة كانت تأتي لولدي العزيز نوبة من الشعر كان يحك نفسه في هذا الموضع وكانت الكلمات تأتي بصعوبة كبيرة...*
كان سمينا، كان رخوا، كان كتلة من شحم الخنزير. لقد بذلنا مجهودا رهيبا كي نحمله إلى هنا أصلا.
لم أر قط جثة من الصعب إغلاق عينيها أكثر من جثة . وضعت إبهاما على عين، ووضعت امرأته العجوز إبهامها على الأخرى، لكن ما إن كنت أغلق ناحيتي حتى تنفتح ناحية المرأة العجوز...
ليرى إن كانت هناك أي مطرقة عابرة سبيل...
أو أي طحالب منجرفة...
ولم أشم قط رائحة عطرة مثل تلك التي فاحت من السيدة مديرة مكتب البريد...
إنها رائحة العقاقير التي كانت تستخدمها لفتح الخطابات وختمها من جديد. كانت الحجرة الخلفية أشبه بصيدلية...
إطلاقا! كانت الغلاية تقوم بالأمر على خير وجه. العطور من أجل حوض الاستحمام. وقد أخذت حمَّاما قبل أن أموت مباشرة...
هذا صحيح يا مديرة مكتب البريد. لم تكن هناك حاجة لغسل جثتك على الإطلاق...

لا تعرفين إن كانت هناك حاجة أم لا يا . يا ربي! لو لمست جثتي مجرد لمسة لأقام وزير البريد والبِرَق عليك دعوى قانونية...
... أيا كان من أرقدكِ أعتقد أنه شم رائحة نبات القراص الذي يملأ قرية دوناه وهو يفوح منك...
حتى هذا كان أفضل مما فاح منك...
لم أر قط جثة أنظف من جثة . لم يجرؤ تيبس الجثث حتى على لمسه. كان مثل الوردة. كنت لتظن أن جلده حرير. كنت لتظن أنه رقد للتو ليأخذ استراحة... ليس هذا فقط، بل إن كل غرزة من الثياب التي وضعت عليه كانت صافية البياض مثل ذلك *الدقيق* الذي نثروه على الإيرل عند باب الكنيسة صبيحة يوم زفافه! بالطبع لم يكن من الممكن السماح بدخولها إلى بيت لو كانت غير هذا...
العاهرة! المتطفلة الصفيقة!
يقولون يا إن جثة لم تكن...
جثة ! تلك المرأة! لقد أرسلوا إليّ، لكني لم أكن لأذهب قرب جثتها أو أمر بجوارها...
رباه!
كانت لتقلب معدتي...
رباه! ، المتطفلة! ، المتطفلة! سأنفجر! سأنفجر!...

٦

... لا يوجد إله في الأعالي وإلا لعاقب هاتين الاثنتين على هذا! هذا بديهي! لم أشعر بألم عنيف. قال الطبيب إن الكليتين لن تقتلاني لبعض الوقت. لكن تلك العاهرة أخذت بالمداهنة إنجيل القديس يوحنا من القس لأجل ابنة ، وجاءتا لي بتذكرة ذهاب فقط إلى هذا المقر، كما فعلتا مع ، الرجل المسكين. كان واضحا لأي عمود خشب في المستنقعات أنه لولا حيلة ما كانت تحاك لجاءت ابنة إلى هنا في ولادتها التالية. وبدلا من ذلك، فارقها الألم والمرض تماما...
وبالطبع لم يكن هناك غبار على تلك العاهرة! كانت تعرف أنه طالما ظل هناك نفس أخير في جسدي كنت سأظل أرد لها الضربة مقابل الضربة بشأن وصية وأرض . لكن يمكنها خداع عن مكنون قلبها...
ألفا جنيه. منزل مسقوف بالإردواز. سيارة. قبعة... قال ابن الساق السوداء إن سيحصل على حفنة من المال، لكن ما نفع هذا إذا كانت الوصية بأكملها لا تؤول إليه! فليحرق الله تلك المرأة وراء البحار، أتمنى لو كانت قد تركت كل قرش لديها للقساوسة!...
ثلاثة وعشرون جنيها من مال المذبح لأجل . وهي لم تُخرج شلنا من بيتها قط لأي جنازة!... قداس كبير. قساوسة. الإيرل. لورد . أربعة أنصاف براميل من الجعة السوداء. ويسكي. لحم بارد... وكم أجادت المتآمرة الحقيرة التفكير بإشعال اثنتي عشرة شمعة فوقه في الكنيسة! ليزيد عني بواحدة. وماذا غير ذلك؟ لم أكن لأضن على المسكين بأي شيء، لكن العاهرة فعلت ذلك لمجرد الاستعراض. كان سهلا عليها – مع أموال الشمطاء العجوز السهلة.
لم يغن أغنية واحدة في ذلك اليوم الأخير. لقد فقد حماسته تماما. لا عجب، بعد أن قضى حياته مع تلك العاهرة. وكل الاحترام الذي أبدته له في النهاية كان الحصول على إنجيل القديس يوحنا لتودي به إلى حتفه!...
عندما أخبرته أنه لم يقل كلمة قط في ذلك اليوم الأخير غير *سيعاقبنا الرب...* أظن أنه في حالة غضب عارم الآن بسبب الطريقة التي عاملته العاهرة بها... والمغفل لم يلاحظ شيئا على الإطلاق هو نفسه. كان دائما وأبدا لا يحمل مكرا. وإلا لأدرك أن هذه الحقيرة ذات المفاصل المتيبسة كانت تلعب عليه عندما طلبت منه الزواج. قالت: *لديّ ، وسنترك لك يا * ... لكني أقرب إلى الآن منها. يمكنني الحديث معه كلما أردت...
لولا أن أنصت لابنة لدُفنتُ في مقبرة الجنيه إلى جواره. سليطة اللسان تلك إلى جواره الآن. ستطلق عليّ اسما بذيئا. لقد أخبرته بالفعل من الأكاذيب ما يتخم البطن. لذا هو يشعر بكل هذا النفور. لا يهمني، لكن تلك الغانية سليلة ذوي الأقدام المتسخة تحاول غوايته كي ينضم إلى جمعيتها! ينوحان للأبد من جنازته. يظن المرء أن الرجل المسكين كان مسؤولا عن موتهما. ليس هذا فقط، بل يكيلان المديح للعاهرة التي أنهضتهما من فراشيهما...

آكلة البطاطس المحروقة، فليصب الشلل لسانيهما، يمتدحان أيضا، وكذلك ، والفاشل . لكنهم لا يفتحون فمهم ليخاطبوني لأني لا أمتدحها. لا. ولا حتى كلمة. تظن كما لو أن الحديث إليّ يجلب سوء الحظ! تظن أنهم يحاولون تجنبي. وأنا أحب ان يأتي أحدهم إليّ مباشرة ويخبرني في وجهي مباشرة... هذه المقبرة الآن أسوأ من تلك الأماكن التي كان يتحدث عنها الرجل الفرنسي منذ يومين: بيلسن، وبوخنفالد، وداخاو...
... لو كنت حيا، حقا، لحضرت جنازتك يا . كنت مدينا بهذا لـ...
انتظر الآن يا صاحبي الطيب. هل سمعت أبدا باللقب الذي أطلقه على ؟...
وحق بلوط هذا التابوت يا ، لقد أعطيت الجنيه، ولم أر منه حتى قرش واحد...
أنت تطلقين الأكاذيب، يا صاحبة المؤخرة الجربانة! ! ! هل سمعت ما قالته شمطاء البطاطس المحروقة مرة أخرى يا ؟ ، أقول! يا ! لماذا لا تردين عليّ؟... ، أقول!... ألن تتكلمي؟ تقولين إني ثرثارة!... أني أسعد بإثارة العراك!... تقولين إنه كان هناك سلام وهدوء في طين المقابر حتى جئت! عار عليك يا أن تدمري سمعة شخص هكذا!... المكان أشبه بمأدبة [96] بسبب أكاذيبي! والآن يا ، هكذا الأمر إذًا! لم يكن عليك أن تغادري كوخك الحقير لتجدي حزمة من الكذابين. أنا لم أنطق قط بالأكاذيب أو أنشر الشائعات، والحمد لله على هذا!...
يا ! هل تسمعينني؟ كان أهلك هم عصابة الكذابين.. لن تعيري اهتماما لسفاهتي من الآن فصاعدا، أهكذا؟ سفاهة، وحق الدعارة! إنها الحقيقة العارية! يا ! !... ولا كلمة إذًا! أهلا يا !... لماذا لا توقظين لسانك؟
يا !... !... هذا ليس من أخلاق الجيران يا ... !... هل تسمعني يا ؟... ولا حتى كلمة!...
أهلا يا !... !... قولي لي يا ، ماذا فعلت أصلا لأضايقك؟
!... ! !... !... هذه . تحدثكم... ، أقول!
!... !... أهلا يا ، إنها أنا، ... يا أهل مقبرة الجنيه، نادوا ! قولوا له إن تناديه! ، أقول!... ، ! ليباركك الله يا ، ونادي لي !... إنه إلى جوارك هناك... !... !... ! !... سأنفجر، سأنفجر، سأنفجر، سأنفجر...

79 أُعطي سر مسحة المرضى *أو الطقوس الأخيرة * على يد القس، في انتظار الموت. *من هوامش الترجمة إلى الإنجليزية *
80 طراد بحري ألماني دُمر في المعركة ثم أُغرق عام ١٩٣٩. *من هوامش الترجمة إلى الإنجليزية *
81 استمعوا إليّ يا أصدقاء. الدراسات السلتية.
82 إطلاقا..... مناسبة...
83 كونّ وموغ: بطلان أسطوريان قسما آيرلندا بينهما. *من هوامش الترجمة إلى الإنجليزية *
84 سلسلة من الرواسب الجليدية تمتد تقريبا بطول الطريق عبر آيرلندا وقد وفرت طريقا مناسبا عبر المستنقعات، وكانت أيضا بمثابة الحدود بين نصفي آيرلندا. *من هوامش الترجمة إلى الإنجليزية *
85 هذا ليس صحيحا
86 القط الذكر بالفرنسية. *من هوامش الترجمة إلى الإنجليزية *
87 Gast هي الكلمة البريتانية التي تعني عاهرة. أما الكلمة الآيرلندية gaiste فتعني الفخ أو الكمين. *من هوامش الترجمة إلى الإنجليزية *
88 لكن لا.
89 من التعبير البذيء البريتاني: *Gast ar c’hast* الذي يعني عاهرة العاهرات، ويُستخدم للتاكيد على إظهار الدهشة أو عدم التصديق، ويشبه الاستخدام العامي لعبارة *ابن شرموطة*: *أنا في فخ ابن شرموطة! * *من هوامش الترجمة إلى الإنجليزية -بتصرف *
90 هذا التعريف تأصيل خاطئ ومتعمد بطريقة ساخرة لهذه الكلمة. الباردون pardon كان عيدا دينيا مثل كلمة pattern الآيرلندية، يقام في ليون شمال غرب بريتانيا، وهي منطقة مشهورة بقساوستها وتدينها. *من هوامش الترجمة إلى الإنجليزية *
91 جوينيد هنا Gwened اسم بلدة وأسقفية في مدينة ڤان في جنوب شرقي بريتانيا، حتى لا نخلط بينها وبين جوينيد Gwynedd في ويلز. *من هوامش الترجمة إلى الإنجليزية *
92 بانجر بان: اسم قط في قصيدة آيرلندية شهيرة من القرون الوسطى. *من هوامش الترجمة إلى الإنجليزية *
93 كان الحديث عن حيوان *أو شخص * دون إضافة بركة الله يعتبر حسدا وعينا شريرة، قد تجلب الحظ السيء. *من هوامش الترجمة إلى الإنجليزية *
94 الإشارة لزوجة ابنه السوداء كما كان يصفها.
95 الحادي عشر من نوفمبر. وكانت هناك عادة توجب إراقة الدماء تكريما للقديس مارتين، وهو ما تضمن ذبح طير أو حيوان وعمل شارة الصليب بالدماء فوق كل جبهة وكل باب. وكان هذا يعني أنه حتى الأشخاص شديدي الفقر كانوا يأكلون اللحم مرة واحدة في السنة على الأقل. *من هوامش الترجمة إلى الإنجليزية *
96 حكاية أسطورية آيرلندية عن بريكريو المشاغب الأصيل الذي يدعو نبلاء مملكة أولياد إلى مأدبة في بيته ويحرض ثلاثة من الأبطال الحاضرين على الفوز بلقب بطل المأدبة.

الفاصلة التاسعة
الطين المصقول
١

السماء ملكي، والبحر، والبرّ...
وأنا ملكي الجانب الخلفي، الجانب السفلي، الجانب الجواني، الأعماق الدنيا.
لديك فقط الحواف والأعراض الزائلة...
الشمس الوهاجة، والقمر الساطع، والنجم اللامع ملكي...
وأنا ملكي الأعماق الغامضة لكل كهف، والقاع الوعر لكل هاوية، والقلب المظلم لكل حجر، والأحشاء المجهولة لكل طين، والأوردة الخفية لكل زهرة...
دفء الجنوب، والضياء، والحب، وحمرة الزهر وضحكة الفتاة العاشقة ملكي...
وأنا ملكي زمهرير الشمال، والظلام، والشقاء، ومنظومة الجذور التي تبعث النماء لأوراق الورد، وشبكة الأوردة التي تأخذ دم الكآبة الفاسد ليتفجر على الوجنة المبتسمة...
البيض واللقاح والبذور والمحصول ملكي...
وأنا ملكي...

٢

Monsieur Churchill a dit qu'il retournerait pour libérer la France. ...
...Vous comprenez, mon ami?[97]
إنه يفقد لغته الآيرلندية مرة أخرى وبسرعة، منذ أن التحق بمستوى أعلى من التعليم...
... سقطت من فوق كومة الشعير يا ...
بأذنيّ الاثنتين سمعت *هاو هاو*[98] وهو يتوعد بالانتقام لإغراق جراف شبي...
... جاء الجزار الكبير إلى جنازتي يا ...
... بنفسه سيأتي إلى إنجلترا وبيديه الاثنتين سيحشو قنبلة صغيرة في حجم رغيف خبز داخل هذا البنطلون الممتلئ جيدا الخاص ...
... تقديم المساعدة الروحية للناس هو ما أفعله. لو تعتقد أنك بحاجة لمساعدة روحية في أي وقت...
لن أحتاج، وها أنا أقولها لك. وأحذرك في الوقت نفسه يا ابنة ، كي تتركي الهرطقات السوداء هنا لي، وألا تدسي أنفك في العمل بأي طريقة، وإلا قسما بروحي...
... فليحل المولى بيننا وبين أي أذى، لو انعزلت إنجلترا هكذا، أين سيجد الناس سوقا؟ لا أرض لديكم عند أعلى القرية...
... *Mon ami*، الأمم المتحدة، إنجلترا، *les* États *Unis*، *la Russe*، *et les Français Libres* يدافعون عن حقوق الإنسان ضد... *quel est le mot?*...ضد

بربرية *des Boches nazifies*. لقد حكيت لك بالفعل عن معسكرات الاعتقال. بيلسين...[99]
في صف . صيادو الطيور والسمك من إنجلترا، بالطبع...
كانت دائما خائنة، المومس الحقيرة! يحيا هتلر! يحيا هتلر! يحيا هتلر! هل تعتقد أنه لو جاء سيسوي ببيتها الأرض؟
مديرة مكتب البريد في صف أيضا. تقول إن مديرة مكتب البريد هي موظفة إدارية لها أقصى الأهمية في ألمانيا وأنها لو تشككت في أحد فإن جزءا من واجبها أن تقرأ خطابات ذلك الشخص...
أيضا في صف . يقول...
آه، المدعي الحقير الأشعث! وماذا كنت تنتظر منه غير ذلك؟ بالطبع، هذا الشخص لا يؤمن بالملكية الخاصة ولا بمعايير العيش التقليدية التي نصبو إليها في أوروبا الغربية. إنه شيوعي، معاد للتقاليد، ثوري، مسيخ دجال، حقير سافل وغد، روح شريرة تماما مثل نفسه. يحيا !... اغلقي فمك المتبجح يا ! أنت عار على جنس النساء! تقولين إن هذا الوغد شخص رومانتيكي...
أحسنت قولا يا أستاذ! فلتقلها لغندورة نسل متسخي الأقدام ساخنة وثقيلة الآن!...
يقول عن ...
؟ في أي صف يكون ؟ رجل حكيم من يقول في أي صف يكون ...
... أتظن أني لا أعرف هذا؟...
لا أحد يمكن أن يعرف الأمر على نحو صحيح إلا شخص من نفس القرية مثلهم...
كان مغرما بذلك الجحر المسمى كوخه كما يمكن أن يغرم ملك بعرشه.
والله يا عزيزي، لقد تركوا كوخي يسقط فوقي في النهاية!...
رباه! هنا!...
كان التسرب من السقف يضربني بين الفم والعين، مهما نقلت الفراش داخل البيت. خذلوني بطريقة سيئة. خذلوني يا عزيزي. لديها ابن كسول لديها ابن كسول آخر، ولو لم يكونوا بئس الأهل لوضعوا القليل من قش التسقيف على كوخي!...
مدفون في مقبرة الخمسة عشر شلنا يا !...
نعم بالفعل يا ، في مقبرة الخمسة عشر شلنا!...
أقل ما كان يمكنهم فعله هو دفنه في مقبرة الخمسة عشر شلنا. لديهم قطعة أرضه، وسيحصلون على حفنة مال من التأمين.
لكن تقول إن لم يستمر في دفع الأقساط بعد موت أمه.
إنها كاذبة لعينة! العاهرة متسخة القدمين!...
حتى لو استمر في دفع الأقساط لن يعوضه التأمين عما أنفقه على . لقد ذهبت كل صلوات من أجل موته سدى. سنسأل مندوب التأمين...
هل أنت هنا منذ وقت طويل يا ؟

والله لقد استقر بي المقام هنا منذ قليل يا عزيزتي . لم أشعر قط بألم أو وجع، ومع ذلك أليس من الغريب أني مت مع ذلك؟ لقيت حتفي مثلما يلقى الجميع حتفهم تماما. سأخبرك بما قاله لي الطبيب...
ليس من المهم على الإطلاق الآن ما قاله الطبيب لك. دفنتك أولا...
إنها ليست بخير يا . ليست بخير. لقد قضت ثلاثة أسابيع أو شهرا في الفراش، لكنها شفيت تماما الآن...
بالطبع تفعلها، العاهرة!...
وانظري لحالي يا ، أنا الذي لم أشعر قط بألم أو وجع، أليس غريبا أني مت مع ذلك؟...
هل كنت تظن أنك ستعيش إلى الأبد؟
حسنا، إحقاقا للحق اعتقدت أني سأفعل يا ولم يكن القس راضيا عني على الإطلاق، بالتأكيد لم يكن. في اليوم الذي كان يزور فيه مر بي في الدرب بينما كنت في طريقي إلى من أجل قليل من التبغ...
التبغ في حانة أفضل من أي مكان آخر...
هو كذلك يا عزيزتي ، وأرخص بنصف قرش. قلت: *صدِّق إذًا، هذه المرأة المسكينة هنا ضعيفة واهنة يا سيدي القس..*...
أيها المتبجح!...
قال: *لا يبدو أنها بخير. إنها طريحة الفراش منذ زمن طويل. إلى أين أنت ذاهب الآن يا ؟* قلت: *ذاهب لآتي بقليل من التبغ يا سيدي القس..* قال: *سمعت يا أنك مولع بهذا المكان هناك، وأنك لا ترفع رأسك عن الشراب إطلاقا...*
آه، أخبرته العاهرة. كانت دائما خائنة...
قلت: *والله يا سيدي القس أنا أشرب جرعة زائدة قليلا، كما يشرب أي شخص آخر.* فقال: *الجرعة ليست مشكلة يا ، لكن قيل لي إنه في إحدى هاتيك الليالي سيعثرون عليك ميتا في الطريق إلى البيت.* قلت: *لا مشكلة لديّ يا سيدي القس، لم أشعر قط بألم أو وجع، والحمد لله، وبالطبع الآن لديّ الآن تحت أقدامي ذلك الطريق الجديد الصاعد مباشرة إلى بيت .*
سيدمر ذلك الطريق من جديد، بعون الله!
قال: *نصيحتي لك، وهي لصالحك يا أن تبتعد عن ذلك المكان هناك قدر ما تستطيع، وتكف عن نوبات شربك. إنها ليست جيدة لك في هذه المرحلة من حياتك. وهؤلاء القوم هنا لديهم ما يكفيهم من مشاغل دون الحاجة للخروج كل ليلة لإحضارك إلى البيت...*
يا ربنا الرحيم في الأعالي! تلك العاهرة الحقيرة المتبجحة طوته تحت جناحها. لكنها لن تطوي بهذه السهولة...
قلت: *بالله يا سيدي القس، ألا يملكون سيارة!* فقال: *وإن كان يا ، البنزين لا يوجد في حفر المستنقع. انظر إليّ وأنا مضطر للتجول بدراجتي! كما قيل لي يا إنك أشبه بعربة التسوق في المحلات، تتحرك جيئة وذهابا بين البيتين.* قال:

من الأفضل أن تفكر الآن يا في التحلي بقليل من الحس السليم في هذه المرحلة من حياتك وتستقر في بيت واحد من الاثنين. أتمنى لك التوفيق من الله يا . قال: *ولا تدع نصيحتي تدخل من أذن وتخرج من الأخرى.* قلت لنفسي: *إذا كان الحال كذلك، لن أزعجهم بإحضاري إلى البيت كل ليلة من الآن فصاعدا. هناك قساوسة أكثر من اللازم حول هذا البيت. هم وقساوستهم!...*
لم تنطق بكلمة كذب واحدة يا ...
عدت إلى رأس الدرب من جديد، وانطلقت هابطا نحو بيت . والله، لن تصدقي هذا، لكن فجأة لم أعد قادرا على السير ولو خطوة، أو الحديث ولو بكلمة. كان نصفي ميتا والنصف الآخر حيا. لم أشعر قط بألم أو وجع يا ، ومع ذلك أليس من الغريب أني مت!...
أن تنفجر كعجلة دراجة على جانب الطريق! هي الشوكة التي فعلتها بك، أيها الرجل البائس المسكين!
لم أمت على جانب الطريق يا عزيزتي. مر ابن في تلك اللحظة ذاتها وأقلني بسرعة إلى بيته في السيارة. لولا ذلك لمت في بيتك يا . لكني كنت في الفراش في بيت قبل أن أستعيد قدرتي على الكلام، وعندئذ فكرت أنه سيكون من الوقاحة أن أطلب منهم أخذي إلى بيت .
لم يمر يوم واحد من حياتك لم تفعل فيه شيئا غبيا يا ...
عشت بعدها فقط لمدة عشرة أيام أو نحو ذلك. صدقي إذًا، كان كلامي يروح ويجيء، وأعتقد أن القس لم يكن ذا عون كبير لي. لم أشعر قط بألم أو وجع...
لم تعط لنفسك سببا قط يا كسول...
والله يا يا عزيزتي، كنت أقوم بأعمال شاقة. صدقيني، عشت حياة صعبة...
صدِّق إذًا أو لا تصدق يا ، لم تكن لصالحك. عشت حياة صعبة بسبب شربك وتناقضاتك...
صدِّقي إذًا، كي أكون أمينا في الأمر يا ، أظن أني عانيت من دوار السكر يوم السبت الغريب ذاك، الذي أعقب الجمعة...
صدق إذًا أنك كنت كذلك بالفعل يا ، كل سبت، وكل أحد، وكل إثنين، وفي كثير من أيام الثلاثاء والأربعاء أيضا...
لسانك جاهز دائما يا . كنت أقول دوما إن لديها قلب عطوف أكثر بكثير منك... أيها المتبجح!...
صدِّقي إذًا، قلتها يا . كنت أقول: * لا تعتني بي قيد أنملة إلا نكاية في ..* كان ينبغي أن تري العناية التي منحتني إياها عندما كنت راقدا مريضا يا . طبيبان...
أتت بهما لأجلها يا . هو-هو، لا غبار على هذه الآفة الحقيرة!...
بل أتت بهما لأجلي بالفعل يا . وفي اللحظة التي أحضروني فيها إلى بيتها، نهضت من فراشها لتعتني بي...
نهضت من فراشها!...
صدِّقي إذًا أنها فعلتها يا ، وسهرتِ...

آه أيها الساذج! أيها الساذج! مثّلت عليك حيلة من حيلها! مثّلت عليك حيلة من حيلها! بالتأكيد لم تشعر قط بألم أو وجع يا ...
لا ألم ولا وجع فعلا يا ، ومع ذلك أليس من الغريب أني مت مثل أي شخص آخر. والله، أعتقد أن القس لم يكن ذا عون لي...
يمكنك أن تقسم على الكتاب المقدس أنه لم يكن يا . تلك المرأة الحقيرة المغرورة أخذت منه إنجيل القديس يوحنا بالمداهنة ذلك المساء، وأرسلتك في طرد إلى هنا بدلا منها، كما فعلت ...
أتظنين ذلك يا ؟...
أليس هذا واضحا لك يا ! امرأة كانت راقدة على ظهرها طوال شهر كامل، تنهض كالفراشة هكذا! كنت تغازل الموت بالاقتراب من تلك العاهرة أصلا في أي وقت. لو كنت أقمت في بيت ابني لكنت حيا وسليما اليوم. لكن ماذا فعلت بقطعة أرضك؟...
والله يا يا عزيزتي، تركتها لهما هما الاثنين: ...
تركت نصفا لكل واحد منهما أيها المغفل عديم النفع!...
والله لم أفعل يا عزيزتي. لم أفعل، ولا أي شيء من هذا النوع. كنت أقول لنفسي هكذا، يا ، كلما استعدت قدرتي على الكلام: *لو كانت أكبر من هذا، لم أكن لأضن بالأرض كلها على أي منهما. إنها لا تستحق تقسيمها لأنصاف. كان دائما يقول إنها لا تستحق التقسيم...*
بالطبع كان ليقول هذا، على أمل أن تتركها كلها لابنته...
سيكون عليّ أن أتركها ابن .. هكذا كنت أقول لنفسي.. *كنت لأتركها له على أي حال لو تمكنت من الوصول إلى بيته قبل أن أسقط. لكن كانت دائما عطوفة القلب. ليس بمقدوري إلا أن أتركها لها، باعتبار أني مت في بيتها...*
آه أيها الأحمق عديم النفع! أيها الأحمق عديم النفع!...
كان القس هناك، يسجل ما قلته، كلما وجدت قدرة على الكلام، فقال: *اجعلها نصفين يا ، إما هذا أو اتركها لبيت من الاثنين.*
لماذا بحق الشيطان يا لم تستطع أن تفعل شيئا أفضل قليلا من هذا؟! لماذا لم تفعل الشيء الصحيح وتذهب إلى المحامي في برايت سيتي؟
والله يا لم أستعد قدرتي على الحديث إلا في بعض الأحيان، وصدِّقي إذًا، يحتاج المرء إلى صواميل في لسانه ليتبادل الحديث مع المحامي. وبعيدا عن هذا، يا ، لم أشعر قط برغبة كبيرة في زيارة ذاك... وكان ابنك موجودا وقال: *لا أريدها، لديّ بالفعل الكثير من الأرض ملكي.*
آه، ذلك الأحمق الصغير! كنت أعرف أن ستتلاعب به. إنه ضائع بدوني...
أليس هذا ما قاله ؟!...
ذو الفم المنفوخ!...
في الحقيقة يا ، أرسل طالبا السيارة وجاء لزيارتي...
كي يساعد في الحصول على أرضِك. لولاها لما أتي من أجلك يا . أرسل طالبا

السيارة! كان منظرا جميلا في أي سيارة! لحية أشبه بلفائف من الصوف المفكوك. ضب بارز. كتفان مقوسان. أنف مسدود. قدم معووجة. مكسوة بالقذارة. إنه لم يستحم قط...
قال: *لو كانت الحشرية التي رقدت لتستريح هناك في المقابر موجودة هنا، لم تكن أنت أيها القس، بل المحامي من يرافق مارين بالمغفل...* وضعت يدها على فمه. ودفعه القس خارج باب الحجرة... وقالت : *نحن أيضا لا نريد أرضك يا .*
إنها كاذبة لعينة، المستغلة الحقيرة المغرورة! ولماذا لا تريدها؟...
قلت عندما استعدت قدرتي على الكلام: *سأترك قطعة الأرض ابن .. لن أضن بها عليكما.* قال القس: *كلامك لا عقل فيه ولا منطق يا ، وسينتهي به الأمر بمشاحنات وقضايا، لولا الحس السليم لدى هؤلاء الناس المحترمين...*
ناس محترمين! آه!...
ولم أستطع أن أنطق كلمة من وقتها فصاعدا يا . لم أشعر قط بألم أو وجع، أليس من الغريب أني مت!...
لست نافعا لأحد حيا أو ميتا أيها الأحمق الضئيل الغبي!
اسمع يا ! هذا هو الخرف! هذا التشاحن مع لن يصنع...
ماذا تقصدين بالتشاحن؟
هذا التأنيب لن يؤدي إلا إلى ابتذال عقلك. لا بد أن أؤسس علاقة معك. أنا مسؤولة العلاقات الثقافية للمقبرة. سأعطيك محاضرات عن *فن العيش*.
ماذا؟ *فن العيش*...؟
مجموعة واعية منا هنا شعرت أن علينا واجبا تجاه زملائنا من الجثث، وأسسنا روتاري...
ماذا ستفعلون بالروتاري؟ انظروا لحالي!...
بالضبط يا . انظر إلى حالك! أنت فحل رومانتيكي يا . وكنت كذلك دائما. لكن الرومانسية لا بد أن تقف على ركائز من الثقافة، لكي ترفعها عن الفوضى الخالصة، وكي تجعل حدها الأقصى يخترق مروج كيوبيد في هذا القرن العشرين، تماما كما قالت السيدة ...
انتظري هنا الآن يا صديقتي الطيبة . سأحكي لك ما قاله في قصة *تمزيق العباءة*...
الثقافة يا .
يا الله! لا يمكن أن تكون هذه من جورت ريبوك معي هنا!... أتساءل إن كنت سأبدأ في الحديث بهذه الطريقة في طين المقابر. في الحقيقة يا ، كانت لديك طريقة *بلدي * عظيمة في الحديث في الأيام الخوالي!...
عزيزتي ، تظاهري أنك لا تسمعيه على الإطلاق.
أهلا، ! أهلا! سنجري حوارا صغيرا دافئا بعد قليل. حوار فيما بيننا نحن الاثنان. دردشة لطيفة ودودة فيما بيننا، كما تعرفين، أهلا!

كنت دائما مثقفة جدا يا ، لكنك لم تكن قادرا على معرفة ذلك. كان هذا واضحا في أول *affaire de Coeur* أقمتها معك. لولا ذلك لربما تمكنت من فعل شيء معك. أف! رجل بلا ثقافة! ينبغي أن يكون الشريك رفيقا. سأعطيك محاضرة، بمساعدة الكاتب والشاعر، عن الحب الأفلاطوني...
لن يكون لي شأن بك يا . حقا لن يكون!...
هذا هو عزيزي !...
كنت أخالط علية القوم في بيت ...
أيها الأحمق الحقير عديم النفع!...
آه! هؤلاء الأجانب مصدر متعة هائلة يا . كانت هناك امرأة قصيرة صفراء بدينة تصيد السمك مع لورد هذا العام، وكانت تدخن كل السجائر التي صنعوها في العالم منذ بدء الخليقة. كانت تفعل ذلك ومثلها أخت القس. تحتفظ بها في علب كبيرة داخل جيوب بنطلونها. لقد كاد ابن يفلس في محاولته توفير السجائر لها. جزاء وفاقا لهذا الوغد. لكن لا بد أن أقول إنها جميلة في حد ذاتها. جلست إلى جوارها في السيارة وقلت: *مرحى يا ..*...
عقلك يا الخرف، عبارة عن طين نيء ومتكتل، لكني سأعجنه وأقولبه وأحرقه وأصقله حتى يغدو وعاء جميلا للثقافة.
لن يكون لي شأن بك يا بأي شكل من الأشكال. لا شيء على الإطلاق. لقد اكتفيت منك. لم يكن بمقدوري أن أخطو خطوة داخل حانة دون أن أجدك في أعقابي، تشربين كالإسفنجة. لقد اشتريت لك الكثير من الأقداح المترعة، ولا أمنُّ عليك بها!...
عزيزتي ، تظاهري...
أحسنت يا ! لينعم عليك الله بالحياة والصحة! قلها لها الآن ساخنة وثقيلة، قلها متسخة القدمين. تدور متسكعة وراء الشراب كالإسفنجة! هل كنت موجود في حانة يا في اليوم الذي سكرت فيه وهاجت كذكر الماعز؟... بارك الله فيك، احك للمقبرة عنها!...

٣

... نُحت عليكم جميعا يا أصحابي وأهلي وجيراني! يا ويلتاه، وا أسفاه وا حسرتاه! نحت عليكم جميعا، يا آهلي آه!...
وإحقاقا للحق يا ، كانت لديك ولولة باكية جيدة...
يا ويلتاه، وا أسفاه وا حسرتاه! سقطتَ من فوق تلك الكومة المريعة، يا !...
يظن المرء عندما يسمعكم جميعا أنه سقط من طائرة! لقد سقط فقط من فوق كومة شعير! وبالتأكيد لم يكن هذا ليقتل أي أحد إلا شخصا كان نصف ميت بالفعل. لو شرب الزجاجة التي شربتها!...
يا ويلتاه، وا أسفاه واحسرتاه! شربت تلك الزجاجة الفظيعة يا عزيزي آه!...
أنت تتحدث كثيرا جدا عن زجاجتك. لو شربتَ اثنين وأربعين قدحا كما فعلتُ...
يا ويلتاه، وا اسفاه وا حسرتاه! لن تشرب قدحا آخر دائما أبدا، آه! وكم من قدح كبير اندلق في بلعومك، آه!
يا الله، لقد صنعتَ ثقبا في شمع أذني بأقداحك الاثنين والأربعين! لو أنك استنشقت كل هذا العدد الكبير من براميل الحبر في رئتيك كما فعل الكاتب...
يا ويلتاه، وا أسفاه واحسرتاه! لقد رقد كاتبي الطيب هنا دائما أبدا!
ليبارك الله فينا ويحفظنا دائما أبدا، آه!...
فرط العاطفة مرة أخرى!...
نحت عليك يا ! يا يا حبيبتي، آه! ألم تلاقي حتفك بعيدا عن طين أرضك، يا ويلتاه! يا ويلتاه! وا حسرتاه، يا حزني العظيم ويا عذاباتي السبعة، أخذوك غربا دون معرفة كبيرة! ألقوا بك بعيدا عن أقاربك وديارك! لاقيت حتفك قرب زبد الموج المتلاطم! سترقد عظامك...
في الطين القاحل الذي لا ينبت غير القراص والطحالب الرملية...
نحت عليكم جميعا، يا أهلي آه!... يا حبيبي آه! يا حبيبي آه!... لن يكتب بعد الآن أبدا، يا ويلتاه!...
لن نخسر بذلك شيئا على الإطلاق! مهرطق ملعون!...
... نُحت عليك، بالتأكيد. لا شك في ذلك! يا ويلتاه دائما أبدا آه! قطعة أرض طيبة خصبة في أعلى القرية! لن يضع فيها قدما أبدا لحرث أو حصاد.
هل قلتِ يا إنه لا توجد أرض أفضل منها لتسمين الماشية؟
صدِّقي إذًا، فعلتيها يا . كنت أستمع إليك. وعندئذ بدأت تغنين *مرثية الفلاح الآيرلندي المطرود*...
... نحتُ عليك أيضا! نحتُ عليك أيضا! يا ويلتاه، وا أسفاه واحسرتاه! لن يعتلي السرج بعد الآن، ليس بعد الآن، فوق مهرة بيضاء الوجه، لا! أبدا آه!...
آه! نظرت لها بعينها الشريرة!...
هذه كذبة لعينة! كانت ...
... بكيت عليك حتى جفت دموعي يا ، آه! يا ويلتاه دائما أبدا آه! يموت في عز

شبابه، يا ويلتاه!...
والآن يا أنت لم تنوحي على إطلاقا، إطلاقا! كنت لأعرف؛ لأني كنت هناك أساعد في وضع الغطاء على التابوت...
الوغد!...
كانت الأستاذة تنتحب. أخذتِ بيدها، يا ، وبدأت تتنحنحين. فقال : *أنا لا أعرف أيكما أنتما الاثنان -أنت يا أم الأستاذة- التي لديها الحس الأقل...*
آه! اللص!
قال : *اخرجوا وانزلوا إلى الدور السفلي أنتم يا من عنوانكم ليس في مملكة السماء، حتى أضع الغطاء فوق التابوت.* نزلوا جميعا إلاكِ يا . قلتِ للأستاذة: *لكن لا بد من النواح على الأستاذ الكبير.* فقالت الأستاذة: *كان يستحقها عن جدارة، الرجل المسكين..*...
آه، العاهرة!...
قال : *نواح أم لا، إذا لم تنزلي يا وتبتعدي عن طريقي، لن يتمكن من اللحاق بالدفن اليوم.* وعندئذ نزلت يا ، وكنتِ تنشجين. وكان يثير ضجة تكفي العالم في الدور العلوي، وهو يدق المسامير ويثبتها. فقال : *لن يغادر الأستاذ هذا التابوت أبدا بعد أن ينتهي منه! لو وضع كل هذا العدد من المسامير في لسان المحامي، لذهبت إلى محامٍ آخر من أجل وصية ...*
رباه! عِرق البؤس الثرثار!...
في تلك اللحظة ذاتها ظهر على قمة السلم وقال: *فليصعد أربعة منكم لحمله..* أتذكر هذا جيدا. فقد التوى كاحلي...
قلتِ يا : *ليس من اللائق ترك يغادر البيت دون ذرف دمعة عليه..* وصعدتِ السلالم من جديد. لكن أوقفك وقال: *سيكون عليه أن يذهب إلى المقبرة. لم تعد هناك فائدة من بقائه هنا أكثر من هذا...*
آه، الحقير السافل المتبجح!...
قال : *صدِّقي إذًا، لا فائدة من بقائه هنا أكثر من هذا، إلا إذا كنتِ ستخلليه!...*
أنت نحتِ عليّ يا ، ولم أكن ممتنا لك على ذلك، لا نصف ممتن، ولا ممتن على الإطلاق. آه، بالفعل أثرت ما يكفي من الضجة فوقي، لكنك كنت كمن يطلق النار على الدجاجة فيما هو ينبغي أن يطلقها على الثعلب. لم تقولي كلمة عن الجمهورية الآيرلندية أو عن الخائن نسل ذوي الأذن الواحدة الذي طعنني لأني كنت أحارب من أجل الجمهورية...
قلت إن الشعب ممتن...
هذه كذبة، لم تقولي!...
ليس علاقة بالسياسة، لا تزيد في هذا عني...
أنت أيها الجبان الخرع، كنتَ مختبئا أسفل فراشك عندما كان يخاطر بحياته...
لم يكن نواحك عليّ صائبا يا ، لأنك لم تقولي عاليا أمام الجميع إن قهوة هي التي قتلتني...

وأن ابنة سرقتني...
وسرقتني...
ولم تقولي شيئا عندما كنت تنوحي عليّ، عن قيام بسرقة عشبي...
أو طحالبي المنجرفة...
أو أن هذا الرجل الملقى هنا مات بسبب زواج ابنه من سوداء...
أعتقد أن ذلك الرجل كان محقا منذ قليل عندما قال إن لا شأن لها بالسياسة...
... كنت لأنوح عليك بطريقة أفضل لولا أن صوتي كان مبحوحا ذلك اليوم. فقد نُحتُ على ثلاثة آخرين بالفعل في ذلك الأسبوع ذاته...
صدقي إذًا، لم تكن بحة على الإطلاق، بل الشراب... فقدت القدرة على الكلام من كثرة الشراب. وعندما حاولت أن تنشدي *دع إرين تتذكر* كما كنت تفعلين عادةً، خرجت *ألن تعود من جديد؟*...
في الحقيقة لم تكن هذه الأغنية، بل أغنية *يوما ما سأعود عبر البحر إلى آيرلندا*...
كنت سأذهب للنواح عليك يا ، لكني لم أستطع النهوض من الفراش وقتها...
وحق دموع وجروح المسيح، ، ماذا يهم المرء إن كان أحد سينوح عليه أم لا! *هو-هو-رو، يا ...*
لماذا يا لم تأتِ وتنوحي على ، عندما أرسلوا إليك؟
نعم، لماذا لم تأتِ وتنوحي على ؟
لكنك ذهبت إلى بيت ، رغم أنه كان عليك ان تنهضي من فراشك...
لم أقدر على تحمل رفض طلب ، وهي أرسلت سيارتها إلى بابي لتقلني...
سيصادر السيارة منها...
كنت لأنوح عليك يا ، صدقا دون كلمة كاذبة واحدة؛ لكني لم أرغب في التنافس مع الثلاثة الأخريات: ، وابنة ، وابنة . كن يعولن...
! ابنة ! ابنة ! الثلاثة اللاتي حصلن على إنجيل القديس يوحنا من القس لكي يقتلنني! سأنفجر! سأنفجر! سأنفجر!...

٤

... ! ! !...
... أهلا يا ! أهلا! سنحظى بدردشة صغيرة دافئة الآن...
ماذا كنت لتقول يا عن رجل تزوج ابنه من سوداء؟ أعتقد أنه مهرطق هو نفسه، مثله مثل ابنه...
في الحقيقة، يمكن أن يكون هذا هكذا، هكذا يمكن أن يكون...
خطايا الأبناء وزرها على الآباء...
يقول البعض هذا. والبعض يقول لا...
ألا ترى يا أن أي رجل شرب اثنين وأربعين قدحا مهرطق؟
اثنان وأربعون. اثنان وأربعون إذًا. اثنان وأربعون...

صدقني، أنا فعلتها...
كان يخالط المهرطقين...
. إذًا. رجل حكيم من يقول إن ...
صدِّق إذًا، أنا لست واثقا جدا من أيضا يا . أنا أراقبه منذ فترة الآن. ولن أقول شيئا حتى أرى...
ينبغي أن يبقي المرء فمه مغلقا في مكان كهذا. القبور لها آذان...
ولديّ شكوكي عن أيضا. لقد أقسمت لي أنها كانت كاثوليكية أفضل من ، لكن لو تبين أنها كانت صاحبة العين الشريرة...
يقول البعض هذا. والبعض الآخر يقول...
أنت كاذب أيها الغبي أحمر الشعر...
قسما بالله، ألا تعرف جيدا يا عزيزي الأستاذ أنه سيموت؟ انظر إليّ أنا من لم يشعر قط بألم أو وجع، أليس من الغريب أن أموت مع ذلك؟ مت مثلي مثل أي رجل كان يشعر...
لكن هل تعتقد حقا يا أنه سيموت؟...
ألا تعرف جيدا يا أستاذ أن قريبا ستنمو الحشائش في أذنه!
هل تعتقد هذا يا ؟
لا تقلق يا أستاذ. يموت يا صديقي، انظر إليّ!...
وبعون الله العاهرة الحقيرة أيضا...
آه، توقف عن هذا يا أستاذ، أليست حلوة؟...
آه! العاهرة!...
هل تحتاج أي مساعدة روحية يا أستاذ؟...
لا، لا أحتاج، قلت لك. دعيني وشاني! دعيني وشأني وإلا سأسلخ جلد أذنيك!...
قسما بالله يا أستاذ، سمعت أنها كانت تستقبل *الفواعلية * في المطبخ بينما أنت نائم على فراش الموت في الطابق العلوي...
Qu’est-ce que c’est que *فواعلية *؟ أي نوع من الأشياء هم الفواعلية؟...
ليس من الفواعلية، لأنه كان يملك قطعة أرض لطيفة. ولا الرجل القادم من الجانب الشرقي للقرية أيضا. كان يملك قطعة أرض في أعلى القرية لا يوجد لها نظير في تسمين الماشية. لكن فواعلي. كانت الأرض الوحيدة التي يملكها هي حديقة بيت الأستاذ...
في الحقيقة كان عادةً في الداخل معها يا أستاذ. سمعت أنه مهما كان اليوم قاسيا كان يأتي ليسأل عنك...
آه، الوغد! النذل المتسلل الجبان!...
آه، على رسلك يا أستاذ، لا مجال لإنكار الحقيقة عندما يقال ويُفعل كل شيء. الأستاذة حلوة. اعتدنا أنا وهي أن نكون معا في حانة . لولا أن كان يدس أنفه الطويل في كل مكان، عندما كان مازال قادرا على القيام بجولاته! قابلتها عند التل المنحدر على الطريق الجبلي بعد بضعة شهور من دفنك. قلت: *أهلا يا

أستاذة.* وقالت: *أهلا يا .* لم نحظ بفرصة من أجل دردشة صغيرة دافئة لأن كان قادما نحونا على دراجته بعد تسليم الخطابات...
يقولون إنه إذا لم تملأ الاستمارة الأولى بشكل صحيح، من السهل شطبك من المعاشات. قام معلم مدرسة بحيرة ديري بملء استمارتي لي في المرة الأولى التي قرروا فيها المعاشات. كتب شيئا ما بالحبر الأحمر بعرض الاستمارة. أطال الله عمره، لم يمنعوا المعاش عني من وقتها!...
صدِّق إذًا، سحبوه مني. ملأ الاستمارة من أجلي. وكل ما فعله أن رسم ضربة بقلمه بعرض الاستمارة. ولم تكن حتى بالحبر الأحمر...
، الرجل المسكين، كان سيء المزاج من التفكير في الأستاذة. ألم تسمع كيف كان من عادته أن يستمر في النظر من النافذة بينما كان يكتب الخطابات ؟!...
عسى ألا يرى منها إلا كل ما هو سيء! تلك الأستاذة! ألم يكن بمقدوره أن يملأ استمارة معاش بطريقة صحيحة لشخص واحد؟!...
كنت أحصل دائما على ثمانية شلنات. ملأها لي ...
لسبب وجيه. كان يضاجع ابنتك في بساتين القراص في قرية دوناه...
لقد انتهت علاقتي بالمعاش تماما. كتب أحدهم يقول إن لديّ مالا في البنك...
بارك الله في برائتك يا صديقي! بعض الناس يحسدون أي تحسن في ظروف جيرانهم. ألا ترى ابن ، الذي اعتاد الحصول على المعاش طوال العام، عندما لم تكن أرضه تُقدَّر قيمتها بجنيهين، وتحايلت على طرده منها...
لم يكن يستحقها! لم يكن يستحقها! كان لديه مال في أحد البنوك وكان يحصل على خمسة عشر شلنا كمعاش دائم. كانت ضربة جيدة للعاهرة!
صدِّق إذًا، كما تقول، كان لديّ معاش كبير...
كان لديك معاش كبير فعلا يا ...
لم تهب عاصفة قط دون أن تستفيد منها أفضل استفادة يا . كانت الخراف الصغيرة الضالة تستقر دائما عندك...
وألواح الخشب الصغيرة التي كان يلقيها البحر على الشاطئ في المرفأ الأوسط كان ينتهي الأمر بها دائما عندك...
والطحالب البحرية المنجرفة...
وعشب الوقود...
وعصي التسقيف...
وأي شيء يظل ملقى حول بيت الإيرل كان ينتهي به الأمر دائما عندك...
حتى الساق الخشبية لخادم الإيرل الأسود الضئيل، ألم ينته الأمر بها عندك؟
رأيت واحدة من فراخك تضع بيضة في وركها، وأنت استخدمت قدمها في صنع غطاء مدخنة ...
حتى أخت القس التي كانت تتجول ببنطلونها القصير وهي تصفر وتتثاءب، انتهي بها الأمر مع ابنك...
آه، أتسمعون وهو يتفاخر؟ لقد صنعتَ سترة منسوجة في البيت من أجلي، يضيع

الأوتوبيس داخلها...
أنت صنعت بنطلونا من أجل ولم يكن هناك أحد في البلد يمكنه أن يدخل قدمه فيه إلا ...
سيعاقبنا الله...
قسما بالله يا عزيزي، دخلت قدماي فيه بيسر وسهولة...
ألم تكن تعرف جيدا أن هذا ما سيحدث عندما أحضرتَ قماشك نسل ذوي الأذن الواحدة الذي طعنني!...
يا الله، لا ينبغي أن تتكلم، يا نجَّار جورت ريبوك! ألم تكن البلد بأكملها قادرة على النظر إلى عبر خشب التابوت الذي صنعته لها...
كانت أول واحدة من نسل ذوي الأقدام المتسخة تدخل في أي نوع من التوابيت الخشبية على الإطلاق...
كان من الأفضل لها يا لو ظلت دون هذا التابوت بالذات. كان واهيا مثل المداخن التي اعتاد أن يصنعها ...
وماذا كان بمقدوري أن أصنع حيال مداخنكم وأنتم لا تدفعون لي؟
دفعت لك...
كما تقول، أنت دفعت لي، لكن مقابل كل واحد دفع، لم يدفع أربعة...
دفعت لك أيضا أيها النصاب، وأتلفت في مدخنتي أكثر مما أصلحت فيها...
أنت دفعت لي، كما تقول، لكن هناك بيت آخر في القرية أصلحت فيه مدخنة قبلها بوقت قصير، ولم أسمع كلمة واحدة، خيرا أو شرا، عن مالي من ساعتها.
وهل كان هذا سببا لأن تجعل من مدخنتي بلاعة يا نصاب؟...
لكني أخبرتك أن تنظف المدخنة بالفرشاة...
وفعلتها. ودعكتها لأنظفها من أعلاها إلى أدناها، لكنك كنت قد أفسدتها...
لم أعرف، كما تقول، من سيدفع لي ومن لن يدفع. جاءتني امرأة من القرية وقالت: *سيأتي لنا القس، والمدخنة تنفث الدخان كلما هبت ريح شرقية. لو تصادف وهبت ريح شرقية في اليوم الذي سيأتينا فيه القس، سأشعر بالحرج. مدخنة تنفث الدخان مع كل ريح.* فقلت لها: *سأجعلها تتوقف عن نفث الدخان في الريح الشرقية، كما تقولين*. أعدت تشكيل الغطاء. وقلت: *سترين بنفسك الآن أنها لن تنفث دخانا مع الريح الشرقية، كما تقولين. وسأكون متساهلا معك في المال، كما تقولين، لأننا جيران وكل هذا الكلام. جنيه وخمسة شلنات.* فقالت: *ستحصل على المال يوم الجمعة القادم، بعون الله.* وجاء الجمعة وراح، لكني لم أحصل على جنيهي وشلناتي الخمسة. آه، ولم أسمع كلمة واحدة، خيرا أو شرا، عن مالي من ...*
ألم أقل لك يا إن لم تسدد قط أي شيء! بأمانة!
ولماذا ينبغي أن أدفع لذلك النصاب -- على إصلاح بضعة ألواح صغيرة في غطاء المدخنة لتستدعي الرياح لها! ورغم أن الرياح كانت غربية إلا أنها لم تكن قط قصيرة النَفَس كما كانت يوم جاء القس. قبل ذلك كانت الريح الغربية قادرة

على حمل طفل من فوق المدفأة. وعندما انتهى منها لم تعد تجذب أي ريح على الإطلاق غير الريح الشرقية. لقد عرضت أن أدفع له لو جذبت كل ريح مثل مدخنة . لكنه لم يلمسها بعد ذلك. أعطته العاهرة ضربة خلفية...
هذا صحيح يا . كان ليقبل أي ضربة خلفية.
أي رجل سرق طحالبي.
والآن، إحقاقا للحق يا ، لم يكن -رغم شره وكل موبقاته- من كان مسؤولا عن مدخنتك، بل التي حصلت على إنجيل القديس يوحنا من القس من أجل مدخنتها...
وأرسلت الدخان إلى بيت ، كما حاولت أن تفعل مع ...
آه! آه! سأنفجر! سأنفجر!

٥

... كان يمكنني أن أقاضيه لأنه سممني. قال القاتل: *خذ ملعقتين من هذه الزجاجة قبل النوم، وملعقتين في الصباح على الريق..* آه! لم ألحق شربهما على الريق! رقدت ميتا للتو في الفراش...
وحق دموع وجروح المسيح، لقد رقدت ومت!...
قال لي بمجرد أن رأى لساني: *آها! قهوة ...*
قلت له ذات يوم في حانة : *لم أشعر قط بألم أو وجع يا صديقي.* فقال: *حتى لو لم تشعر يا ، أنت تشرب من الجعة السوداء أكثر من اللازم. لا تناسب الجعة السوداء رجلا في سنك. كؤوس الويسكي الصغيرة ستكون أفضل بكثير لك.*
فقلت: *قسما بالله يا صديقي كان هذا ما اعتدت شربه طوال الوقت قبل الآن، لكنه عزيز جدا ونادر جدا الآن.* فقال: *ابنة هنا ستقدم لك كؤوس الويسكي الصغيرة.* وفعلتها بالفعل! قدمت لي كل ما طلبته، غير أنها من الكأس الثاني فصاعدا كلفتني أربعة قطع من ذات الأربع بنسات، ومن السادس فصاعدا ثمانية عشر بنسا. قال الطبيب الذي أحضرته من برايت سيتي ليفحصني إن الويسكي قصَّر عمري، لكن أنا نرى أنه كان القس...
سيعاقبنا الرب على التحدث بسوء عن جيراننا...
ما قاله الكبير كان: *أنت أطيب من أن تعيش هذه الحياة...*
اخرس أيها النمَّام الحقير!...
وضع الطبيب في المستشفى تلك الزجاجة تحت أنفي بينما كنت متمددا على الطاولة. قلت: ما هذه يا دكتور؟* فقال: *شيء تافه..*
وحق دموع وجروح المسيح إنها لقصة، من الأليق بالمرء أن يرقد في فراشه ويموت، كما قال ، بدلا من الرقاد على طاولة مستشفى وعدم النهوض من فوقها أبدا، مقطعا مثل اللحم البقري المجاني[100] من جزار مرتفعات سافي.
... قلت: *المشكلة هنا، في قرارة معدتي.* فقال: *صدِّق إذًا، المشكلة ليست هناك، لكنها هنا في الأسفل، في القدمين. اخلع حذاءك وجوربك.* قلت: *لا حاجة لهذا يا دكتور. المشكلة في الأعلى، هنا في قرارة معدتي.* لكنه لم يكن مهتما على الإطلاق بقرارة معدتي. قال: *اخلع حذاءك وجوربك.* قلت: *ربما لا حاجة لهذا يا دكتور. لا مشكلة لديّ هناك بالأسفل...* قال: *إذا لم تخلع حذاءك وجوربك، وتسرع في هذا، سأضعك حيث يخلعونها لك... وسيكون من الصعب عليك ألا تتعرض للعدوى. هل غسلت قدميك هاتين أصلا منذ وُلدت؟* قلت: *عند الشاطئ يا دكتور، في الصيف الماضي منذ اثني عشر شهرا...*
كنت مصابا بالإمساك. كنت في حالة إعياء دائمة. هذا شيء لا يود الناس الحديث عنه. قلت: *لا أود إخبارك يا دكتور، إنه موضوع غير لائق.*
هكذا تسير الأمور، كما تقول. صحوت وجلست في السرير. كان الرجل القادم من منلو[101] في السرير المجاور لي، كما كان طوال الوقت. قلت: *ظننت أنهم

لن يشقوك قبل يومين آخرين... إيه، استيقظ... ولا ترقد هناك ككيس الرمل.* فقالت لي الممرضة: *دعه وشأنه، عندما أخذوك إلى حجرة العمليات، جاشت أحشاؤه بالحنين. تلبَّكت فجأة وكان لا بد من إرساله إلى غرفة العمليات أيضا. لم يضعوا له نفس القدر من السكر على السكين كما فعلوا لك. ولهذا لم يستيقظ حتى الآن.* هؤلاء الممرضات قاسيات بعض الشيء، كما تقول.
قال: *لياقة! يا الله، ماذا؟ لياقة معي! هل قتلت رجلا أم ماذا؟* قلت: *وحق صليب المسيح علينا يا دكتور لم أفعل!* فقال: *وما مشكلتك إذًا؟ صرِّح بها.* قلت: *والله هو ليس موضوعا لائقا، أنا مصاب بالإمساك...*
مصاب بالإمساك كما تقول. لم أستعد شهيتي لمدة أربعة أو خمسة أيام. قلت للمرضة: *خبز ساخن من الفرن.* فقالت: *يا الله! اذهب إلى الجحيم! أتعتقد أنه لا شيء ورائي لفعله غير إحضار خبز ساخن من الفرن لك؟* هكذا أمثالهن، كما تقول. طلبت من الدكتور خبزا ساخنا من الفرن في الصباح التالي. فقال للممرضة: *هذا الرجل ذو اللياقة لا بد أن يحصل على خبز ساخن من الفرن من الآن فصاعدا..* صدِّق إذًا، قالها. ولم تستطع أن تنبس بكلمة واحدة...
... قلت: *التوى كاحلي..*...
أنا مصاب بالإمساك. قال: *مصاب بالإمساك..* فقلت: *نعم يا دكتور، لا مؤاخذة، لديّ انتفاخ في جسدي.* فقال: *آه! لو أن هذه كل مشكلتك! سأعالج هذا. سأعد زجاجة جيدة لك.* ومزج مادة بيضاء بمادة حمراء ما. وقال: *سيطهر هذا كل شيء.*...
... قلت : *يستحق البلجيك المساكين كل العطف والشفقة. أتساءل إن كانت هذه حرب الاثنين الأجنبيين؟...*
استيقظ يا رجل. انتهت هذه الحرب منذ ثلاثين عاما...
قال هذا، كما تقول. قال له الرجل القادم من منلو: *من الأفضل أن تتأكد أنها ستأتي لي بخبز بارد..* فقال الطبيب: *ما هذا؟ أليس الخبز هنا باردا لدرجة كافية بالنسبة لأي أحد؟* فقال رجل منلو: *لكن ما أحصل عليه هو خبز ساخن.* فقال الطبيب: *آه، تذكرتك الآن. لقد أصدرتَ أمرا عسكريا بخبز ساخن من الفرن عندما جئت. كان الخبز هنا أبرد من اللازم بالنسبة لك.* كان يصر على أسنانه من الغيظ. هكذا أمثاله، كما تقول. قال رجل منلو: *لن تلمس شفتيّ لقمة من الخبز الساخن. أنا أدفع مصاريف علاجي هنا ولا بد أن أحصل على ما يناسبني.* قسما بروحي قال هذا. كان عنيدا. قال الطبيب: *لكنك كنت ترى أن الخبز البارد لا يناسبك عندما جئت. أنت من ينبغي أن تكون الطبيب هنا!* فقال رجل منلو: *أعتقد أن معدة المرء تلعب ألعابا قذرة ما إن يجري شقها..* ...
.. قلت: *هو ذاك. إنه كاحلي الذي التوى.*
قال: *سيطهر هذا كل شيء فيك فعلا.* قلت: *بارك الله فيك يا دكتور!* قال: *هذه زجاجة عظيمة. مكوناتها غالية. هل تعرف كم كلفني ملء هذه الزجاجة البيضاء في برايت سيتي؟* قلت: *أعتقد أنها كلفتك قرشا بحاله يا دكتور..*

فقال: *جنيهان وخمسة شلنات..*
صدِّق إذًا، هكذا الأمر، كما تقول. منذ ذلك اليوم فصاعدا لم أتمكن من هضم الخبز البارد، وكان رجل منلو عندما يقدمون له لقمة من الخبز الساخن يبدو وكأنهم يقدمون له قطعة من الحنظل. ومن ساعتها لم أتمكن من لمس غليون، رغم أني كنت مغرما به جدا قبل ذلك، حتى لو أعطوني كل قرش كان الناس يدينون به لي مقابل إصلاح مداخنهم. وهل تصدق؟ رجل منلو الآن يحرق فدادين من التبغ، رجل لم يضع غليونا في فمه قبل الذهاب إلى المستشفى!...
قال: *كل شيء صار ذهبا منذ بدأت هذه الحرب السخيفة، ولم أكن لأهتم لو أن الأشياء كانت متاحة حتى.* قلت: *آه! يا دكتور، الناس في حال سيء. لو استمرت هذه الحرب لن نتمكن من البقاء على قيد الحياة أصلا، لولا رحمة الله...*
صدِّق إذًا، الناس في حال سيء، كما تقول. قال لي رجل منلو بينما كنا نتمشى رائحين غادين في الخارج قبل بضعة أيام من التصريح لنا بالعودة إلى البيت: *أمعائي جفت تماما. إنها تبدو كبنطلون صار أضيق من اللازم عليّ، أو شيء من هذا القبيل. بعد أكل لقمتين أشعر بالامتلاء. انظر إليّ الآن!... بطني المسكينة صارت حساسة جدا مثل لفَّة من السلك الشائك.* كان رجلا ضخما هائلا كالجبل. كان يعلوني بكتفيه ورأسه، كما كان قوي البنية. قلت: *هكذا إذًا، كما تقول. لكني أشعر أن أمعائي ليست في أفضل حال كذلك. كل طعام المستشفى لا يملؤها. إنها تلتهم كل شيء، كما لو أنها أكبر مني بعدة مقاسات. لو قمت بأقل حركة، تبدو أشبه بضرع البقرة، تهتز من ناحية لأخرى...*
... كثيرا ما أخبرني الجزار الكبير أنه يكن لي احتراما بسبب الاحترام الذي كان يكنه أبوه لأبي...
قال: *ستكلفك هذه الزجاجة سبعة شلنات وستة بنسات، إنها الأفضل.* قلت: *بارك الله فيك يا دكتور! لولاك، لا أعرف ماذا كان الناس ليفعلوا أصلا. لا أعرف، صدقني. أنت عظيم لكل رجل في كرب. وليس فيك شيء من تكاسل أو تهاون...*
رجل في كرب، كما تقول. من وقتها فصاعدا، كنت أنا ورجل منلو نكتب أحدنا للآخر كل أسبوع. كان يقول في كل خطاب من خطاباته إن شهيته قد تغيرت تماما. كان يشكو من أنه لا يستطيع تحمل مذاق حبة بطاطس أو لحم أو كرنب الآن. كان ليضحي بالهواء الذي فوقه والأرض التي تحته مقابل الشاي والسمك، وهما الشيئان اللذان أصبحت أمقتهما أنا نفسي الآن. لكن، كما تقول، لا جديد تحت الشمس. لم أكن قط مغرما باللحم أو الكرنب، لكن منذ كنت في المستشفى صرت آكلهم نصف ناضجين من القدر بيديّ العاريتين. والبطاطس كذلك. كنت لآكل البطاطس ثلاث مرات في اليوم لو حصلت عليها...
... قال: *كاحلك العجوز التوى مرة أخرى! قسما بخصيتيّ جالينوس[102] المشعرتين وبالحبل السري لطبيب فيانا، لو جئتني مرة أخرى بكاحلك العجوز

العفن...*
قال: *سبعة شلنات وستة بنسات.* قلت: *لا أضن عليك بسبعة شلنات وستة بنسات، سأعطيها لك بمجرد أن تؤتي الزجاجة مفعولها الطيب...*
تؤتي مفعولها الطيب، كما تقول. لكن لا شيء كان له مفعول طيب بالنسبة لي. كانت الأمعاء مازالت نهمة لا تشبع. بطاطس ولحم وكرنب من أجل إفطاري وغدائي وعشائي. قالت المرأة العجوز: *هذه المداخن القديمة السخماء تشحذ شهيتك. السخام يشكل طبقة فوق أمعائك.* قلت: *إطلاقا، لكن أمعائي صارت هكذا نهمة لا تشبع...*
والله، يا صاحبي العزيز، قفز منتفضا وحطم الزجاجة على الأرض...
صدِّق إذًا، لو قفزت هكذا، كما تقول، لبدأت أمعائي في الحركة جيئة وذهابا، ولم تكن لتتوقف طوال نصف ساعة. حكيت الأمر لمتعلم اللغة الآيرلندية الذي كان يسكن معنا ذلك الصيف الذي مت فيه. كان طبيبا تحت التمرين. وكان سيحصل على أوراق اعتماده في العام التالي. استجوبني حول كل شيء يتعلق بالطريقة التي جرت بها العملية لي. قال: *كنت أنت ورجل منلو معا على نفس الطاولة..*
... *Qu'il retournerait pour libérer la France…*[103]
هشم الزجاجة قطعا صغيرة على الأرضية. ركل الرف وألقى أرضا بكل ما كان عليه. وقال: *لولا خوفي من أن أخسر رخصتي كطبيب، لجعلتك تأكل هذه الزجاجات المكسورة.* وذهب إلى حانة ...
وحق دموع وجروح المسيح إنها لقصة، ألم تكن محظوظا! لو كنت قد شربت زجاجة السم تلك، كنت سترقد في فراشك مثل الرجل الذي شرب منها منذ فترة...
كان ليرقد فعلا، كما تقول. قال الطبيب الشاب: *أمعاؤك لا تشبع منذ وقتها، ولديك شهية رجل منلو. كان الأطباء والممرضات ثملين ذلك اليوم بعد حفلة الرقص في الليلة السابقة!* قلت: *هكذا هم وأمثالهم، كما تقول.* قال: *آه، لا شك في ذلك، لكنهم عندما كانوا يعيدون أمعاءكما أنتما الاثنين، وضعوا أمعاء رجل منلو داخلك وأمعاءك داخل رجل منلو. لهذا أقلعت عن التبغ...*
لكنك لم تقلع عن السرقة يا . بعد أن شقوا بطنك حدث أن سرقت طحالبي البحرية المنجرفة...
ومطرقتي الصغيرة...
خذ بالك ربما سرق أمعاء رجل منلو!...
لو وجدها معلقة متدلية لفعلها!...
كل ما قاله لي أني طُعنت عبر حافة كبدي. قال: *لقد طُعنت عبر حافة كبدك، وهذا هو كل ما في الأمر.* قلت: *الخائن نسل ذوي الأذن الواحدة! أتوسل إليك يا دكتور بحق كبدي المقطع شرائح! ستشهد ضدهم بأفضل ما يمكنك. سيُشنقون...*
ذهبت إليه . قال: *ما مشكلتك الآن؟* قالت: *كانت هنا منذ يومين، هل تعتقد يا

دكتور أن ما تشتكي منه سيقتلها؟ بارك الله فيك يا دكتور! يقول لي الناس إن لديك سما. سأتقاسم وصية معك! لن يعرف أحد أبدا بالأمر لو أسقطت أقل القليل منه في المرة القادمة وقلت لها إنه أفضل الدواء: ملعقتان قبل النوم وملعقتان على الريق...*
لكن كان بمقدور أن تقاضيها هي والطبيب عندئذ...
رباه! لم يسمح لي الطبيب بالخروج ذلك اليوم...
... ولم أر جنيهي قط منذ ذلك اليوم حتى اليوم الذي مت فيه...
... أن العاهرة الحقيرة طلبت منه أن يسممني. لم يقلها مباشرة، لكن...
... لكن اسمعي يا ، هل ردت لك وعاء الشاي الفضي أصلا؟
... كان من السهل عليّ معرفة ذلك من الطريقة التي تحدث بها الطبيب ذلك اليوم...
يا يا آكلة البطاطس المحروقة! لا تصدقها يا ! ، لا تصدق الجربانة!
سيعاقبنا الرب يا ، على قول أي شيء...
سأنفجر! سأنفجر! سأنفجر!...

٦

... صدِّق إذًا، كما تقول. أصلحت المدخنة لها في نفس الوقت...
... قسما بالله يا صديقي، وأنا لا أغتابها بشيء، لكنها نالت بعض المال مني بالتملق، يا صديقي، وكان ذلك في وقت المائدة المستديرة أيضا. فيم كانت تريد مائدة مستديرة؟ انظر إليّ!...
أيها التافه الحقير! متى كان لديك مليم؟...
عار علينا يا أن تركنا السوق الإنجليزي يفلت! كانت لديّ قطعة أرض...
قسما بالله لم تكن هناك قطعة أرض تحت سلالم السماء أحلى من قطعة أرضي. لم تكن، يا صديقي. لكن قرب النهاية لم تبق لدي أي رغبة في السير أو العمل، مع الجري وراء ماشية طوال الوقت، محاولا أن أبقيها بعيدا. هما الاثنتان اللتان نتفتا وبري، ولا أدعي عليهما ذلك!
آه! انظروا كيف ستتمزق حيازتي الكبيرة وتخرب! حمار وحمار وماشية ينحلانها من الزرع نهارا وليلا. ابني الأكبر في صحبة دائمة مع ابنة ، رغم أنها تحت تأثير تعويذة ما منذ اليوم الذي وُلدت فيه تقضي بألا تترك كومة عشب لي تمر...
وحق دموع وجروح المسيح، ألم تخبر أنه كان ثمة جحر لابن عرس في كومته!
آه، فليخوزقها الشيطان! لقد ألقت بتعويذة أو تميمة من نوع ما على ابني الأكبر. كانت لديها آلة تصوير واعتادت أن تلتقط صورا لنفسها وهي ترتدي تلك الهلاهيل الحقيرة البالية. يعتقد ابن أن المرأة العجوز، زوجتي، أكثر ميلا الآن لأن تطرد الابن الثاني وتعطي الحيازة الكبيرة للابن الأكبر. فليأخذها الشيطان إن فعلت...!
... تمرين: يمكن للحمار أن يلتهم من العشب ما يساوي أربع قصبات مربعة من مساحة المرعي العادي خلال ليلة واحدة. والسؤال الآن يا : كم مرة يمكن لأربع قصبات مربعة من الأرض أن تدخل في السبعة عشر فدانا التي لديك: سبعة عشر على أربعة، مضروبة في أربعين...
... بأمانة يا ، لم تكن هناك لمحة من الرومانسية لدى . كل ما كانت ما تسعى وراءه هو الأرض والبيت. على أمل أن تسرق بعضا من علية القوم الذين كانوا يترددون على المكان. يمكنك أن تتأكدي أن هذا لم يكن حبا في ...
لا تصدقها يا . لا تصدق ذات السمانتين الجربانتين!...
سيعاقبنا الرب على قول أي شيء...
... لقد فشلت تماما في الحصول على أي رجل على الإطلاق يا . أخبرني أنها كانت أشبه بدور برد لا يمكنك التخلص منه! ما إن تبصقيها من فمك حتى تدخل مرة أخرى عبر أنفك...
أوه يا ، لا تصدقها! يا إله السموات الليلة! !...
... بأمانة يا . لم تمر ليلة دون أن تجيء فيها عبر الدرب القديم من قريتها، لتكون هناك أمامه في الزقاق عندما كان يزور...
آه يا أم الرب في الأعالي! عِرق البؤس!

... طلبت منه أن يتزوجها، مرتين أو ثلاث...
! أتزوج !...
... بأمانة يا ...
أهلا !
أهلا !
بأمانة الله يا ! ليس من اللائق أن تزعقي *أهلا* هكذا في أنحاء المقبرة. ماذا سيقول أهل مقبرة الجنيه؟ وهذه قدوة سيئة لناس مقبرة النصف جنيه. قولي *مرحبا* إذا شئتِ. لكن لماذا تكلفين نفسك عناء الرد على ذلك الجلف العجوز أصلا؟...
الحب من طرف واحد يا ...
... يا ! ذو الأنف المسدود، والكتفين المقوسين، والضب البارز، واللحية. الذي لم يستحم قط...
سيعاقبنا الرب يا ...
... أقول لك إن الحياة لم تكن لتصل لنصف هذا السوء لو كانت بلا نساء...
ألم تسمع القصة التي حكاها منذ يوم أو اثنين؟ أغوت الخادمة الصبية البابا، واضطر -وهو رجل مقدس كان هنا منذ زمن بعيد- إلى الذهاب مباشرة كي يخبر البابا أن ينتبه لحاله. ذهب إلى روما معتليا ظهر الشيطان...
انظر إلى تلك المرأة السكيرة في برايت سيتي التي هددت برفع دعوى على إن تركها من أجل امرأة أخرى...
كان ليقول إن النساء أسوأ من الرجال. طلبت أخت القس من ابنه أن يتزوجها...
نفسه يقول هذا...
آه، النساء دائما هن الملومات!...
النساء دائما هن الملومات يا ؟
آه، ألم أرِ حالة هاتيك الفاسقات في السينما!...
صدقي إذًا يا ، أنت رأيتِ وأنا كذلك. عندما كانت تبتسم لنا، ألم أقل للفتى: *لا أنصحك بأن يكون لك أي شأن مع أمثالها. ستكون ماهرة في التعامل مع أي مهر بشكل صحيح، لكن...*
اسمع يا ، ليست النساء إلا قوس قزح على مؤخرته، كما يقول المثل القديم.
والله عال! عجوز خنشور مثلك يحقر من شأن النساء، وأنت طوال حياتك لم يكن لك قط علاقة بالنساء، إلا إذا رأيتهن في الطريق! كيف لك أن تعرف بحق الشيطان؟...
أعرف هكذا. أخبرني رجل منذ زمن طويل. رجل عجوز كان عجوزا جدا...
النساء أسوأ مائة مرة. هن كذلك بالفعل يا صديقي. قسما بالله...
آه، لا تزعجني! انظر إلى ابني الأكبر الذي لن يترك ابنة رغم أني كنت سأدعه يحصل على الحيازة الكبيرة! فليخوزق الشيطان...
وِابن الرِجل الذي هناك الذي تزوج سوداء...

أنا امرأة، وكنت لآخذ جانب النساء لو وجدت في نفسي القدرة على فعل هذا. لكن كل ما عليكم أن تفعلوه هو أن تستمعوا إلى وهي تقود إلى الجنون يوما بعد يوم...
صدِّقي إذًا، ليست المرأة الوحيدة في المقبرة التي سلطت لسانها علي ...
لم أر قط امرأة في سوء هذه المرأة. هل تعرفون ما قالته له البارحة، أن خدعته عندما طلبت منه الزواج منها. أليست امرأة عديمة الحياء؟...
وحق بلوط هذا التابوت، سمعتها تقول: *زمرة النساء هنا غيورات من حديثك معي، لكن كن صارما حقا معهن كرجل حقيقي!*... أي حياء كان لديها في الأصل تركته وراءها فوق الأرض...
قالت لي: *يا ، لقد أزيلت الشوكة من قلبي، ومنذ وصل أشعر أن الوقت يطير سريعا كليلة من الموسيقى.* فقلت لها: *هل لم يعد لديك أي أثر من حياء يا ؟ *...
هل سمعتِ يا ما قالته لي؟ قالت: *يا ، أليس هذا انتقاما هائلا من العاهرة؟ ملكي، ملكي. لم يعد تحت شالها الرث الآن يا ...*
سأتحدث إلى . وستتحدثين إليه أيضا أيتها العاهرة، إن تحدث إليك. هو لا يتحدث إليك ليس عن قلة محاولة منك، أيتها المؤخرة الضيقة الحقيرة...
ارحميني من سياط لسانك يا . ما أريده هو السلام والهدوء...
زادك الله قوة يا ! إنهن يحتجن بشدة لمثل هذا التوبيخ! يظن المرء لو سمع هاتيك العصبة من النساء أنه لا يوجد رجل آخر في المقبرة غير ! ولا يهمني هذا لو لم يكنَّ نساء متزوجات...
لكن اعترف منذ بضعة أيام أن الموت يحل عهود الزواج...
وما الذي يوغر صدره على إذًا؟
قال إن الموت يحل عهود الزواج! كنت محقا في شكوكي تجاهه. إنه مهرطق عن يقين...
هلا توقفتم حتى تسمعوا القصة كاملة! لو أن لم تقل غير هذا القدر من الحديث لما اهتممت... لكنها قالت: *يا ، هناك...* يمنعني الاحتشام من تكرار ما قالته، وكل هؤلاء الرجال ينصتون...
اهمسي بها يا ...
اهمسي بها لي يا !...
لي يا !...
سأقولها ... والآن ما رأيك في هذا يا ؟...
يا خبر! أنا مصدومة! من كان ليعتقد هذا أصلا في !...
أعتقد أننا ينبغي أن نحذر ، بما أن ليست هنا...
سأتحدث إليه...
أنت لا تملك الفطنة التي قد تملكها امرأة...
هل تحتاج إلى أي نصيحة روحية يا ؟

إنه تطفل كبير منك يا ابنة ، أن تدسي أنفك في الموضوع أصلا، والنساء هنا لديهن ثلاثة أضعاف عمرك...
يا ! يا !... أنا ... لديّ نصيحة لك... بعد قليل. ستغني أغنية صغيرة أولا يا ...
غن من فضلك يا ...
بارك الله فيك يا ، غنِ!
، لا يمكن أن تكون فظا معي. أنا ...
بأمانة يا ، ذلك المقطع الجديد: بونجا بونجا بونجا[104]...
بونجا بونجا بونجا! بالله عليك بونجا بونجا بونجا يا !...
لن ترفض طلبا لي يا . معك ...
سامحكم الله جميعا!... لماذا لا تتركوني وشأني!... قلت لكم بالفعل إني لن أغني أي أغنية.
آه يا ، يا أعز الأحباب يا ، تلك الزمرة من النساء نهمات ومُلحات كسرب من خنازير البحر يطارد سمكة حفش. قل لهن يا كما اعتدت أن تقول لنا منذ زمن طويل في المستنقعات، عندما كنا فتيات صغيرات يرمينك بكتل الطين: *كنت أعتقد أن موسم صيد الطيور لا يبدأ مبكرا هكذا في العام...*
سيعاقبنا الرب على قول أي شيء غير مرغوب فيه يا . لكني أبتهل إلى الرب وأمه المباركة أن يزيحا نساء هذه المقبرة عن ظهري...
متسخة القدمين، الكاذبة، المبتسمة، . آه، يا يا حبيبي، أعرف هؤلاء النساء أفضل منك. كنت دائما بعيدا عنهن، هناك في براري المستنقعات. وأنا هنا منذ زمن أطول منك. احرص ألا تولي اهتماما لهن! لا مشكلة لديّ، لكن أن يطلبن منك أغاني!
كل دقيقة يا . لكن الرب سيعاقبنا على قول أي شيء عن جيراننا...
هؤلاء النساء سيقلن عن الرب الرحيم نفسه يا إنه جاء ليأخذ جنيها منهن ولم يسدده! آه، لقد عانيت من الحياة معهن ومع أكاذيبهن! !... كنت تعدني لزمن طويل، لكن قد يمكنك كذلك أن تغني أغنية الآن...
لا تطلبي مني يا ...
مقطع واحد فقط يا ! مقطع واحد فقط!...
في وقت آخر يا . في وقت آخر...
الآن يا . الآن...
كيف لي أن أعرف إن كانت امرأتي العجوز لا تعاني من سكرات الموت في البيت؟
آه، إن كان هذا كل ما يقلقك يا ! إنها فقط تشكو من الروماتيزم ولن يأتي هذا بجثتها إلى المقبرة حتى عشرين عاما أخرى!
إنها ليست دائما بخير يا ...
لا ألم لديها ولا مرض يا . عسى أن تظل جثتها بعيدة عن هذه المقبرة! غن الأغنية. كرجل طيب، يا عزيزي الصغير!...

كانت امرأة طيبة يا ، كل يوم من حياتها، وأنا لا أقول لك هذا لمجرد أنك أختها...
لا يهم مثقال ذرة ما تفعله الأخوات في هذه الحياة يا . لكن غن الأغنية...
لا أحب أن أرفض لك طلبا يا ، لكن لا فائدة من الإلحاح عليّ. غريبة الطريقة التي تحدث بها الأمور يا عزيزتي . في الليلة التي سبقت زواجي، كنت في الحجرة في بيتكم وكانت مجموعة من الناس تحثني على غناء أغنية. كانت هناك . عسى أن يسامحني الرب على قول أي شيء لأي أحد، لكن هؤلاء الثلاثة كن يلححن عليّ بقوة. كان صوتي قد صار أشبه بصرير غطاء صندوق قديم من الغناء لهن طوال الليل. قالت مازحة وهي تجلس في حجري: * لن يغني أبدا أي أغنية أخرى إلا إذا طلبت أنا منه...* هل تصدقين يا أن هذه كانت الكلمات التي مرت بخاطري في الصباح التالي وأنا جاثٍ على ركبتيّ عند سياج المذبح أمام القس؟ عسى ألا يعاقبني الرب على هذا! كانت خطيئة فظيعة بالنسبة لي! لكن غريبة الطريقة التي تسير بها الأمور يا . كل مرة كان يُطلب مني أن أغني أغنية من وقتها، كان ذلك أول شيء أفكر فيه!...
رباه يا رباه! آه يا ! يا ! سأنفجر! سأنفجر!

97 قال السيد تشرشل إنه سيعود لتحرير فرنسا. هل تفهم يا صديقي؟
98 لقب ويليام جويس، الذي كان يذيع الدعاية النازية الموجهة لبريطانيا وآيرلندا وجرى إعدامه بتهمة الخيانة في سجن واندزوورث عام ١٩٤٦. *من هوامش الترجمة إلى الإنجليزية *
99 يا صديقي... الولايات المتحدة الأمريكية، روسيا، والفرنسيون الأحرار.... ما هي الكلمة؟... النازيين الألمان...
100 وزعت الحكومة الآيرلندية اللحم البقري على الفقراء في غرب آيرلندا خلال الحرب الاقتصادية مع إنجلترا في ثلاثينيات القرن العشرين، عندما تعطلت تجارة الماشية مع إنجلترا على نحو خطير. *من هوامش الترجمة إلى الإنجليزية *
101 منلوخ، قرية تتحدث الآيرلندية جزئيا وتقع في الضواحي الشرقية لمدينة جالواي. *من هوامش الترجمة إلى الإنجليزية *
102 الطبيب والفيلسوف الروماني الذي مارس التشريح وكتب رسالة عنه. *من هوامش الترجمة إلى الإنجليزية *
103 أنه سيعود لتحرير فرنسا.
104 عبارة عامية ذات إيحاءات بذيئة على نحو مبهم، ارتبطت ربما بتسجيل من عام ١٩١٠ له علاقة برقصة إفريقية. *من هوامش الترجمة إلى الإنجليزية *

الفاصلة العاشرة
الطين الأبيض
١
من الصعب عليه أن يذهب...
إنها مقايضة عادلة بالنسبة له...
إنه من المؤلم له...
إنها مقايضة عادلة بالنسبة له...
إنها مظلمة عليه...
إنها مقايضة عادلة بالنسبة له...
إنه خطر عليه...
إنها مقايضة عادلة بالنسبة له...
لكن...
إنها مقايضة عادلة بالنسبة له....
٢
قسما بالله، لم يكن يمكنك أن تسمع صوت سائب [105] هناك، مع كل الدق والخبط. لم يكن يمكنك يا صديقي...
هل كان هناك أي خطاب من الصغير؟...
يا الله! بارك الله في عقلك يا صديقي! في الحقيقة، لدى أي شاب سيصبح قسا من الواجبات أكثر من كتابة الخطابات لهؤلاء الساكنين في جحور المستنقعات هناك. متسببا في مزيد من الرحلات لرجال البريد...
قضت فترة في الفراش يا ؟...
الروماتيزم يا صديقي. الروماتيزم. غادرت الفراش في المساء الذي أرقدوني فيه...
كانت دائما امرأة طيبة يا ...
لطالما قلت يا أنها أطيب قلبا من ...
سيعاقبنا الرب على قول أي شيء ضد جيراننا يا ...
قسما بالله، ألا يملك الجيران ألسنة لاذعة أيضا يا صديقي! لولا أنها كانت أكثر طيبة وأكرم قلبا، لما عرضت أن تدفع ثمن صليب ، وأن تدخل ثلاثة من بنات إلى المعهد. وبتعليمهن الجامعي هذا سيصبحن ذوات شأن عظيم. انظر إليّ!...
لم تضع يدها على قرش قط دون أن توجهه لاستخدام طيب يا ...
هذا صحيح يا صديقي. كنت كثيرا ما أقول لنفسي لو أن حصلت على هذا الميراث لم تكن لتفيق من الخمر في أي يوم من العام...
سيعاقبنا الرب على قول أي شيء عن جيراننا يا . ولم نكن نتشاحن أنا بعبارة أغلظ من *لا تكن سخيفا*...
قسما بالله، لقد بكت عليك ملء حقيبة من المناديل البيضاء الكبيرة. فعلتها بالفعل يا صديقي. ناهيك عن كل القداسات التي أقامتها من أجل روحك! يقول

الناس إنها أعطت قسيسنا مائتي جنيه في يده مرة واحدة، ناهيك عن كل ما أرسلته إلى القساوسة المقدسين في كافة أنحاء البلد...
وحق دموع وجروح المسيح، ألم يقل : *إذا لم يستطع القساوسة رفع على ذلك السلم ومناولته ركلة في مؤخرته ليصعد إلى شرفة الكنيسة، لن يستطيع أحد...*
قسما بالله يا ابن ، أنت لا تعرف نصف الحكاية حتى! لم يكن بمقدورك أن تسمع فرقعة قرب أذنيك هناك، مع كل كلامهم ذاك عن القداسات. قداسات من أجل روح ، ومن أجل روح ، ومن أجل روح ...
الإحسان لا يقل عندما توزعه من حولك يا ...
هذا بالضبط ما اعتادت قوله. كنت أقول لها مثلا: *ألست تنفقين مبلغا كبيرا فظيعا على القداسات من أجل ؟* فتقول: *قابل الإساءة بالإحسان، يا ..*...
سيعاقبنا الرب على قول أي شيء عن جيراننا يا . المسكينة لا حيلة لها في الأمر. المسكينة تتعذب لرغبتها في صليب...
قسما بالله يا صديقي. ما كنت لتستطيع سماع فرقعة قرب أذنيك هناك، بكل ثرثرتهم عن الصلبان. كان صليب جاهزا ومدفوع الثمن، لكن عندما مت أنت قالت إنهم سيتركون صليب حتى يمكن إقامة صليبها وصليبك معا...
وحق دموع وجروح المسيح، ألم يقل إنه لا عجب من أن العالم في فوضى، مع إهدار كل هذا المال الكثير على حجارة قديمة...
قسما بالله يا ابن ، أنت لم تسمع نصف الحكاية. وأنا لا أعرف إن كانت كل هذه الثرثرة عن الصلبان أفادتني بشيء على الإطلاق. صلبان من الصباح إلى المساء ومن المساء إلى الصباح. لم يكن بمقدور الواحد منا الاستمتاع بكأسه من الجعة السوداء في سلام دون أن تطل الصلبان عليه برؤوسها. أخذت نفسي ونزلت إلى منزل ابن ، حيث لا يتحدثون كثيرا عن الصلبان. ألم يصبحوا ذوي شأن عظيم؟...
. . . *Qu’il retournerait pour libérer la France* . .
... نذهب مرة أخرى. ونعود من جديد. لم يمر يوم دون أن أشرب عشرين قدحا على الأقل...
ليكن الله في عونك أنت وأقداحك العشرون! أنا شربت اثنين وأربعين قدحا...
صدق إذًا يا صديقي، الطبيب الذي أتت به من برايت سيتي ليفحصني قال إن ويسكي هو ما عجَّل بموتي. فعلها فعلا يا صديقي. قلت: *صدِّق إذًا يا صديقي، كان الطبيب هو من نصحني بشربه.* فقال: *أي طبيب؟* فقلت: *طبيبنا، رعاه الله! صدِّق إذًا يا صديقي. كانت ابنة تنصت إليه. إذا كنت لا تصدقني، اذهب إليها في طريق عودتك. أنا لا ألوم الطبيب على الإطلاق يا صديقي. كنت أشربه طوال حياتي ولم يتسبب لي في أي أذى قط. قسما بروحي، أنا ألوم القس يا صديقي. قسما بالله، أعتقد أنه لم يقدم لي أي عون على الإطلاق...*
هِل يمكنني تِقديم أي مساعدة روحية لك يا ؟...

أهلا يا ابنة . أهلا! محادثة صغيرة دافئة...
باعتبار أن القس خذلك...
القس لم يخذله. القس لا يخذل أحدا. أنت مهرطقة...
... وحق بلوط هذا التابوت، يا ، لقد أعطيت الجنيه لـ...
سيعاقبنا الرب يا ...
... المواريث! لولا ميراث ، لم يكن ليحصل على أوراق دفنه بهذه السرعة...
اللوم عليه! يظل الشراب مكانه، حتى يقطع بكرشه الصغير الطريق إليه.
ميراث لم يجلب الحظ الجيد . اشترت سيارة به وقبعة بريش الطاووس...
آه! آه!...
لقد رأينا كل هذا من قبل بالطبع! كانت المواريث هي ما أبقت أهل قرية دوناه أحياء عبر العصور. لم تكن نباتات القراص على أي حال. لقد رأينا نساء لم يملكن قفازات بالأمس، يرفلن في القبعات والزينة اليوم. تلك علامة شر بالنسبة إليهن: فغدًا تضع الدجاجات بيضها في قبعاتهن...
كان لدى أهل قرية دوناه الإصرار على السفر إلى تخوم الشمس ذاتها، إلى السور الفاصل للجحيم ذاته، بحثا عن المواريث. أما متاعيس قريتك لو غادروا تلالهم، لشعروا بالحنين إلى براغيثها!...
ما قولك في رجل من قريتنا مات ودُفن وليس معه غير شلن!...
رجل من قريتنا دُفن ومعه ما هو أكثر بكثير من شلن، لكن سيغدو يوما سعيدا له لو لم يكن يملك هذا المال. كان رجلا بسيطا واقعيا حتى حصل على هذا المال الكثير. ومن ساعتها لم يره الرب ولا العبد إلا واقفا في كل ناصية ووجهه الغبي محدق بابتسامة بلهاء. أليس كذلك؟ أراهن أنك لم تره قط إلا ووجهه محدق بابتسامة بلهاء...
أن يكون وجهك محدقا بابتسامة بلهاء ليس أمرا بالغ السوء، لكن انظر إلى ذلك الشاب من مرتفعات سافي -وهو قريب لي- الذي حصل على ثروة صغيرة، ولم يكن لشيء أن يرضيه غير أن يذهب ويكسر رقبته. هذه هي الطريقة الوحيدة للتعبير عن الأمر: لم يكن لشيء أن يرضيه غير أن يذهب ويكسر رقبته...
آه، انظر إلى ذلك المهرج اللزج من بحيرة ديري! ثمة عجوز شمطاء تركت له بضعة آلاف. لم تكد حصة الشاي القادمة من محل تستقر في كرشه حتى انطلق إلى دبلن يشتري سيارة تشبه الوحش. وقابل امرأة ضئيلة مهلهلة تتسكع هناك، فجلبها معه إلى الديار! ومع ذلك لم تظل معه طويلا. كانت جلجلة السيارة تقلق معدتها. وعادت لتتسكع هناك من جديد. وحملت السيارة لقب . عسى ألا أغادر هذه البقعة لو تمكن من تحريكها بوصة دون أن يضطر لمناداة عصبة من المغفلين من نهاية درب ما لدفعها!
ألم يلتوِ كاحلي!...
وكانت العصبة تدفعها إلى أقرب حانة. وكانت تظل هناك حتى انبلاج النهار، وبعد ذلك كانوا يدفعونها في طريق العودة. انتهى الأمر بعجلاتها وهيكلها عند . كان

لديها بوق جبار!...
وهذا ما حدث لسيارة ...
صاعدة هابطة أمام بيت ...
رباه!...
صدِّق إذًا، بالنسبة لسيارة أتت بمال ميراث، كانت تخطر في طريقها بمرح جميل...
عسى أن يأتي إلى هنا قريبا بعون الله...
لم تخرج لمحة من ميراث من مكتب المحامي. أخبرني بهذا، في اليوم الذي كنت فيه معه لرفع دعوى ضد بشأن مطرقتي الصغيرة...
... قال وعيناه تسترقان النظر إلى البلطة الصغيرة: *سيحدث الانهيار في وول ستريت، كما حدث من قبل. ستسقط في الهاوية وسأفقد ميراثا آخر كما حدث لي من قبل...*
قالت التي كانت حاضرة: *لا يهمني الأمر إطلاقا يا لو سقطت في الوحل ولم تخرج منه، طالما ستسقط كالرعد على ميراث أيضا...*
حصلت امرأة العجوز على نصيب من ميراث...
هذا ما منحها البيت الفاخر...
آه لا، لم يكن الميراث، بل عشبي...
فزت بضربة تأمينية كبيرة وقتها. نفسه وابنته الكبرى...
وأنا بعت المجموعة الكاملة من كتب *النجار والميكانيكي المثالي * لابنه...
صدِّق إذًا، كما تقول...
صاحبك الذي هناك حصل على ميراث في الوقت الذي كانت فيه ابنة تغويه بالدخول في القاعة الخلفية...
حصل على ميراث...
إذًا لن يكون في حاجة لأطباء...
آه، اللص! المنخاس النخاس!...
... أنت كاذب! لم يطعنني الجزار نسل ذوي الأذن الواحدة بسبب الميراث...
... ذلك الشخص استطاع أن يدفع ثمن اثنين وأربعين قدحا! رجل كانت لديه قطعة ضئيلة من الأرض لا يمكن أن تستوعب غير الساقين الخلفيتين لحماره! أما ساقاه الأماميتان فكان لا بد من أن تقفا على أرض المجاورة له... ذلك هو! لكنه عن طريق دفعه سيارة ذلك الأحمق من بحيرة ديري استطاع أن يحصل على المال...
أيضا، لقد نال حيازته الكبيرة عن طريق الميراث، تلك الحيازة التي يريد ابنه الأكبر أن يجلب إليها ابنة ...
آه! ليخوزقها الشيطان! أقسم أمام الله لو سمحت لها المرأة العجوز في البيت بالدخول!...
ابنة مؤمَّن عليها...

... لو أن الأمور تجري هكذا، فقد كانت محظوظة لأنها لم تحصل على الميراث.
لو حصلت عليه...
كانت ستبني بيتين سقفاهما من الإردواز...
كانت ستشتري سيارتين...
كانت ستضع صليبين فوقها...
وقبعتين...
لن تعرفوا أبدا، لكن لعلها كانت حتى سترتدي بنطلونا...
وحق دموع وجروح المسيح، ألم يقل عندما ذهب ابن ابنته إلى المعهد ليصبح قسا: *لو كانت هذه المشاكسة النكدة حية، لم تكن لتتوقف حتى تجعل ابنها يترك زوجته ويصبح قسا هو نفسه...*
لو قلت لي يا كم من المال كان موجودا في الوصية، سأحسب لك الفائدة:
الفائدة = رأس المال × الوقت × النسبة / 100
أهذا صحيح يا أستاذ؟...
سيكون هذا كافيا على أي حال لسداد جنيه ...
وأجرة مقابل إصلاح المدخنة...
ومستحقات عن الملاعق والسكاكين الفضية...
آه، يا أم المسيح المقدسة! ملاعق فضية في جورت ريبوك! ملاعق فضية! آه يا !
! ملاعق فضية في جورت ريبوك! سأنفجر! سأنفجر!...

٣

... قالت هذا يا أستاذ؟...
قالته يا يا . أخبرتني...
... قلت: *العيب هناك في الأعلى*...
... قالت : *وحق الشيطان، إنه خنزير جيد للشواء...*
... *كانت ابنة...*
متى ستتزوج مرة أخرى في رأيك؟...
آه، على رسلك يا يا جارتي، كيف لي أن أعرف؟...
يمكنها بالطبع الحصول على رجل بسهولة، لو كانت تنوي الزواج من جديد. إنها امرأة قوية نشيطة، بارك الله فيها!...
هذا صحيح يا ، يا جارتي!...
لو لم تقل أي شيء عن ذلك عندما رأتك تحتضرين...
لم تقل يا ...
ربما سيتزوجها ...
أو معلم بحيرة ديري، بما أن أخت القس قد هجرته...
أنت هدية من السماء يا . بأمانة! أخبرنا إن كانت الأستاذة تحدثت بأي حديث عن الزواج من جديد...
آه! هل ذلك هو بالفعل؟ الوغد، النذل، كيس الخطابات الحقير الشهواني؟ آه! أين هو النذل؟...
هذا ترحيب طيب في طين المقابر...
قسما بالله يا أستاذ، ألا تذكر أني أخبرتك؟ ألم يمت!...
ها! أين هو؟...
والآن يا أستاذ، يا جاري، اهدأ! اهدأ! كنا جيرانا طيبين فوق الأرض. هل حدث وفتحت خطابا من خطاباتك أبدا؟... آه، يا عزيزي الأستاذ، لا تكذب!... آه، يا أستاذ، لو أن الأمر هكذا، فأنا لم أفعل ذلك... كان بمقدور مديرة مكتب البريد أن تفعل ما يحلو لها، لكن لا تتهمني بشيء لم أفعله يا أستاذ... آه، هذه كذبة بالقطع يا أستاذ! لم أعط خطابا من خطاباتك لأي أحد، ذهبت مباشرة إلى بيتك وسلمته ساخنا طازجا خارجا من الحقيبة إلى راحة يدك. أعرفك الآن يا أستاذ، ليس كل ساعي بريد يفعل ذلك!...
آه يا أستاذ، يا أستاذ، ليسامحك الله! لم أجلب البريد بهذه السرعة كي أرى زوجتك. آه، حاشا لله يا أستاذ، أن تخطر مثل هذه الفكرة في ذهني!... آه يا أستاذ، يا جاري، لا تقل هذا! لا تقل كذبا عنها. إنها مازالت بالأعلى على طريق الأكاذيب المظلم، وأنت على طريق الحق المنير...
صدقني يا أستاذ، يا جاري، كنت حزينا جدا من موتك. كنتَ رجلا محترما تحسن وفادة من يزورك. وكان حديثك يستحق الإنصات يا أستاذ. كان لديك تدفق جميل

للكلمات حول شؤون الحياة... آه يا أستاذ، لا تقل أشياء مثل هذه!... آه، يا أستاذ!...
لم يمر يوم دون أن أواسيها على موتك... آه، يا جاري العزيز، هلا توقفت لخاطر الله عن هذا النوع من الكلام! كنت أقول: *إنه لمن دواعي الأسف الشديد على ، لم يعد البيت نفسه على الإطلاق منذ رحل. صدقيني يا أستاذة، أنا حزين جدا من أجله...*
... الصبر يا أستاذ! الصبر يا أستاذ! ألا يمكنك الإنصات لما أقوله! كانت المسكينة تقول: *يا ، أعرف هذا. كان مولعا جدا بك...* ... آخ! والآن يا أستاذ! على رسلك يا أستاذ! *لقد فعلت أقصى ما أستطيع من أجله يا ، لكنه كان في حالة تفوق مهارة الأطباء...* آه يا عزيزي الأستاذ! يا عزيزي، عزيزي الأستاذ! ... *هكذا يا ، كان الأستاذ أفضل من أن يبقى...*
... آخ! يا أستاذ، لا تجعل من نفسك فرجة أمام الجيران! تذكر يا أستاذ، أنت رقيب أول التعليم، وعليك أن تمثل قدوة حسنة... الصبر يا أستاذ! آه، يا أستاذ، لقد سلختني تماما. إنه لترحيب طيب في طين المقابر!
هل تحتاج أي مساعدة روحية يا ؟...
آه، الفاسق الشمام، هو بحاجة إليها فعلا...
De grâce يا أستاذ! تحكم في نفسك. شخص رومانتيكي جدا. بأمانة...
أنت نفسك يا أستاذ كنت...
صدِّق إذًا يا أستاذ، لقد رأيتكما!... في المدرسة!...
لا عجب أن أبناءنا يتزوجون مهرطقات وسودا...
... باختصار يا أستاذ، كان يوم الإثنين الأبيض، إثنين الفصح. أخذت اليوم عطلة. وذهبت غربا على طول الطريق لأتمشى قليلا...
... والآن يا جاري، ما الضرر الذي كان هناك في الذهاب للتمشية؟ مرة واحدة فقط في اكتمال القمر الأزرق واتتني فرصة أن أفرد ساقيّ... لم يكن من الجيد لصحتي أن أتمشى شرقا على طول الطريق يا أستاذ... اهدأ!... وعندما كنت أمر ببوابة بيتك، لاحظت أنها قد أوقفت السيارة إلى جانب الطريق. نفخت لها العجلات. ما الضرر في هذا يا أستاذ؟ كان تعاونا ومساعدة من جار لجارة...
قلت: *رحم الله المسكين! كان فخورا جدا بهذه السيارة.* فقالت المسكينة: *يا ، لم يكن مقدرا للأستاذ الكبير أن يتمتع بطيبات هذه الحياة. كان أفضل من أن...* آه يا أستاذ، ليست غلطتي!... لكن انتظر دقيقة يا أستاذ! اسمعني للنهاية...
قالت: *اجلس بالداخل يا ، ستقود السيارة من أجلي. أنا في حاجة للخروج في فسحة بعد كل هذا الوقت في الحداد والثياب السوداء. لن يرى أحد فضيحة في هذا. أنت صديق قديم للأسرة يا ...* تحكم في نفسك يا أستاذ. ألا ترى أن الجميع ينصتون! لم أظن أنك من هذه النوعية من الرجال إطلاقا!...
باختصار يا أستاذ، كان المكان مهجورا، إلا منا نحن الاثنانِ. لو ذهبت منِ قبل

لرصيف ميناء برومونتوري في مثل هذا الوقت من اليوم يا أستاذ، لعرفت أنه لا يوجد تقريبا مكان أجمل منه على وجه الأرض. كانت المصابيح تضاء في المرتفعات والتلال المواجهة للخليج. شعرت يا أستاذ... آه، لخاطر الله يا أستاذ، تحل بقليل من الاحتشام!...
... باختصار يا أستاذ، أخبرتني أن حبها لي أعمق من البحر... آه، تحل بالصبر يا أستاذ! كن صبورا! آه، يا أستاذ، كنت متأكدا أنك لست من هذه النوعية من الأشخاص...
... قالت: *رحم الله هذا الوقت منذ أربعة أعوام! كنا أنا المسكين هنا، ننظر إلى الأضواء والنجوم والوميض المنعكس على الطحالب البحرية...* آه، يا عزيزي الأستاذ، ستسب نفسك! اهدأ!... قلت: * المسكين..* فقالت: * ، كان خسارة كبيرة. لكنه كان أطيب من أن...* يا أستاذ، يا أستاذ، يا جاري، لماذا لا تسمعني إلى النهاية؟!...
قالت: من تحبه الآلهة يا ، يموت صغيرا. والله يا كان مولعا بك بشدة...* ماذا كان يمكنني أن أفعل يا أستاذ؟...
والآن يا أستاذ! رأى ...
صدِّق إذًا، كنت تضاجعها يا أستاذ...
... ماذا كنت لتفعل أنت نفسك يا أستاذ لو كنت مكاني هناك عند رصيف ميناء بومونتوري، وأنتما الاثنان تنظران إلى الأضواء، إلى النجوم، إلى الوميض؟... آه، اهدأ يا أستاذ!... باختصار يا أستاذ... والآن يا أستاذ، يا جاري... آه، تحكم في صبرك يا أستاذي العزيز... لماذا تنقلب بهذه الوقاحة ضدي؟ لم أكن أستحق منك هذا...
باختصار يا أستاذ، أتت لي بثلاثة أطباء من دبلن... أنا لم أر قط في حياتي كلها أمثالك يا أستاذ! لماذا تحمل عليّ هكذا يا أستاذ؟ لا أحد ممن عرفوك فوق الأرض سيصدق أن تتصرف على هذا النحو...
قالت: *ما حدث للأستاذ الكبير لن يحدث لك إذا كان بمقدوري تجنبه..* ... بركات الله عليك يا أستاذي العزيز، اهدأ. ستجلب العار على نفسك. وأنت أستاذ معلم في النهاية...
... باختصار يا أستاذ، كنت أعاني من ألم حاد في جانبي وكليتيّ. شعرت ببعض الراحة في المساء: راحة ما قبل الموت. جلست على جانب الفراش وأمسكت بيدي... بارك الله فينا وحفظنا! انظروا إلى الضجة التي يثيرها الآن؟ كيف كان لي أن أسيطر عليها؟...
باختصار يا أستاذ قالت: *لو كان مقدرا لك ألا تتعافى يا ، لن تكون حياتي حياة بالنسبة لي دونك...* آه يا أستاذ، لا تكن محبا للانتقام هكذا... حتى لو تزوجت مرة أخرى، هل سيكون هذا خطأي؟... تحل بالصبر يا أستاذ!...
... باختصار يا أستاذ، كنت على البرزخ المؤدي إلى الأبدية عندما صرخت في أذني: *سأدفنك بطريقة لائقة يا ، وسواء كانت حياتي طويلة أو قصيرة بعدك...*

اهدأ يا أستاذ! اتركني في سلام لخاطر الله يا أستاذ!... لكني أعتقد أن سلامي ذهب إلى الأبد... آه، لو أنها فقط فكرت في دفني في أي مكان في المقبرة غير أن أكون عالقا هكذا مثل ذيل الشيك البنكي لصق هذا المجنون. لكن المسكينة لم يكن بمقدورها تجنب هذا. لم تكن تعرف ما تفعل... آه، اهدأ الآن، اهدأ يا أستاذ!
وحق دموع وجروح المسيح إنها لقصة، ألم يقل عندما سقط مريضا: *هذا التافه الحقير سيذهب إلى الطين قريبا. والله سيكون محظوظا بأن يُدفن أصلا. لو كان هناك في دبلن، لألقوا به بالتأكيد في صفيحة الزبالة. لكن امرأتكم ستكنسه جيدا وتكومه فوق في تلك الحفرة هناك. وسيمزق أحدهما الآخر مثل كلبين ربطوا ذيليهما معا...*
مصيبتي وبلائي!... كان على حق... كلبان ربطوا ذيليهما معا... قسما بروحي، كان صادقا في كلامه!... ذيلانا مربوطان معا يا ...
صحيح يا أستاذ...
كنا نتواثب، نهز ذيلينا ونتودد، حتى سقطنا في الفخ وأهلكتنا الأضواء، أهلكتنا النجوم، أهلكنا الوميض الفوسفوري، أهلكتنا العهود. آه! يا ، أخطأنا وظننا أن الضوء الوامض هو الشمعة التي لا تحترق أبدا...
هذا صحيح يا أستاذ...
ظننا أننا سنحصل على مملكة السماء المرصعة بالنجوم كهدية زفاف، أننا سنشرب في عيد الحصاد حيث لن تسقمك الخمر أبدا...
يا إلهي، كم أنت رومانتيكي!...
لكن كل هذا يا عزيزي كان مجرد وهم، خلقته ذواتنا الفانية... كنا واقعين في الأسر. كان ذيلانا الخفيفا الحركة مربوطين... يا يا صديقي العزيز، ولم تكن إلا النسخة الأنثوية من ذي الخطوط الضيقة[106]، وأدت الخدعة التي تناسب اللحظة.
أنا ذات يوم في جزيرة راثلين، وفي يوم آخر في جزيرة مان...
يوم في جزيرة إسلاي ويوم في شبه جزيرة كينتاير يا جاري وأستاذي العزيز...
بالضبط يا يا عزيزي. هذه المرأة لا تستحق كلمة لاذعة أو لحظة قلق. يا صديقي الأعز، لقد وجدت كلبين أحمقين تركا نفسيهما يقعان في الأسر وتركا ذيليهما يُربطان...
هذا صحيح يا أستاذي العزيز...
يا عزيزي، علينا من الآن فصاعدا أن نتخلص من أي توتر في ذيلينا، ونكون لطيفين وودودين أحدنا مع الآخر...
أنت رجل طيب يا أستاذ! الآن تتحدث كجار! السلام والهدوء يا أستاذ. هذا هو أكثر ما يهم في طين المقابر يا أستاذ: السلام والهدوء. لو كنت أعرف أنها ستدفنني لصقك، لما تزوجتها قط...
لا يهمني قدر خردلة سوداء ما يفعله أي أحد! مهما فعلت، كان ذلك شيئا حقيرا سافلا منك فِعله أيها الوغِد، أيها اللص، أيها النذل! ينبغي أن يتم الزج بك في

غرفة الغاز، أيها المتبجح، أيها الخنزير، أيها...
والآن يا أستاذي العزيز، اهدأ، اهدأ!...

٤

لو عشت لفترة أخرى...
كانت مقايضة عادلة بالنسبة لك...
لو عشت لفترة أخرى أنا نفسي...
كانت مقايضة عادلة بالنسبة لك...
كنت سأحصل على المعاش في عيد القديس باتريك التالي...
ثلاثة شهور أخرى وكنت سأسكن في البيت الجديد...
ليكن الله في عوننا دائما أبدا! لو عشت لفترة أخرى، ربما كانت كومة عظامي ستعاد إلى شرق برايت سيتي...
... كنت سأتزوج خلال أسبوعين. لكنك طعنتني عبر حافة كبدي، أيها الوغد القاتل. لو عشت لفترة أخرى، لما تركت واحدا من نسل ذوي الأذن الواحدة حيا...
كنت لآخذ أرض وودي هيلسايد من أخي. أخبرني المحامي أن بمقدوري...
ظننت أني لن أموت حتى أحصل على حقي من مقابل طحالبي...
آه! فليخوزقه الشيطان! لو عشت لفترة أخرى، لذهبت إلى المحامي وكتبت وصية آمنة. وبعد ذلك كنت سأطرد ابني الأكبر إلى الجحيم وآتي بزوجة لابني الآخر، . ثم كنت سأرفع دعوى ضد ، بالوعة الجعة السوداء، بشأن حميره، وإذا لم أحصل على ما يرضيني في المحكمة، كنت سأدق أشواكا في حوافرها. ثم كنت سأظل ساهرا إلى الفجر حتى أقبض على أهل عند كومة عشبي، وكنت سأقيم دعوى جبارة ضدهم... وإذا لم أحصل على ما يرضيني في المحكمة، كنت سآتي ببضعة أصابع ديناميت من الزعيم الكبير. ثم...
كنت سأرفع دعوى ضد ابنة ...
وحق دموع وجروح المسيح، كنت لأحصل على نزهة طيبة سارة في سيارة ...
كنت سأرى الشمس الغاربة مطبوعة...
لو عشت لفترة أخرى، كنت سأدعك جسدي بـ... ماذا تطلق عليه يا أستاذ؟... نعم، الكحول الإيثيلي...
وحق بلوط هذا التابوت، كنت سأطارد مطالبة إياها بالجنيه...
سيعاقبنا الرب يا ...
كنت لأختم جسدي كله كخطاب غرامي بشعارات ...
قالت مديرة مكتب البريد البارحة إن لجنة الفلكلور الآيرلندي ومدير الإحصاء طلبا منها السجلات التي كانت تحتفظ بها، طوال أكثر من خمسة وأربعين عاما، بعدد الصلبان الصغيرة في كل خطاب. كان متوسط عددها في خطابات خمسة عشر، وسبعة كان عدد الصلبان التي وضعتها دائما في خطاباتها إلى : واحد من أجل لحيته، وواحد من أجل كتفه المقوس...
... الصبر! الصبر يا أستاذي العزيز!...

... لا تصدقه يا ...
لقد ذهبت إلى إنجلترا لكي أكسب المال وأتسكع مع فتية الشاطئ الغربي... سمعت أن هناك مئات منهم في لندن... يرتدي بعضهم سترات فاخرة... ونظارات بعدسة واحدة...
كنت لأسافر حول العالم: مارسيليا، بورسعيد، سنغافورة، باتافيا. بأمانة...
Qu'il retournerait pour libérer la France . . .
لو عشت لفترة أخرى، لما كنت تسببتِ في موتي يا القبيحة. كنت سآخذ بطاقتي التموينية إلى مكان آخر...
... كنت سأذهب إلى جنازتك يا . كنت مدينا لك بالذهاب إلى جنازتك...
كنت سأنوح عليك برقة وعذوبة يا ...
... كنت سأرقدك يا ، بالأناقة التي يخطط بها عاشق خطابه الغرامي الأول...
لو عشت لفترة أخرى، لطلبت منها أن تدفنني في مقبرة أخرى... يا أستاذ، يا جاري، اهدأ، اهدأ! لكن أنصت إليّ يا أستاذ! كلبان بذيلين مربوطين...
... كنت لأشرب الجعة السوداء بالطبع، أطنان من الجعة السوداء...
... كنا سنفوز بالدور. كانت معي ورقة التسعة وكان الدور على شريكي. اللعنة على اللغم على كل حال، لو لم ينفجر في التوقيت الخاطئ!...
... كنت سأرفع قضية على القاتل بتهمة إعطائي السم. *خذ ملعقتين...*
وأنا كذلك، رغم أني لم أهتم قط بالجدال مع المحامي. قسما بالله يا صديقي، كنت سأرفع عليه دعوى مع ذلك. أخبرني أن أتحول إلى الويسكي. وفعلت بالفعل يا صديقي. لو ظللت على شرب الجعة السوداء كنت سأبقى بخير. لم أشعر قط بألم أو وجع...
لو عشت، كان ليواتيني قليل من الحظ مع مسابقة الكلمات المتقاطعة في أسبوع ما. وبالطبع كنت سأحظى بعمليات تأمين عظيمة في بيت . وكنت سأضع *الموت الأبدي للهجاء المبسط* كاسم مستعار لي على تذكرة اليانصيب التالية...
... *ابتسامة مشرقة الآن، يا سيدتي الممرضة* هذا ما كتبته...
مرفأ هيدلاند هو ما كتبه ...
كنت لأذهب إلى السينما مرة أخرى. بأمانة الله، كنت سأحب أن أرى تلك المرأة ذات المعطف المصنوع من الفراء. كان نسخة طبق الأصل من المعطف الذي اعتادت أن ترتديه حتى سقط السخام عليه في بيت ...
هذه كذبة لعينة، أيتها العاهرة!...
ارحميني من سياط لسانك يا . السلام والهدوء هما ما أريده. لم أكن أستحق تنمرك...
... لو عشت لفترة أخرى! لو عشت لفترة أخرى، إذًا! ماذا كنت لأفعل؟ ماذا كنت لأفعل إذًا؟ رجل حكيم فقط من يقول...
لو عشت حتى اجتماع الانتخابات، لعارضت . لأخبرته أنهم يرسَلون كمبعوثين،

وأنهم تجاوزوا سلطتهم...
لقد عشت والحمد لله حتى قلت في وجهه إنهم كانوا يرسَلون كمفوضين. أخبرته بذلك في وجهه. أخبرته بذلك في وجهه. أخبرته بذلك...
هذه كذبة لعينة، لم تفعل!...
أتذكر هذا جيدا. فقد التوى كاحلي...
... لو أنك عشت لفترة أخرى، لرأيت كل شابات قرية دوناه يدخنَّ غلايين الصلصال. هذا ما يفعلنه منذ شحَّت السجائر. ويقلن إن أوراق نبات الحُمَّاض البري المطحونة ونبات القراص عظيمة في غلايين الصلصال...
لو عشت حتى بلغت من العمر عتيا مثل شجرة الطقسوس أو شمطاء بيارا[107]
لن ترى آخر برغوث ينسحق على تلال قريتكم...
لو عاشت مديرة مكتب البريد لفترة أخرى...
لم تكن لديها حاجة لذلك. ورثت ابنتها أساليبها على خير وجه...
لو عشت لفترة أخرى...
ماذا كنت بحاجة لأن تعيش من أجله؟...
كنت سأرى الطين فوقك، على سبيل المثال...
لو عاش ؟
كان سينتقل لبيت آخر مرة أخرى...
كان سيتحول إلى الجعة السوداء من جديد...
لطارد ماشية ابن وطردها من أرضه...
الأرجح ماشية !...
لو عاشت ...
آه، كي تدفن تلك العاهرة قبلها...
لو عشت، لقدمت المساعدة الروحية. لو عشت لأسبوع آخر حتى، لحصلت على معلومات حديثة أولا بأول من أجل ...
يا ابنة ، كان من عادتك أن تفوّتي صلوات الأسرة لكي تسترقي السمع على الأبواب المغلقة، لتري إن كان الجيران يتلون صلواتهم...
... كنت سأذهب إلى كروك بارك لأشاهد ...
رأى شبحك هناك بعد مباراة نهائي بطولة آيرلندا وأنت تئن وتولول...
... كنت سأنهي الإسطبل خلال الطقس الجيد، ولم يكن المهر سيموت...
آه، ألم ير كل من في القرية شبحك؟!...
... لا أصدق في أي شيء كالأشباح يا ...
يقول بعض الناس إنها موجودة. ويقول البعض الآخر إنها ليست موجودة. إنه لرجل حكيم من...
آه، بالفعل توجد أشباح. حاشا لله أن أكذب على أحد، لكني رأيت يطارد حمير وماشية ليطردها من حقل شعيره، وكان ميتا منذ عام كامل!...
السبب الرئيسي لموت كان عندما رأى يفتش أعلى الخزانة في مطبخه، بعد

يوم من دفنه...
... اهدأ يا أستاذ! آه، اهدأ. اهدأ!... لم أحلق ذقني قط بشفرة حلاقتك. أتوسل إليك باعتبارك صديقي وحاميّ يا أستاذ أن تسمعني دقيقة واحدة! كلبان...
شوهد ...
صدق إذًا، كما تقول...
آه، يفعلها! كان يسرق عشبي بالتأكيد...
أو المطارق...
يقولون، أعاننا الله، إنه لا تمر ليلة دون أن يُسمع صوت شبح طائرة في المرفأ الأوسط منذ هبط الرجل الفرنسي هناك...
يا الله، تلك طائرة حقيقية ذاهبة إلى أمريكا من أولستر أو من شانون...
أتعتقد أني لن أميز صوت طائرة حقيقية من شبح؟ سمعته بوضوح، عندما كنت أجمع طحالب البحر الحمراء هناك في وقت متأخر من الليل...
لو كانت الليلة مظلمة...
آه، لا تتحدث بالترهات! أقسم بروحي أنها لم تكن طائرة حقيقية! من السهل تمييز صوت الطائرة الحقيقية...
Mes amis . . .
أطلب الإذن بالحديث! الإذن بالحديث إذًا!
ومع ذلك هناك علامات. لم أكن أهتم بتاتا بالأشباح حتى سمعت عن المدفون هنا في مقبرة النصف جنيه. كان ابنه ذاته من أخبرني. وكان هذا قبل أن أسقط من باب الخزان. كان هو أيضا وقتها مازال في أرض الأكاذيب، لكنه لم ينطق كذبا عن والده. كان طلب أبيه الأخير، عندما كان في سكرات الموت، أن يُدفن هنا في هذه المقبرة بجوار بقية أهله. قال: *سأموت بسلام، إذا وعدتني بهذا فقط.* لكن أهل هذه المنطقة الغربية كسالى متعطلون. وضعوا القليل من الطين عليه هناك في المقبرة القديمة قرب بيته. لكن في وقت ما خلال الشهر التالي كان الابن يصنع أكواما من الطحالب البحرية المجففة على الشاطئ. سمعت هذا من فمه. رأى الجنازة تخرج من المقبرة. أخبرني أنها كانت واضحة -التابوت والناس وكل شيء- وضوح حِمل الطحالب البحرية الذي كان يضعه على الكومة. مروا بالقرب منه. ميز بعضهم، لكنه لم يكن ليبوح قط بأسمائهم، كما قال. كان خائفا في البداية، لكن عندما مروا وتجاوزوه قرب الشاطئ استجمع القليل من الشجاعة. قال: *مهما فعل بي الله سأتبعهم.* وهكذا فعل، بمحاذاة الشاطئ، خطوة خطوة، حتى دخلوا هذه المقبرة ودفنوا الجثمان في مقبرة النصف جنيه هناك. تعرف على التابوت. ولم يكن لينطق كذبا عن أبيه...
وأين ؟ لو كان هنا، لم يسمع أحد نأمة منه...
لم أكن لأعرف شيئا عن هذا الأمر أكثر مما أعرفه عن سِنّة البابا! لكن هذا ما أخبرني به ابنه، ولم يكن ليخبرني بالكذب عنه...
الموتى لا يسيرون. نادِ أهل مقبرة النصف جنيه وسيخبرونك إن كان هناك أم لا...

يا الله! دعوا هؤلاء الصخابين وشأنهم!...
لن أتركهم وشأنهم بحق الشيطان. مرحى، يا جماعة النصف جنيه!...
... هنا...
...
...
...
نفسه...
مدفون في مقبرة المنطقة الغربية. كان متزوجا هناك...
لم يكن لينطق كذبا عن أبيه!...
تغيير الأماكن هكذا ليس سهلا كتغيير الأحزاب السياسية. لو كان الأمر هكذا، لعادت إلى سهول شرق جالواي الجميلة منذ زمن بعيد...
والرجل الفرنسي... لكن ربما لا يوجد هنا غير شبحه...
هذه القصة ليست أغرب مما حكاه لي : أن شوهد وهو يطرد الماشية من قطعة أرضه. ابن ابن اقتسماها بينهما، لكن لا أحد منهما سعيد بهذا. تراه أسرة وأسرة كل أسبوع بالتبادل. الأسبوع الذي تراه فيه أسرة منهما، لا تراه فيه الأسرة الأخرى. أحضرت القس ليسير في الأرض وتلوا وابلا من الصلوات والقليل من أناجيل القديس يوحنا، كما يقول.
تفعلها، العاهرة الحقيرة. آمل من الله ألا تكسب أبدا قرشا أجرب منها! ابني لديه الكثير من الأرض دونها...
سمعت يا أنك لم تمنحي قليلا من السلام منذ مات...
سيعاقبنا الرب...
قالت إنك فزت به...
الم يكن هو من تطارده؟
آه يا يسوع ويا مريم ويوسف! أطارد !...
وحق دموع وجروح المسيح ألم يقل: *هو-رو يا ، بأحزمتك وأمتعتك...*
ماذا قال؟
ماذا قال يا ابن ؟
ماذا قال يا ؟
يقول أشياء خبيثة... *هو-هو، يا ...*
ماذا قال يا ؟...
وحق دموع وجروح المسيح، لن يفيدك هذا بشيء يا ...
سيفيدني يا . قلها...
تلك هي الهدية يا ، قل لنا...
آه، هل تسمع الخنزيرة الحقيرة ابنة ؟ لا تفتح فمك يا ...
أنت هدية من السماء يا . قلها...
لا تقل شيئا يا . لا تنطق شفتاك بكلمة!...

بأمانة السماء، أنت حقير يا إذا لم تقلها. هل قال إنه في كل مرة يفتح فيها عينيه يجد شبحها هناك أمامه؟...
لو جرؤت على أن تقولها لخنزيرة آل الحقيرة يا !...
بأمانة الله يا ، أنت حقير لدرجة فظيعة! لا بد أن تتوقف كل العلاقات الثقافية معك. دعني أرى الآن. هل قال إنه بسبب رفضه للزواج منها عندما كانت حية كانت عفريتتها الآن عاشقته من الجن؟...
رباه! أن أكون الجنية العاشقة لذلك الثرثار القبيح الشكل! أنا أحذرك يا !...
بصراحة يا . هل طلبت منه عفريتة أن يحلق ذقنه أو يستحم أو يذهب إلى إخصائي علاج أقدام وأكتاف؟...
وحق دموع وجروح المسيح يا !... وحق دموع وجروح المسيح يا !...
وحياتك لا تقل يا !...
بأمانة الله يا !...

٥

... صحيح يا . سيعاقب الرب أي شخص على قوله أني يمكن أن أكون عاشقة لذلك البائس القبيح...
... سقطتَ من فوق كومة شعير... هل سمعتَ أبدا بمعركة الحِزَم؟... سأحكي لك. *كان بن بن بن [108] كان يصنع كومة من الشعير ذات يوم في تارا أرض الضيافة. وكان [109] يلقي بالحِزَم إليه. وجاءت كتائب المعرفة السبع، وكتائب المعرفة العامة السبع وكتيبة الأحرار القاصرين...*
... هناك كلام كثير عن نقله. كلام كثير...
لكن نقله لن يكون مُرضيا على الإطلاق، إلا إذا جرى بعد ذلك نبذه، وقتله أو إغراقه، أو شنقه، أو سحقه كالقط. هذه المقبرة في حالة من الفوضى بسبب هؤلاء المرتزقة الذين ابتلينا بهم يا . قال القاتل: *خذ ملعقتين من هذه الزجاجة.*...
ربما سيجري نبذه يا جاري العزيز. أعتقد أنه قد يتعرض لهذا أيضا بعد العلقة التي منحها لرجل من قرية دوناه منذ بضعة أيام قدم له تذكرة حمراء[110]. لكني لا أظن أنه سيُعدم...
يا الله! وما الفائدة إذًا! هذا ما ينبغي أن يلحق به: أن يُخنق تحت قدر. انظر إليّ، لقد أعطاني سما!...
قسما بالله، ألم ينصحني بشرب الويسكي؟ لقد فعلها بالفعل يا صديقي. الوغد! لم يكن الأمر ليمثل لي مشكلة، لكني لم أعانِ قط من ألم أو وجع!...
هل لدى جالواي فريق كرة قدم جيد هذا العام يا ؟...
فريق عظيم تماما يا جاري العزيز. يقول الجميع إنهم حتى لو لعبوا على عكازات سيفوزون ببطولة عموم آيرلندا. قالت جريدة *الراية الخضراء * هذا منذ بضعة أيام...
سيجعل من المدافعين عجينة في ذلك اليوم...
مجرد واحد من البدلاء!
واحد من البدلاء! واحد من البدلاء! عم تتحدث إذًا؟ لن يفوزوا! لن يفوزوا! لن... لديهم لاعبون شباب عظام. نخبة النخبة. سيفوزون يا جاري العزيز. سترى أنهم سيفوزون.
يا الله! اخرس! ما الفائدة من قول الهراء؟ أنا أقول لك إن لاعبيك الشباب لا يساوون شحما في أذن ثور مخصي دون ! لم يكن الأمر ليمثل لي مشكلة لولا قولك هذا *سيفوزون..*، *سيفوزون*!...
أستميحك عذرا يا جاري العزيز، قد يظن المرء أنك تفضل لهم أن ينهزموا في الفريق عن أن يفوزوا بدونه! قد يكون طعم الانتقام حلوا يا جاري العزيز. ألقى الكثيرون باللوم على في عام 1941. وأنا لم أشعر قط بمثل هذا الغضب الذي شعرت به ذلك اليوم في كروك بارك...

تلك هي الحقيقة يا ...
كان دائما خدوما جدا...
وكان يسعد قلبه أن يجلب لك الأخبار الطيبة...
وحتى لو كانت أخبارا سيئة كانت ابتسامته العريضة أشبه بحزام أمان...
من أرقد يا ؟...
وابنة وزوجة يا ..
ومن ناح عليه يا ؟...
ونساء القرية يا . لكنك كنتما مفتقدتين كثيرا. كان الجميع يقولون: *رحم الله المسكينة الغلبانة! ألم تكونا بارعتين في إرقاد أي إنسان والنواح عليه! لن يكون هناك أمثال لهما من جديد...*
بارك الله في صحتك يا !...
وحق دموع وجروح المسيح، ماذا يهم من يُرقد المرء أو ينوح عليه!...
... مازال يحطمهم قطعا، بارك الله فيه!...
إنه يبلي بلاء حسنا يا جاري العزيز، بلاء حسن...
ماذا تقصد ببلاء حسن! ألا ينبغي أن يكون في إنجلترا الآن!...
إطلاقا يا جاري العزيز. لكن البريطانيين والأمريكان دخلوا الأراضي الفرنسية من جديد...
يا الله! ماذا؟ أنت تنشر الأكاذيب يا ! نحن لا نثرثر عن الرياضة الآن، كما تعلم...
لقد مرت تسعة شهور الآن يا جاري العزيز منذ كنت قادرا على قراءة الجرائد، ولا أعرف كيف يسير بهم الأمر بالضبط. في ذلك الوقت، كان الجميع يقولون إن البريطانيين والأمريكان لن يتمكنوا من وضع إصبع قدم في فرنسا يوم الإنزال في نورماندي...
لماذا يا عزيزي ؟ لماذا تعتقد أنهم سينجحون؟ لقد دُفعوا للتقهقر مخلفين وراءهم أكواما من الجماجم على الشاطئ، مدفوعين إلى أعماق الجحيم، داخل البحر...
صدق إذًا، هذا ما أظنه يا جاري العزيز...
وتبعهم هذه المرة -وهو ما كان ينبغي أن يفعله في دانكيرك- وقد دخل إنجلترا قبل الآن! *Der Tag*![111]أعتقد أنه لا يوجد رجل إنجليزي واحد باق هناك الآن..
Non! Non, mon ami! C’est la liberation qu’on a promise. La liberation! Les Gaullistes et Monsieur Churchill avaient raison . . .[112]
آه أيها المتبجح، أيها المتعثر، أيها المتحسس الضرير...
C’est la libération! Vive la France! Vive la République Française! Vive la patrie! La patrie sacrée! Vive de Gaulle! . . .[113]
أيها الرجل الفرنسي، يا جاري العزيز، هل سمعت عن التقرير الصحفي الذي ذكر أنهم كافؤوك بوسام الصليب على بطولتك؟...
Ce n’est rien, mon ami. C’est sans importance. Ce qui compte, c’est

la libération. Vive la France! La France! La France! La patrie sacrée! . . .[114]
آه، هل تسمع الضجة التي يثيرها هذا المخرف الحقير! إنه أسوأ من ...
اسمع يا ، ألم تسمع أي حديث عن استعادتنا للسوق الإنجليزي؟...
هل تسمع هذا المزعج من جديد؟...
سيكون السوق الإنجليزي بخير يا جاري العزيز...
هل تظن ذلك يا ؟...
سيكون كذلك يا جاري العزيز. لا تقلق. أقول لك إن السوق الإنجليزي سيكون بخير...
فليرعاك الله يا ! لقد انتزعت الشوكة الأليمة من قلبي بهذه الكلمات. أتعتقد حقا أنه سيكون بخير؟ لديّ قطعة أرض في أعلى القرية...
... لقد نُشر بالفعل، ديوان أشعارك...
النجوم الصفراء! آه! يا يا أعز الأصدقاء، أنت تمزح؟...
لم أره بنفسي، لكن ابنة مديرة مكتب البريد أخبرتني بهذا... لا تقلق، يا جاري العزيز. سيُنشر كتابك أنت أيضا قريبا...
هل تعتقد ذلك يا ؟...
أنا متأكد أنه سيُنشر يا جاري العزيز...
لديك معلومات سرية إذًا يا ؟...
آه، بالتأكيد، اعتدت أن أسمع بعض النميمة يا جاري العزيز. اعتدت أن أكون ودودا مع الناس هنا وهناك. ابنة مديرة مكتب البريد... آه! يا أستاذ، اهدأ، اهدأ!...
فلتتأدب أكثر من هذا قليلا يا أستاذ!...
أمازال هناك الكثير من المال يمكن كسبه في إنجلترا يا ؟...
لم يعد جيدا كما كان يا جاري العزيز. الطعام فظيع. وقد عاد أهالي وودي هيلسايد ومرتفعات سافي وقرية دوناه إلى ديارهم...
أجازة وسط نباتات قراص قرية دوناه نبيلة المحتد ستكون ذات نفع لهم...
... ابنك وزوجته وطفلاهما في البيت...
آه! أنت تخدعني يا !...
حاشا لله يا جاري العزيز! قسما بالإصبع المقدس الصغير!...
والزوجة السوداء معه؟...
نعم، بالتأكيد، والطفلان...
اسمعني هنا يا . قل لي الحقيقة الأمينة. هل هما أسودان كما يقولون؟ أسودان كخادم الإيرل الأسود الضئيل؟...
لا تقلق يا جاري العزيز. أبعد ما يكون عن هذا...
هل هما أسودان مثل بعد خروجه من مدخنة سخماء؟...
قسما بروحي، ليسا كذلك فعلا...
أسودان مثل ذي الوجه المتورم؟...

لا تقلق يا جاري العزيز. ليسا بهذا السواد أيضا...
أسودان مثل معطف الفرائي بعد خروجها من بيت ؟...
اخرس أيها الشقي الحقير!...
أسودان مثل في عَرَق دوار السكر؟...
لكن عندما مثل أمام القاضي بعد أن دخل نبع الماء الحار في دبلن، كان مضيء الوجه مثل أي واحد من هؤلاء القديسين الصغار المرسومين على نافذة الكنيسة...
في عرق دوار السكر. في مثل هذا السواد، نعم...
آه! في هذه الحالة، هما ليسا زنجيين على الإطلاق...
ليس الطفلان في سواد أمهما تقريبا...
هل اضطروا لاستدعاء الصليب من أجل السيدة العجوز؟...
بالتأكيد يا جاري العزيز، كانت في حالة سيئة. لم ترد السماح لهم بدخول البيت إطلاقا. تجمع أهل القرية حولهم، وكان بعضهم أكثر ميلا لرجمهم بالحجارة ومطاردتهم بعيدا. لكن، باختصار، يا جاري العزيز، أخذوهم إلى القس ورش القليل من الماء من جرن المعمودية عليهم، وعندئذ صارت السيدة العجوز سعيدة... وهي فخورة بهم جدا الآن. وتأخذهم إلى القداس كل يوم أحد...
إذا كان هذا هو الحال يا ، فلا مشكلة لديّ في كوني ميتا. ظننت أن قلبها سيتحطم قطعا...
تعال هنا ، هل لديك أي أخبار عن ابنى، ذلك الفتى؟
، فتاك يعرف جيدا من أين تؤكل الكتف. لقد اشترى مهرا منذ قليل...
هذا خبر عظيم يا . لو كانت لديه فتاة قوية الآن...
لا تقلق يا ، مما أسمعه سيحدث هذا قريبا. امرأة من المنطقة الغربية كانت في إنجلترا. قيل لي إن لديها الكثير من المال. أخبرتني ابنة مديرة مكتب البريد أن الأستاذ الصغير سيتزوج خلال يوم قريب... نعم. تلك الفتاة التي في مكتب باري للمراهنات في برايت سيتي... القس لا يذكرها الآن على الإطلاق يا جاري العزيز. لقد أخذت العهد منذ فترة... لا تقلق يا جاري العزيز. مازالوا يتكلمون عن عملك الفذ. يقول البعض إنك قمت به، ويقول آخرون إنك كنت لتنفجر...
لينفجر الشيطان إذًا يا ! تلك حقيقة الله الصادقة. أنا شربت اثنين وأربعين قدحا...
هل تعتقد أن مسيخا دجالا سيأتي قريبا يا ؟...
لا تقلق يا جاري العزيز. لا تتصور أن هذا سيحدث. لا أعتقد أن هذا سيحدث. باختصار، لم أكن لأقول إنه سيحدث...
صدِّق إذًا يا ، أنا أعتقد أنه سيحدث، ولن يكون هذا بعد زمن طويل من الآن...
سيكون هذا خيرا يا جاري العزيز. يمكنك أن تتأكد أنه سيكون خيرا...
هل يحتاج كثير من الناس إلى مساعدة روحية يا ، أم أنهم يتلون صلوات العائلة؟

أخبرتك كثيرا يا ابنة ، أن تتركي أمور الهرطقة لي...
هل تعتقد يا أن النبوءة ستتحقق؟...
أعتقد بالفعل يا جاري العزيز. ستتحقق كلها...
هل تعتقد أن في قرية دوناه يؤمن أنها ستتحقق؟...
في رحلتي الأخيرة إلى قرية دوناه، كان أهل القرية -هؤلاء الذين لم يكونوا في إنجلترا- متجمعين حول في ظل أجمة من القراص وسط البيوت، وكان هو يتنبأ...
هل قال إن إنجلترا ستتلاشى في الهواء في كرة من النار والرماد؟
في كرة من النار والرماد! قال إن رجال الدين سيكونون جوعى مثلهم مثل الناس العاديين. انتظر الآن... قال إنه لن يكون هناك فارق بين المرأة والرجل. انتظر الآن... انتظر الآن... قال إن القدح سيتكلف بنسين من جديد...
إلى الجحيم بنسائك! هل قال إن إنجلترا ستتلاشى في كرة من النار؟...
لم يصل الأمر به إلى هذا الحد يا جاري العزيز. لم يصل إلا إلى النقطة التي جرى فيها إيقاظ في السجن وأمسك بسيفه ليحرر آيرلندا. عند هذه النقطة، سلمت لهم إشعارات ضريبة الدخل على مواريثهم...
على حق. كل كلمة من نبوءته تتحقق...
... أنت تقول يا إن سيفوز...
هذه كذبة لعينة! بيلي قال إن [115] هو الذي سيفوز...
كان في الكنيسة بعد القداس منذ شهر. اجتماع مشترك...
اجتماع مشترك؟
اجتماع مشترك؟
بالله! اجتماع مشترك؟...
يا خبر! اجتماع مشترك؟...
اجتماع مشترك بشأن خدمات الطوارئ...
هل تحدث عن الجمهورية؟...
هل تحدث عن المعاهدة؟...
لم يتحدثا عن الجمهورية ولا عن المعاهدة... باختصار، ألقى الاثنان نفس الخطبة: شاكرين الناس...
آه! أفهم الآن يا ! كانت تلك خدعة من ليستغفل الحزب الآخر...
تلك كذبة لعينة! بالطبع، كل ساعة قديمة متوقفة في هذه المقبرة تعرف أنها كانت خطة من ليجعل يأخذ الاتجاه الخاطئ. ألا تتفق معي يا ؟...
احترس يا ! لقد بلغت سن العقل والرشاد، وتذكر إن حزبنا هو الذي منحك زيادة في الأجر وعلاوة. تذكر أنك كنت مجرد *مساعد رجل بريد ريفي*...
زملائي أبناء الشعب الآيرلندي! أنا هنا اليوم!...
لو كنتَ هنا في وقت الانتخابات...
لا علاقة له بالسياسة مثلي تماما...

أيها الجبان! عد تحت السرير...
أيها الجلف الرخو!
... أين أنت يا ؟ كان صديقك القديم يطوف حول المنطقة هنا مرة أخرى هذا العام...
المتحمس للغة الآيرلندية! أنت تمزح!...
... لم يقترب من حانة على الإطلاق... لم يكن ليُخدع هناك مرة أخرى يا جاري العزيز. ليس من المحتمل أن تخدع ابنة أي أحد بعد الآن يا جاري العزيز! آه! هناك أسباب كثيرة يا جاري العزيز! قبض عليها ذات يوم أحد مؤخرا خلال القداس الثاني. لم يكن هناك أحد من أهل وودي هيلسايد ومرتفعات سافي وقرية دوناه -الذين عادوا من إنجلترا- ليس موجودا في الحانة يشرب. يقول الناس إن المتحمس للغة الآيرلندية هو من أبلغ الشرطة كي تقتحم المكان. صديقك لديه وظيفة ذات شأن كبير في الحكومة...
لن تلعب لعبة القاعة الداخلية مرة أخرى...
لقد سرقتني...
وأنا أيضا...
صدق إذًا، لم يكن هناك شيء لأمتن لها عليه. لم يكن هناك شيء يا عزيزي. بعد نصف الكأس الثاني من الويسكي طلبت مني أربع قطع من ذات الأربع قروش، ومن نصف الكأس السادس طلبت ثمانية عشر بنسا. قسما بالله، كان صحيحا ما قاله طبيب برايت سيتي: يليق الويسكي بالأمعاء الدقيقة، بينما تليق الجعة السوداء بالأمعاء الغليظة. تسبب الويسكي الزائد عن الحد في انفجار الأمعاء الدقيقة بينما ذبلت الأمعاء الغليظة من الحمى. لم أشعر بأي ألم...
ستكون محظوظة يا جاري العزيز لو أن فتح الحانة يوم الأحد هو كل ما سيؤخذ ضدها، لكن الناس يقولون إنها كانت تخلط زجاجات الويسكي بالماء...
ستخسر الحانة؟...
ربما يا جاري العزيز، ربما. لكني لا أرى هذا...
وما الفائدة اللعينة إذًا؟
ابنة ستخسر رخصة تجارتها حتما. وستجري محاكمتها في المحكمة العسكرية... شاي السوق السوداء. قبض عليها الشاويش...
الشاويش، إذًا، رغم أنها كانت تعطيه الشاي والسجائر بلا مقابل!...
كنتِ سبب موتي يا القبيحة!...
... نسل ذوي الأذن الواحدة، أليس كذلك يا جاري العزيز؟ ذاك الفتى أصغر أبناء قُبض عليه في إنجلترا...
أحسنت يا ! أحسنت!...
طعن ابن من قرية دوناه...
آه! نفس طعنة الكلى المتوارثة طعنها لي واحد آخر من نسل ذوي الأذن الواحدة! سيُشنق...

يقولون إنه سيُسجن...
سيُشنق...
يقولون يا جاري العزيز إنه من السهل شنق المرء في إنجلترا بدرجة كافية. لكني لا أعتقد أنه سيُشنق مع ذلك. سيقضي بضع سنين في السجن، ربما...
يقولون إن ابنة مديرة مكتب البريد ستقضي سنة ونصف أو سنتين في السجن أيضا... خطابات تحتوي نقودا يا جاري العزيز، لكن خطابات المتحمس للغة الآيرلندية هي التي جعلت الكلاب البوليسية من المكتب الرئيسي تتعقب رائحتها...
يا إلهي! بعد أن قضيت عشرين عاما أعلمها...
صدقي إذًا يا مديرة مكتب البريد، صدقيني يا جارتي العزيزة، لم أكن أود أن أرى أي شيء يحدث لابنتك... على رسلك يا أستاذي العزيز، اهدأ!... قسما بالإصبع الصغير المقدس يا أستاذ، لم أفتح قط خطابا لك!... آه، ربما فعلت هي يا أستاذ، لكني لم أساعدها!...
ابني الأكبر يا ، أمازال يرافق ابنة ؟...
أعتقد هذا يا جاري العزيز. سيكون هو وابنة الكبرى في دورة انعقاد المحكمة التالية. يقال إن ابنك الآخر...
...
نعم، . يقال إنه وابن أمسكا بهما في كومة عشبك قبل طلوع النهار...
ابني الثاني وابن أمسكا بابني الأكبر وهو يسرق عشبه هو نفسه من أجل ابنة سخام الطين !
كل ما أعرفه يا جاري العزيز أنه تم استدعاؤه للمثول أمام المحكمة...
آه! فليخوزقه الشيطان بضبه البارز! لقد غدا مجرد فرشاة صغيرة في أصابع السرَّاقة بقدرتها الهائلة على المسح والتقشيط!...
وقد أقامت زوجتك دعوى أخرى عليهم، لوضعهم ماشيتهم في أرضك...
الآن، بالفعل! في ليلة وضحاها! أحسنت هي أيضا! ستفوز أيضا، سترى! أتمنى لو أزيح الابن الأكبر إلى الجحيم محمولا على الرياح الأربعة، وأن تأتي زوجة لابني الثاني تعتني بالحيازة الكبيرة! أتساءل يا ، هل ردت أسرة الجاروف الذي استعاروه ليستخرجوا أول دفعة من بشاير البطاطس؟...
لا أعرف هذا يا جاري العزيز... باختصار يا جاري العزيز، أسرة تتلقى علقة من القانون حاليا. يوم الأحد قبل الماضي، كان القس أشبه برجل عضه كلبه الصغير. نهض قبل طلوع الصباح وأمسك ببعض الأشخاص وهم يسرقون عشبه. يقولون إنهم أهل ...
نفس الأشخاص الذين كانوا يلعقون حاجبيه!...
... لا أعتقد يا جاري العزيز أن القس سيحول بمظلته بين أهل وبين وابل المطر، حيث نال الابن حكما بالسجن ستة أشهر...
ابن ؟...

ابن فعلا! هل تنسج الأكاذيب؟
وامرأة العجوز نالت تقريبا حكما بالسجن ستة أشهر أخرى يا جاري العزيز، عقابا على استلامها لبضائع مسروقة...
طحالبي البحرية المنجرفة بالتأكيد!...
ليس هذه المرة يا جاري العزيز، بل محتويات سيارة لورد ، والتي تضم عدة صيد سمك وبندقية وما شابه من هذه النوعية من الأشياء. دخل بيت الإيرل في الليل وأخذ بدلات سهرة وسراويل تنس وساعات ذهبية وعلب سجائر... وعدة آلاف سيجارة من محل ابنة وباعها بسعر ثلاثة بنسات للواحدة لشابات قرية دوناه. كانت غلايين الصلصال تقتلهن...
كانت هذه ضربة جيدة لابنة !...
وللإيرل!...
ولشابات قرية دوناه!...
ولابن ، الوغد الصغير. قسما بالله، يا عزيزي، كنت دائما أقول إنه يستحق ذلك! سارت الأمور معه بلطف وسهولة...
كما سرق بنطلون أخت القس، لكن أحدا لم يقل شيئا عن هذا. ابن وبعض من صبية وودي هيلسايد رأوا ابنة ترتديه عند المستنقعات، لكنها كانت ترتدي فوقه فستانا...
تلك البردعة التي يرافقها ابني الأكبر؟... نعم! ستلتقط صورة لها الآن وهي ترتدي هذا البنطلون، كمزيد من الإغراء لابني الأكبر العبيط...
هل كانت أخت القس منزعجة عندما أرسلوا ابن إلى السجن يا ؟...
الله! ألا تعرفين جيدا يا أنها كانت كذلك!
يا جارتي العزيزة، لم يلق هذا قط بظله على أصغر تجعيدة في جبهتها. قالت:
وما جدوى رجل مسجون بالنسبة لي؟ إن ابن شاب صغير عنين فاشل...
هل ستتزوج معلم مدرسة بحيرة ديري الآن؟...
إن معلم مدرسة بحيرة ديري واحد من دمياتها المكسورة منذ فترة لا بأس بها الآن. حاليا هي مع رجل أسكتلندي يعمل مصورا فوتوغرافيا في وودي هيلسايد. ويرتدي تنورات قصيرة...
هكذا إذًا! تنورات قصيرة. طيب قل لي يا : هل كانت ترتدي البنطلون عندما تكون معه؟...
لم تكن يا ، بل كانت ترتدي فستانا. أفضل بنطلون لديها -البنطلون المخطط- كان هو الذي سرقه ابن ...
البنطلون الذي بصق عليه؟...
الآن بما أنك ذكرتِ ، أخبرتني ابنة مديرة مكتب البريد أن ابن حصل على...
الصبر الآن يا أستاذ! تحل بالصبر يا أستاذ!... انتظر قليلا يا أستاذ! لم أفتح قطا خطابات لك يا أستاذ... اسمعني يا أستاذ. كلبان...
تحل بقليل من الاحتشام يا أستاذ. ماذا قالت عن ابني يا ؟

أنه حصل على أموال التأمين على ، وأن حصلت على مبلغ محترم سمين من التأمين على ...
بارك الله فيك يا يا صديقي! وفقا للسان الأجرب، لم يحافظ على سداد الأقساط بعد موتي! منذ أن جئت إلى أرض المقبرة وهي تستخدمني كمبصقة لكل لعاب وبصاق خارج من فمها الكاذب. هل تسمعيني يا ابنة ، يا متسولة؟ فليجزك الله خير الجزاء يا ، وقل لها -قل لابنة تلك الجربانة- أن حصل على...

٦

... سيعاقبنا الرب على قول أشياء مثل تلك يا ....
لكنها الحقيقة يا ...
ليست كذلك يا . لقد كنت مريضا لسنوات. أخذتني لأفضل الأطباء في برايت سيتي، لكل واحد منهم. وقد أخبرني طبيب إنجليزي كان يأتي لصيد السمك هناك بالأعلى عندنا منذ ثمانية أعوام، بكم المدة التي سأعيشها، إلى اليوم. قال: *ستعيش..*...
... قلت: *نعم، أحشائي متشابكة...*
... قال: *التوى كاحلك من جديد، قسما بخصيتيّ المشعرتين...*
... اسمعي، لن تصدقي يا يا جارتي العزيزة، كم أنا ممتن لابنك . لم يمر يوم أحد واحد دون أن يأتي هو وزوجته ليعوداني...
نسل متسخي الأقدام...
لكن يا يا جارتي العزيزة، لا توجد قطعة طين بلا حشائش. انظري كم تغير الأستاذ! لم يكن من الممكن أن تقابلي رجلا ألطف منه في رحلة حج إلى ضريح نوك...
لكن ألا ترى الطريقة التي عاملتني بها هي وتلك البائسة يا ؟ لقد حصلتا على إنجيل القديس يوحنا من القس وألقيتا بي في هذا الصندوق قبل أواني بثلاثين عاما. والحيلة نفسها جرت على المسكين...
سيعاقبنا الرب...
حكايات زوجات عجائز يا . لو كنت مكانك لما صدقتها...
من الأحرى بك أن تصدقها يا ، حتى لو كانت حكاية زوجات عجائز. القس قادر على...
صدقتها مرة يا يا جارتي العزيزة. صدقتها بالفعل، رغم أنك لن تظني هذا بي. لكني سألت قسا يا -قس عليم جدا- وهل تعرفين ماذا قال لي؟ قال لي يا ما كان ينبغي أن أعرفه جيدا جدا بنفسي لولا أن الحكاية القديمة مغروسة في ذهني. قال: *كل أناجيل القديس يوحنا الموجودة في العالم لن تبقيك حيا يا عندما يشاء الله أن يرسل إليك طالبا.*
أجد من الصعب عليّ تصديق ذلك الآن يا ...
قس آخر أخبر زوجتي -الأستاذة- نفس الشيء يا . وكان قسا مقدسا يا : قس كانت عيناه الاثنتان متوهجتين بالقداسة. قامت الأستاذة بكل حج ممكن في كافة أنحاء آيرلندا وآران من أجلي... انتظر الآن يا أستاذي العزيز! انتظر الآن!... توقف عن هذه الضجة الآن! ماذا كان بإمكاني أن أفعل حيال ما فعلته هي؟...
قال: *من الصحيح أن تقومي برحلات الحج، لكن لن تعرفي أبدا متى تكون إرادة الرب في عمل معجزة...*
لكن رحلة الحج شيء وإنجيل القديس يوحنا شيء آخر يا ...

أعرف هذا يا ، لكن ألا يمكن أن يكون إنجيل القديس يوحنا معجزة؟ وإذا كان الرب يريد أن يُبقي شخصا حيا، لماذا سيضطر سبحانه لجعل شخص آخر يموت بدلا منه؟ أنت لا تعتقدين يا أنه سبحانه في عليائه لديه الكثير من الروتين الوظيفي كما هو الحال في مكتب البريد، أليس كذلك؟...
وحق دموع وجروح المسيح، ألم يقل ...
... قلت: هل تعتقد أن هذه حرب الأجنبيين؟...
حان وقت استيقاظك يا صديقي!
... كانت زوجتي من ملأت الاستمارات يا . انتظر يا أستاذ! انتظر! حسن جدا يا أستاذي العزيز. كانت زوجتك أيضا... تحل بالصبر الآن، يا أستاذ! الصبر! كلبان...
... كان يوما يا . لا تنكر ذلك...
... استمارات عن البيت يا . ألا يبني بيتا بسقف من الإردواز!... نعم يا ، بيت من طابقين له نوافذ بارزة في الحائط، وطاحونة هواء على التل لإمداده بالنور...ينبغي أن تري الثور الحكومي الذي اشتراه يا ! – تسعون رطلا. أصحاب الماشية ممتنون جدا له. كل الثيران في المنطقة كانت ثلة من المخنثين.
وحق دموع وجروح المسيح، ألم يقل : *منذ أن أوقفت إنجلترا التعامل مع ماشية ، ومنذ *مذبحة الأبرياء *، صارت الثيران خجولة هكذا...*
وهو يفكر في شراء شاحنة لحمل عشب الوقود. هناك حاجة شديدة إليها في منطقتنا. لا توجد شاحنة منذ صودرت شاحنة منه... خمسمائة أو ستمائة جنيه يا جارتي العزيزة...
خمسمائة أو ستمائة جنيه! مبلغ كهذا سيخلف ثقبا في جيب أي شخص يا ! إنه تقريبا نفس المبلغ الذي حصلت عليه في الدعوى القضائية...
ليس ثقبا في جيب يا ، وخاصةً بما أنه حصل على الميراث...
لكن كانت من حصلت على المبلغ الأكبر مع ذلك...
وحق دموع وجروح المسيح، ألم يقل إن ابن لن يميز جنيها ورقيا أكثر مما يستطيع تمييز عرق جبينه، أو...
ألا تعتقد يا أنه إذا كان هناك وابل من النقود يسقط في طريقهم، سيفكر أحدهم في رد الجنيه الذي أعطيته ؟...
أيتها المؤخرة الحقيرة الجربانة!
... أخبرتني ابنة مديرة مكتب البريد... اهدأ الآن يا أستاذ!... تلك كذبة لعينة يا أستاذ... لم أفتح أي خطاب...
... لا تولي اهتماما لوقاحته يا . تذكري أنه كان ضابط صف في *آلة القتل *[116]...
لا وقت لديّ الآن لقراءة الشمس الغاربة لك مرة أخرى يا . أنا مشغول للغاية بمسودتي الجديدة القمر الخنوص. جاءتني الفكرة من . كان جده قادرا على تعقب شجرة عائلته رجوعا إلى القمر. وكان يقضي ثلاث ساعات كل ليلة يتطلع إليه، وفقا لعادة أسلافنا القديمة. ومع مولد الهلال الجديد، كان منخاراه يفرزان ثلاثة أنواع من المخاط: واحد من الذهب، والثاني من الفضة، والمخاط الغايلي

القديم...
... ما أخبرتني به يا أن قالت إنك كنت المفضلة لديها من بين جميع أخواتها، وأنك كنت ستظهرين الامتنان لها، لولا أنك مت...
فعلت أقصى ما أستطيع يا ، لكني فشلت في أن أدفن قبلي...
ويحك يا يا جارتي العزيزة، لعل هذا كله من أجل الأفضل. أخبرني أنا وزَوجـ... الأستاذة، أن تركت له الكثير من الحواشي والإضافات التي لم تكن من حقه على الإطلاق وفقا للوصية. ولم تقبل إلا نصف أرض منه، وصدقيني عندما أقول لك إنه لا يمر يوم أحد تقريبا إلا ويعلن القس فيه إقامة قداس من أجل روحك أنت ...
من أجل روحي وروح ...
وحق دموع وجروح المسيح، ألم يقل ...
وروح و...
... قال: *أفضل مقارنة يمكنني تخيلها من أجل بنات هي كلبان أجربان رأيتهما يراقبان بغلا في سكرات الموت في قرية دوناه. أحدهما كان ينبح، محاولا إبعاد الآخر. وفي النهاية أرهق نفسه كثيرا بالعواء حتى أن أحشاءه كلها انفجرت في كرة من المواد اللزجة. وبمجرد أن رأى الكلب الثاني أن البغل الميت صار كله له وحده، لم يفعل شيئا إلا أن انسل مبتعدا وتركه هناك للكلب الميت...*
غاضب لأنه أفلت هذا الخيط من إبرته الحائكة! ظن أن أسرته ستضع مخالبها على كل فتفوتة في الوصية!... من أجل روحي...
صدقي إذًا يا يا جارتي العزيزة، هو وابنته لا يتزلفان كما اعتادا من قبل...
لن يضيرها هذا في شيء... من أجل روحي وروح ...
وهو في حيرة بين أن يبقى أم يأتي يا . لقد دُهن بالزيت المقدس منذ فترة قصيرة...
لن يجعله ذلك أصغر سنا! فهو يبلغ من العمر ضعف عمري...
زوجـ... الأستاذة ذهبت لعيادته. خمني ما الرسالة التي بعثها معها لي؟...
ما يملأ الفم بالمرارة والنكد.. إن لم يتغير... من أجل روحي...
لم يتلق عمي المسكين أي مساعدة روحية منذ كنت أسهر عليه، أم أنك تظن يا أنه يتلو صلوات العائلة؟...
وحق دموع وجروح المسيح، ألم يقل...
كان ما قاله للأستاذة: *ستقولين إذا كان سيرفع أشرعته قبلي، فليخبرهم جميعا هناك أني سأرخي أشرعتي في اتجاههم في أي لحظة. دعيه يخبر أني سأنتزع ما يسد أحشاءه في حالة أنه لم يسمع نصيحتي...*
لا هي ولا أي أحد آخر صار أكثر حكمة نتيجة أي شيء قلته يا . ويمكنني أن أخبرك أيضا أن القبور لها آذان...
... *ودعيه يخبر ابن أن يرفع عقيرته بمقطع من أغنية عندما يسمع بمقدمي...*
هو-رو يا ، بأحزمتك وأمتعتك...

*كان ابنة
وكانت عريضة كالرجال...*
... *ودعيه يخبر ذاك سفاح الأقداح أني سأقطعه شرائح كالخيزران لوضعه دائما عربته التي يجرها الحمار في حقل شعيري، منذ بدأت زوجة رحلات حجها إلى المحاكم...*
وحق دموع وجروح المسيح يا ، أكمل... أكمل...
... من أجل روحي ومن أجل...
هذا هو كل ما قاله يا جاري العزيز. أو إن قال، فإن زوجـ... الأستاذة لم تخبرني...
وحق دموع وجروح المسيح، ما فائدة أن تجعل من نفسك ! إذا كانت ستحدث مشاكل فلتحدث المشاكل! قال: *واجعليه يخبر حبيبتي أنهم اضطروا لإرسال خراطيم سيارة الإطفاء الطويلة كي تطفئني بعد أن انسلقت في نبع الماء الحار في دبلن، لذا لا أخشى شيئا من مائها المغلي الآن...*
رباه! رباه! يا يا ابن ! يا عزيزي ! كيف لي أن أعرف أنهم لن يلقوا بهذا القبيح... الأخنف... الثرثار... الأحدب... لينحشر إلى جواري... آه يا يا عزيزي، أنا لا أصدق أنه استحم في دبلن... أن يُدفن إلى جواري! أف! أف!... الحجرة... التكشيرة...
يمكنك الحصول على يا ... آه يا ، سأنفجر، سأنفجر، سأنفجر...
آه، لا خطر هناك يا يا جارتي العزيزة. كل شيء سيكون بخير...
لكن انظر أين دفنوك أنت نفسك يا ...
لم تعرف المسكينة ما كانت تفعله... اهدأ يا أستاذ! اهدأ! لا تقلقي يا . هذا الطفيلي مازال نضرا ومتشبثا بالحياة كاللبلاب...
أمثاله لا يدومون طويلا في النهاية. يا أم المسيح المقدسة هذه الليلة! كان لديّ نفور أقل تجاه خادم الإيرل الأسود الضئيل مما أحمله نحوه!... ما هذا يا ؟ جثة أخرى! آه، ويلتاه إلى الأبد، يا يا أعز الأصدقاء لو كان هو. اسمع!...
أهلا يا شباب! لقد وصل من قرية دوناه...
المكان الذي يُدفن فيه هو...
بروفيسور النبوءات العظيم في العالم الغربي يموت وتوضع جمجته المتنبئة عند قدميّ ...
وحق دموع وجروح المسيح، أي وسادة أفضل من أجل جمجمته العجوز؟
، ما رأيك في العالم الآن؟ أم أنك تظن أن النبوءة ستتحقق؟...
سأنوح عليك الآن يا ، بما يليق بمهنتك وشهرتك... وا حسرتاه يا ويلتاه! واحسرتاه يا ويلتاه!...
... الله! إلى الجحيم يا ! كف عن حديثك السخيف عن [117] هل ستنقذف إنجلترا إلى الجحيم مرفوعة في الهواء وسط عاصفة من الرماد في هذه الحرب؟ هل هذا موجود في نبوءتك؟ يا ابن ، اعطه ركلة بقدمك الغليظة على جمجمته المتنبئة...
آه! يا حبيبي!... لن يقر لي قرار في طين المقابر...

لا تقلقي يا . لقد أمر القس برسم خريطة جديدة تماما للمقبرة. كانت امرأة العجوز تشكو مؤخرا: *ألم تكن الأمور سيئة بما يكفي بالنسبة للمكان حتى يأتي أجلاف مرتفعات سافي ويضعون ساقيّ جثتهم النتنة فوق معدة رجلي العجوز الحساسة...*
آه! تلك الجثة التي لن يبقى لها تابوت ولا كفن لوقت طويل! انظروا كيف سرق مطرقتي الصغيرة!...
... يا عزيزتي، سيوضع الصليب فوقك على أي حال...
آه! فقط لو يعجلوا بالأمر يا . لو عجلوا بإقامته قبل أن يموت السليط العجوز...
كان يستحق الانتظار يا . كل من رآه يقول إنه جميل. القس نفسه ذهب كل هذه المسافة ليلقي نظرة عليه، والأستاذ الصغير وزوجـ... الأستاذة، ذهبا هناك يوم السبت قبل الماضي ليدققا النقش المكتوب عليه بالآيرلندية.
هل قلت هذا يا ؟... آه يا العزيز، لو لم يوضع فوقي...
سيوضع يا . لا تقلقي يا جارتي العزيزة. لقد كان جاهزا منذ وقت طويل، لكنهم كانوا ينتظرون أن يضعوا صليبك وصليب معا...
صليبي وصليب يوضعان معا...
وصليب هو سبب العطلة الآن...
صليبي وصليب ...
يقول الجميع يا إن صليبك ألطف من صليب وصليب وحتى من صليب ...
صليبي وصليب ...
إنه ألطف من صليب يا . زوجـ... الأستاذة تقول إنها تفضله عن صليب ...
إنه من رخام كونيمارا يا ، أليس كذلك؟...
هذا شيء لا أعلمه يا جارتي العزيزة. لقد اشتروه من ساحة ماكورماك في برايت سيتي على أي حال...
وحق دموع وجروح المسيح، كيف كان لهذا التافه الحقير أن يعرف، وهو راقد على ظهره طوال هذه الفترة؟...
إذا لم يكن من رخام كونيمارا يا ، فهو لا يساوي قشرة جوز في نظري...
كنت أظن أن رخام كونيمارا كله قد نفد...
اخرس أيها الشقي الحقير!...
إنه من رخام كونيمارا!...
ليس من رخام كونيمارا!...
أقول لك إنه من رخام كونيمارا!...
أقول لك إنه ليس من رخام كونيمارا!...
ليس لديهم صلبان من رخام كونيمارا في ساحة ماكورماك. لديهم منها في ساحة موران...
آه، عم تتحدثون؟ ألم يأت صليب وصليب من هناك، وكلاهما من رخام كونيمارا!...

وصليب ...
وصليب ...
سمعت بشكل مؤكد يا يا جارتي العزيزة أن الصليب الذي تصنعه أختك لنفسها من رخام كونيمارا...
... جاء الجزار الكبير من برايت سيتي إلى جنازتي. كثيرا ما قال لي إنه كان يكن لي احتراما بسبب الاحترام الذي كان يكنه والده لوالدي...
... صليب من رخام كونيمارا...
... كنت في العشرين ولعبت بآس القلوب...
... صليب ...
... *La Libération* ...
صليب ... صليب ...
كنت أول جثمان في هذه المقبرة. ألا تظنون جميعا أن أقدم السكان ينبغي أن يكون لديه شيء ما ليقوله؟ أطلب الإذن بالحديث إذًا! الإذن بالحديث!...
اسمحوا له بالكلام!...
هيا أيها الرجل الطيب! قلها!...
... صليب ...
تكلم!...
تكلم الآن، أيها الأبله!...
... لا صليبي ولا صليبك يا ...
... بعد كل ثرثرتك طوال الإحدى وثلاثين سنة الماضية طالبا الإذن بالحديث...
صحيح يا أستاذي العزيز! الآن أنت تتكلم! كلبان...
... من رخام كونيمارا...
لديك الإذن بالحديث الآن، لكن يبدو أنك تفضل البقاء أبكم كالموتى...
... لا صليبك ولا صليبي من رخام كونيمارا...

*يُنطق اسمه الأول بمد الياء * ولد عام 1906 وقضى سنوات تكوينه في كونيمارا بمقاطعة جالواي. حصل على منحة في كلية سان باتريك في دبلن *1924-1926 * عاد بعدها إلى جالواي جايلتاخت وقام بالتدريس في مدارس عديدة هناك. وفي عام 1936 أدت عضويته في الجيش الجمهوري الآيرلندي المحظور إلى فصله من مدرسة كارنمور القومية في شرق جالواي. وخلال الحرب العالمية الثانية جرى اعتقاله في معسكر كوراخ في مقاطعة كيلدير، وعند إطلاق سراحه عُين في فريق الترجمة في الدويل آيرن *المجلس الآيرلندي وهو هيئة تشريعية أدنى من البرلمان *. عُين محاضرا للغة الآيرلندية في كلية ترينيتي دبلن عام 1956، وأصبح أستاذا مساعدا عام 1967 وأستاذا عام 1969، وزميل كلية ترينيتي دبلن عام 1970، السنة التي مات فيها. أشهر أعماله هي رواية *1950 *، لكنه نشر أيضا العديد من المجموعات القصصية.

105 أوسكار الأسطوري، حفيد فِنّ، حارب الشياطين في الجحيم بسلاحه السائب [السائب كرة حديدية لها نتوءات حادة ومربوطة بسلسلة إلى عصا يطيح بها المحارب فتصيب أعداءه بطريقة عشوائية] *من هوامش الترجمة إلى الإنجليزية *
106 التجسد المحتال لإله البحر مانان في الأساطير الآيرلندية. كان أوكاين يستخدم هذه الحكاية وغيرها من الحكايات الفلكلورية في فصول تدريسه للغة الآيرلندية عندما كان معتقلا في معسكر كوراخ الحربي خلال الحرب العالمية الثانية. *من هوامش الترجمة إلى الإنجليزية *
107 امرأة من العالم الآخر، معبودة سلتية في الأصل، عاشت إلى سن متقدم للغاية. ترتبط بشبه جزيرة بيارا في غرب كورك. *من هوامش الترجمة إلى الإنجليزية *
108 وفقا للأسطورة هو الملك الأعلى لآيرلندا، يحكمها من تل تارا في مقاطعة ميث. *من هوامش الترجمة إلى الإنجليزية *
109 شخص ضئيل الحجم من العالم الآخر كان يحصد الذرة بسرعة كبيرة في معركة الحزم حتى أن جنود فرق الفيانا كادوا يقتلون بعضهم البعض في أثناء مطاردته. يرتبط كلامب أيضا بالمهرج كونان ماول في التقاليد الأسطورية لأتباع فيون. *من هوامش الترجمة إلى الإنجليزية *
110 شهادة لياقة كانت إجبارية على كل عمال المناجم الذين يعملون تحت الأرض.
111 اليوم *بالألمانية *
112 لا! لا يا صديقي! هذا هو التحرير الذي وُعدنا به. التحرير! الديجوليون والسيد تشرشل كانوا على حق...
113 هذا هو التحرير! عاشت فرنسا! عاشت الجمهورية الفرنسية! عاش الوطن! الوطن المقدس! عاش ديجول!...
114 لا بأس يا صديقي. لا أهمية لهذا. المهم هو التحرير. عاشت فرنسا! فرنسا! فرنسا! الوطن المقدس!...
115 ريتشارد مولكيهي حارب في انتفاضة ١٩١٦ وفي حرب الاستقلال، وقاد القوات المؤيدة للمعاهدة في الحرب الأهلية. *من هوامش الترجمة إلى الإنجليزية *
116 عبارة باتريك بيرس Patrick Pearse التي وصف بها نظام التعليم الرسمي في آيرلندا تحت الحكم البريطاني. *من هوامش الترجمة إلى الإنجليزية *
117 كانت هناك نبوءة بأن قائدا اسمه هيو أودونيل، يحمل وحمة تشبه ثمرة الفراولة سيهزم قوة القهر الإنجليزية في آيرلندا. بعد معركة بوين عام ١٦٩٠، ثمة رجل بهذا الاسم وتلك العلامة، كان ضابطا عالي الرتبة في الجيش الإسباني، عاد إلى آيرلندا وأعلن نفسه أودونيل ذا البقعة الحمراء، وانطلق يحاول تحقيق هذه النبوءة. *من هوامش الترجمة إلى الإنجليزية *